جريمة الساحر

رواية من أيسلندا

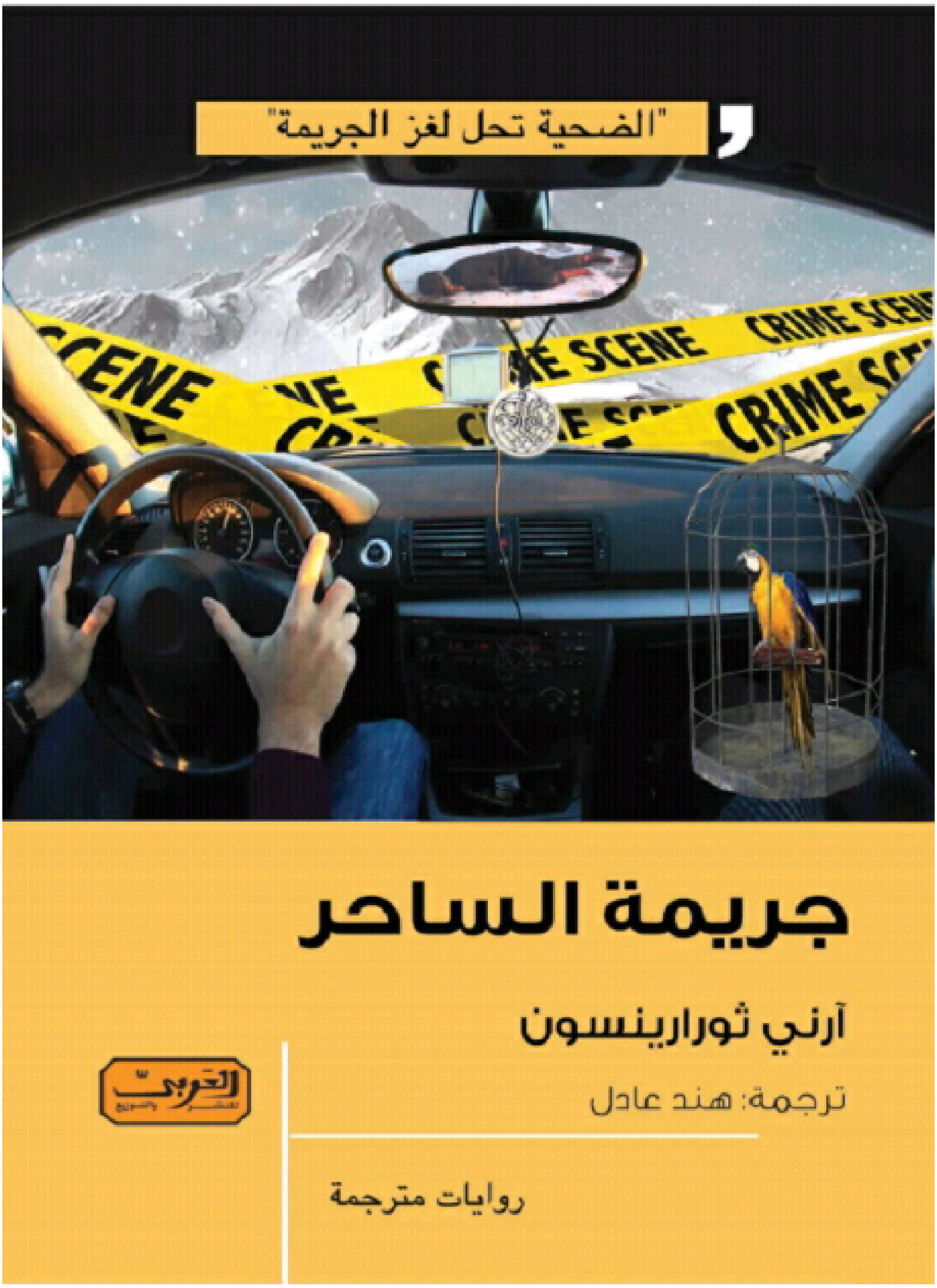

تأليف:آرني ثورارينسون

ترجمة: هند عادل

تحرير: هدى فضل

الطبعة الأولى: 2018

رقم الإيداع: 2018/1686

الترقيم الدولي: 9789773193928

الغلاف: عصام أمين

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

60شارع القصر العيني 11451 - - القاهرة

ت 27954529 - 27921943 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

Copyright © Árni Þórarinsson, 2005

Title of the original Icelandic edition: Tími nornarinnar

Published by agreement with Forlagið, www.forlagid.is

تُرجم هذا الكتاب عن طريق منحة مالية مقدمة من المركز الأيسلندي للأدب.

بطاقة فهرسة

ثورارينسون، آرني

جريمة الساحر: رواية من أيسلندا/ تأليف آرني ثورارينسون.

ترجمة هند عادل. - القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2018، ص؛ سم.

تدمك 9789773193928

1- القصص الأيسلندية

أ- عادل، هند (مترجم)

ب- العنوان 839.693

1 السبت

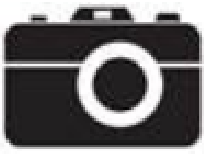

- جولة في البراري؟

غطَّى الصَّخب حولي على صوت "أوسبيورن"، فصحتُ في التليفون:

- ماذا تقول؟

كنت أستعمل الموبايل اللعين الذي أجبرني على أخذه أثناء مهمتي الجديدة هنا في الشمال. أكره المعدات التي تجعل الناس قادرين على الوصول لي في أي زمانٍ ومكان، هذا عيبه. لكنه يمكنني من الاتصال بالناس في أي مكانٍ وزمان، وهذه ميزته. ما الفائدة إذًا؟ إنها التواصل الدائم مع العالم الخارجي. ما الذي أخسره؟ السلام والهدوء، التحرر من الاتصال بالعالم الخارجي.

صاح "أوسبيورن" بدوره:

-

ماذا؟

-

ماذا قلت؟

-

قلت إنه وقعت حادثة في البراري...

ساد الصمت فجأة، فسألته:

- حادثة؟

ما زال الصمت سائدًا.

ما من جواب، لقد انقطع الاتصال. وضعت المحمول في حجري ثم أوقفت السيارة. قرأت أن الموبايلات جعلت حياة المجرمين أسهل، لكنها صعَّبتها على مؤلفي روايات الجريمة. والسبب هو أنها قضت على الشعور بالإثارة والمخاطرة المصاحب لعدم القدرة على التواصل. لكن ألا يمكن أن تؤدي القدرة على التواصل إلى الإثارة والمخاطرة نفسهما، وربما أكثر؟

نظرتُ إلى "يوا"، المصورة الصحفية. سألتني:

- ما الأمر؟

كانت تجلس في مقعد الراكب. بدت ممتلئةً قليلًا وهي ترتدي معطفها الأزرق السميك. على الرغم من كلمة "ممتلئة قليلًا"، فأنا أراها شابة جميلة ذات وجهٍ عطوفٍ ومبتسم. جازفت أخبار "أفتر نون نيوز" بفتح فرعٍ في شمال أيسلندا، وعيَّنتني الصحفي الوحيد فيه. وجود "يوا" معي هو ما هوَّن عليِّ الأمر. وجودنا في المنفى معًا أفضل كثيراً من وجودي مع "أوسبيورن" فقط.

أشعلتُ سيجارةً وقلتُ:

- أخبرني "أوسبيورن" بشأن حادثة وقعت هنا. على الأرجح يريد منا تغطية

أخبارها. انقطع الخط قبل إخباري بالتفاصيل.

نظرت حولها ثم قالت:

- نحن مُحاطان بالجبال يا "إينار".

فتحت نافذة السيارة ونفثت دخان سيجارتي في الهواء الرطب، فهطل المطر فوراً. هل هذا اعتراض على التدخين؟ هل هناك من يريد إطفاء السيجارة في الأعلى؟

تمتمتُ في غضب:

- يا للتكنولوجيا!

علّقت "يوا":

- ليست مستخدمة كثيراً هنا في الشمال، فالجبال تحجب إشارة الشبكة.

لقد أخطأت فهمي. كنت أتحدث عن خدمة الإطفاء السماوية هذه، عن الشرطة الإلهية لمكافحة التدخين.

قلت:

- لا أظن أن هذا هو السبب، فوادي "هيالتادالور" ليس ضيقًا لدرجة حجب الإشارة. هذه القمم ليست عالية كفاية.

حاولت أن أقول بأسلوبٍ مسرحي:

- إنها تشبه أثداءً محشوة بالسليكون تبرز من جسد الأرض.

ضحكت "يوا" وهي تقول باشمئزازٍ مبالغ:

- لن تتغير أبدًا!

ثم ألقت نظرةً حولها، وأضافت:

- أنت محق، على الرغم من أدائك المبالغ فيه فإنها تشبه حقًّا تلك الأثداء.

تشهد الطبيعة على أنني و"يوا" نتشارك الذوق نفسه في الجمال الأنثوي.

تنهَّدتُ وقلتُ:

- ربما تكره الأرض الذبذبات الإلكترونية الدائمة. من يلومها؟

التقطت التليفون اللعين مجدداً واتصلت بـ"أوسبيورن".

قال بغضب:

-

لماذا أغلقت الخط في وجهي؟

-

أنا لم أغلق الخط. لا بد أنك ضغطت زرًّا ما بالخطأ.

-

أنا لم أضغط أي أزرار.

-

بل فعلت.

-

أنت من ضغط زرًّا ما بالخطأ حتمًا. فأنت جاهلٌ تمامًا بالموبايلات.

غمزت لـ"يوا" ثم قلت له:

-

حسنًا، حسنًا. هذا يكفي. ماذا عن الحادثة؟

-

سقطت امرأة في نهر "يوكولساو" وربما تكون قد غرقت. هل يمكنك تغطية الأخبار؟

-

نعم، نعم.

سأل "أوسبيورن":

-

أين أنت؟

-

في وادي "هيالتادالور". لقد غادرنا منطقة "هولار" فور الانتهاء من التحقيق الصحفي مع طلاب الثانوية من مدينة "أكوريري".

-

لست بعيدًا عن موقع الحدث. الإسعاف والشرطة في طريقهما إلى هناك، وربما يكونان قد وصلا إلى "فارماخليز" بالفعل. أنا أجمع الناس العائدين من جولتهم في البراري بسيارات الدفع الرباعي لاستقبال سيارة الإسعاف.

-

عن أي جولة براري تتحدث؟

-

إنها جولة في البراري نظمتها إحدى الشركات في مدينة "أكوريري".

-

هل تعني تلك الجولات الهادفة لتعزيز روابط التعاون؟ حفلة شرب على هيئة أنشطة لدعم روح الفريق؟

لا أعرف. يا لروحك المرحة يا "إينار". لدينا فرصة الحصول على سبقٍ صحفي بالصور والحوارات الصحفية. لذلك اخرس وباشر العمل.

لن أتراجع إذاً. قلت له:

- يبدو لي يا "أوسبيورن" أن فرع جريدتنا في "أكوريري" سيقوم بنزهته الخاصة لدعم روح الفريق من خلال رفع الروح المعنوية وتعزيز التضامن والتحفيز على العمل وتقوية الروابط.

لم يرد، فسألته:

- ما رأيك؟ هل ننطلق إلى مغامرة في البراري؟ تحت قيادتك الجريئة والصارمة؟

لا يوجد رد. إمَّا أنه أغلق الخط أو ضغط زرًّا بالخطأ.

غنيتُ بشرود أغنية "عائدٌ من "هولار" إلى المنزل". كنت أتذكر نغمة أغنية الحضانة القديمة تلك عندما مررت بلافتة على الطريق تقول: "إلى هولار". توقف المطر فظهرت الحقول الصفراء الموحلة تحت السماء الرمادية، وبرز من العدم صليبٌ وحيد في هذا المكان النائي. تلاصقت الخيول معًا ووقفت بثباتٍ وجمود. في مرآة الرؤية الخلفية رأيت برج كاتدرائية "هولار" يقف كالقلم الرصاص منفصلاً عن الكاتدرائية التي تشبه الممحاة.

أراد الطلاب المتفائلون لمدرسة "أكوريري" الثانوية القيام بالعرض الأول لنسختهم من مسرحية "الساحر لوفتر" هناك. أخبروني في التحقيق الصحفي أن

الخطة لم تنجح. أراها فكرةً رائعة، لأن أحداث المسرحية القديمة تحدث أصلًا في "هولار" وفي الكاتدرائية. لكن ما أدراني أنا؟ أنا لم أقرأ أو أشاهد المسرحية حتى. ولست من مسؤولي الكنيسة حتى أهتم بفداحة مسرحيةٍ عن رجلٍ يبيع روحه للشيطان داخل كنيسة. تم السماح للطلاب باستخدام القاعة الرياضية في كلية "هولار" كتعويضٍ لهم. تقع القاعة الرياضية وسط المباني المتنوعة في الحرم الجامعي الصغير. وتتميز هذه المباني بأساليب البناء الحديثة، كما تشمل بيتًا ريفيًّا قديمًا. باختصار، هذا الحرم الجامعي هو موجزٌ لتاريخ العمارة الأيسلندية، وبالتأكيد الطابع الأيسلندي.

أتساءل هل كنت سأحظى بالسلام النفسي لو درست شيئًا مثل تربية الخيول في كلية "هولار". هل كانت ستمنحني التوازن المطلوب؟ أعني الثبات والتروي اللذين ألاحظهما في الخيول التي تركض كتماثيلٍ مشعرة وتمر بجواري، بينما أقود في منطقة "سكاجافيرزر".

سألتني "يوا" فجأة:

- لماذا لا تبذل جهدًا؟

قلتُ بدهشة:

-

في تربية الخيول؟

-

لا أيها الأحمق. قصدت التفاهم مع "أوسبيورن" العجوز المسكين. أعني أن عليكما العمل معًا هنا في الشمال. لماذا لا تبذل جهدًا في التفاهم معه؟

-

لا أظنني أريد ذلك. لو تفاهمت معه سأكون شخصًا مختلفًا تمامًا. إنه على حاله، وأنا على حالي.

شعرت بها وهي تنظر إليَّ بدهشةٍ واعتراض، ثم تمتمت:

- ربما بعض التغيير في شخصيتك سيكون مفيدًا لك.

قلتُ للتوضيح:

- هذا الرجل اللعين مُملٌ للغاية. أم أنكِ معجبةٌ به؟

صمتت قليلًا ثم كررت جملتي:

-

إنه على حاله.

-

رأيتِ؟ نحن متفقان.

-

لا، لسنا كذلك. أنت مزعج أيضًا. وهو رجلٌ محطم. لقد خسر وظيفته كمحرر أخبار...

قاطعتها:

- نعم. لحسن الحظ يتم اتخاذ القرارات الصائبة أحياناً.

واصلت كلامها وكأني لم أقاطعها:

-.. وتم إرساله إلى أقاصي الشمال معك أنت بالذات.

- إنه عقابٌ شديد لكلينا.

عدت أفكر في الخيول. يقول المثل: "يمكنك أن تقود الحصان إلى الماء، لكن لا يمكنك إجباره على الشرب". شركة الإعلام التي اشترت خمسين بالمائة من شركة أخبار "أفتر نون بريس" قد يكونون أوغاداً، لكنهم على الأقل أدركوا أن "أوسبيورن" ليس أهلاً للعمل كمحرر أخبار. أمَّا جعله رئيسًا لفرع "أكوريري" الجديد، فهذا أمرٌ آخر. وكذلك أيضًا إعطاء عمله القديم للوجه التليفزيوني السابق "تراوستي لوق". كلا القرارين هدفه جعل الجريدة أكثر حداثة. ودوري في هذا التحديث؟ حسناً، إنهم أوغادٌ كما قلت.

هزَّت "يوا" رأسها قائلة:

- أنتما كولدين صغيرين ظلا يتعاركان حتى نسيا سبب العراك.

إنها محقةٌ تمامًا كالعادة. لكن كيف سأمضي وقتي حين تعود إلى الجنوب بحق الجحيم؟

عندما قدنا على الجسر لنعبر نهر "هيراتسفوتن"، رأينا حشداً من الناس خارج المقهى في قرية "فارماخليز" على الجانب الآخر من النهر. هناك أربع سيارات دفعٍ رباعي محاطة بسياراتٍ أخرى في الجراچ، وهناك سيارة شرطة وإسعاف

أمام المبنى.

علقتُ قائلًا:

- حسنًا، مؤكد كل هؤلاء الناس لا يعيشون في قرية "فارماخليز"، صحيح؟

ردت "يوا":

-

إنهم زُوَّارٌ على الأرجح، يقضون إجازة عيد الفصح وسط الريف. وأظن أيضًا أنهم أفراد جولة البراري.

-

إنهم من يرتدون العباءات المكسيكية.

بعض الأشخاص في الحشد بدوا مثل المناطيد بثيابهم الزرقاء المضادة للماء، وهناك اثنان أو ثلاثة يرتدون سترات النجاة. بعضهم يرتدي خوذاتٍ حمراء. من الواضح أنهم انطلقوا على عجل دون وقتٍ لتغيير ملابسهم. عندما اقتربنا لاحظنا أنهم غاضبون. معظمهم يقف في مجموعاتٍ ثلاثية حول سيارة الإسعاف، إما يبكون، أو يواسون من يبكي. رأيت داخل سيارة الإسعاف اثنين بملابس زرقاء مع رجلٍ وامرأة بملابس بيضاء.

توقفنا وأمسكت "يوا" بالكاميرا.

قال "سيجورباوتل":

- لقد سقطت فجأة. لم أفهم ما حدث.

"سيجورباوتل" هو رجلٌ طويل وبدين في منتصف العمر، وجهه مجعد، وشعره وذقنه أشعثان، ولونهما أحمر، بدأ يميل إلى الرمادي. "سيجورباوتل إينارسون" هو ملك شركة "سيجورباوتل إينارسون للجولات البرية". بدا جسده قويًّا تحت الثياب الواسعة المضادة للماء، لكن شفتيه كانتا ترتجفان.

قال:

- هذا لم يحدث لي من قبل قط. كل شيءٍ كان يسير على ما يرام. المجموعة كانت مستمتعة.

حاصرته عند سيارة الإسعاف، وسألته:

- هل أنت المسؤول؟

أومأ ببطءٍ برأسه ذي الشعر الأشعث ثم هزَّه ببطءٍ أيضًا، وكأنه فقد إدراكه للعالم. الجميع مصدوم لدرجة أنهم عاجزون عن الإدلاء بمعلومات مفهومة. يجب أن أحاول معرفة ما حدث. سألته:

- ماذا حدث قبل الحادث؟ ما نوع الرحلة؟

صمت ثانيةً، ثم قال:

- إنها جولةٌ في البراري. لقد نظمت العشرات، بل المئات منها على مدى الخمس سنوات الماضية. جميعها متشابهة. كنا نبحر في منحدرات نهر "يوكولساو" عندما سقطت فجأة من على الطوف.

سألته:

-

أليس الوقت باكرًا على التزلج بالطوف؟ إنه نشاطٌ صيفي، صحيح؟

-

نعم، لا نبدؤه عادةً حتى شهر مايو. لكن الجو كان مناسبًا وهادئًا، لذلك لا فائدة من الانتظار أسبوعين أو ثلاثة. الأحوال الجوية كانت مثالية اليوم. تم تكليفي بتنظيم رحلةٍ من أجل الشركة، وقمت بذلك كالمعتاد. نظمت الأنشطة الجماعية والطعام والشراب والتزلج بالطوف في النهر البارد والقفز من على المنحدر، وهكذا. نهر "يوكولساو" مناسبٌ تمامًا للمبتدئين.

-

شراب؟ هل تعني خمورًا؟

تنهَّد "سيجورباوتل"، وقال:

- نحن نقدِّم الكاكاو الساخن.

انتظرته ليكمل، لكنه لم يفعل، فسألته:

- هل كانوا سكارى؟

تفاجأ "سيجورباوتل" وظهرت نظرة ارتيابٍ في عينيه وهو يقول:

-

من أنت على أي حال؟

-

لقد قدمت نفسي. اسمي "إينار". أنا صحفي في جريدة "أفتر نون نيوز". لقد افتتحنا فرعًا جديدًا في "أكوريري".

قال بغضب:

- لماذا لا تنشغل بأخبار الفضائح في الجنوب؟ ألا يوجد ما يكفيك من الأخبار القذرة؟

لا أحب ما تحول إليه الحديث. فاقتبست جملةً من أحد القادة كتبها المحرر "هانس" في الجريدة منذ بضعة أيام، وقلت:

- تريد "أفتر نون نيوز" توسيع تغطية أخبار التغييرات الجذرية التي تحدث في هذه المناطق. كما ترغب في تقديم خدمةٍ أفضل للسكان هنا.

سألني:

- أنت لن تضخم الحادث، صحيح؟

الآن صار صوته مضطربًا مع شفتيه المرتجفتين.

يبدو أنه يفقد السيطرة على أعصابه، فقلت متظاهرًا بالهدوء:

- على الإطلاق. أنا أجمع معلوماتٍ دقيقةً عن الحادث. اسم الشركة على سبيل المثال.

نظرتُ إلى حشد الناس المكتئبين من حولي. لا يبدو أحدهم سكرانَ. لاحظتُ "يوا" وهي منشغلة بالتقاط الصور خفية.

قال "سيجورباوتل" بتردد:

-

إنهم من مصنع "يام" للحلوى في "أكوريري".

-

كم عدد المجموعة؟

-

نحو ثلاثين شخصًا. أحضر بعضهم أزواجهم وزوجاتهم.

سألته:

-

أليس هذا غريبًا بالنسبة لرحلةٍ لدعم روح الفريق؟

-

نعم، إلى حدٍ ما. لكن يفترض أنها أيضًا حفلة الموظفين السنوية يليها عشاء في "أكوريري" هذا المساء.

واصل كلامه:

-

لا أعرف إن كنا سنقوم بالعشاء أم لا.

-

لكن لم يمت أحدهم، صحيح؟

الآن أصبح "سيجورباوتل" يرتجف من رأسه حتى قدميه.

سألته:

-

من المرأة التي سقطت في النهر؟

-

إنها زوجة الرئيس. لا أذكر اسمها.

-

وماذا عنه؟

-

اسمه "أوسجير إفينتارسون". إنه في سيارة الإسعاف. وهو فاقد الوعي مثلها.

سألته:

- ماذا؟ ماذا حدث له؟

رد "سيجورباوتل":

- قفز خلفها.

ثم سال الكلام منه كالطوفان:

-

كنت في مقدمة القارب ولم ألحظ ما حدث إلا متأخراً. قفز في الماء، لكنه لم يصل إليها. جرفها التيار، ثم جرفه. مضى بضع دقائق قبل أن ننتشلهما.

-

كم دقيقة في رأيك؟

-

لا أعرف. ربما خمس، أو أكثر. كل شيءٍ حدث بسرعة.

-

ألم يكونا يرتديان سترتي النجاة؟

نظر إليّ باحتقارٍ، وقال:

- بالطبع، كانا يفعلان.

نظر للأسفل وركل حصاة بعنفٍ نحو النهر، ثم أسرع إلى استراحة الطريق.

وقفت "يوا" عند مدخل الباب تأكل الآيس كريم. أؤمن بأن بعض الناس يكونون أكثر هدوءًا من غيرهم في المواقف الصعبة. لكنني لم أضحك على الأمر. كنت أحاول التّحدُّث مع شرطيين يجلسان في سيارتهما.

قال السائق:

- نحن ذاهبان. يمكنك التواصل مع قسم الشرطة في "أكوريري" لاحقًا اليوم، أو مع المستشفى.

فجأة، ترددت صيحة ألمٍ بصوتٍ ذكوري من سيارة الإسعاف. لا أعرف إن كان الألم نفسيًّا أم جسديًّا. استدار الجميع بصدمةٍ ليرى ما الأمر. في تلك اللحظة انطلقت سيارة الشرطة وتبعتها سيارة الإسعاف. شاهدتهما يعبران النهر. اشتغلت صافرات السيارتين، وعلت الضوضاء التي لا يمكن اعتيادها أبدًا وتردد صداها وسط الريف المسالم.

2 السبت

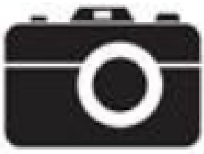

الجبال والتلال التي تبدو من السماء مُدبَّبةً كحدِّ السكين، تبدو آمنة وصدئة قليلاً ومتهالكة عند النظر إليها من الأرض. عندما طرت إلى "أكوريري" منذ أسبوع بدا الثلج المتساقط في الوديان أشبه بخطوطٍ بيضاء على سترةٍ صوفية رمادية. نقود الآن عبر وادي "أوكس ناتالور" متجهين إلى "أكوريري". ساحت الثلوج ولم يتبقَ منها سوى بعض البرك المتناثرة عند سفح الجبل. مررنا بالبيت الريفي، فرأينا أكوام القش الملفوفة بقطع البلاستيك البيضاء والمتناثرة في الحقول العشبية الذابلة. إنها الدليل الوحيد على أن المنطقة مأهولة بالسكان.

ستستولىَّ البنوك قريبًا على معظم المزارع، أو قد يسلبها أثرياء أيسلندا الذين يعتبرون المستقبل مجرد فرص لتوسيع وحدات الإنتاج وزيادة الربح وتحسين التقارير المالية السنوية.

تناثرت الحجارة التي كانت تحدد علامات الطريق في الجبال. أصبحت رمزًا لمرور الزمن على أيسلندا التي لن تعود كما كانت أبدًا.

أخرجتني "يوا" من تأملاتي عندما أحضرت كيسًا من المقهى الذي على الطريق في قرية "مارماخيت". ثم أخرجت منه بيضتي شوكولاتة صغيرتين وأعطتني واحدة. قلت لها:

- لم يحن الأوان بعد، صحيح؟ بقي أسبوعٌ كامل على عيد الفصح. اشتريتها بمناسبة عيد الفصح يوم الأحد، صحيح؟

أجابت "يوا":

- تفكيرك قديم. كل شيءٍ مباحٌ الآن.

حديثها عن الزمن يذكرني بتأملاتي منذ قليل.

بدأت بأكل بيضتها بالفعل. أوضحت لها أنه لا يمكنني القيادة وفتح غلاف البيضة في الوقت نفسه. ففتحتها وأعطتني الورقة المكتوب فيها الحكمة التي توضع داخل البيضة.

سألتني:

-

ما المكتوب؟

-

مكتوب: "كما تُدين تُدان".

ضحكت بشدة وتناثرت قطعٌ من الشوكولاتة من فمها دن قصد، وقالت:

- تمامًا!

هممتُ بسُخرية ثم ألقيتُ بالورقة من النافذة، وسألتها:

-

ما المكتوب في ورقتكِ؟

-

"كن قويًّا لتحتمل الأوقات السعيدة".

قلت مبتسمًا:

- تذكري يا عزيزتي "يوا" أن أوقاتكِ السعيدة في الشمال معي ومع "أوسبيورن" تبدأ اليوم، لكنها لن تستمر إلى الأبد. عليكِ أن تكوني قويةً يا عزيزتي.

هزت رأسها بمرحٍ قائلة:

- على الأقل لا أفزع من أي مكان خارج المدينة مثل بعض الناس.

سألتُ متظاهراً بالشعور بالإهانة:

- هل تقصدينني أنا؟ لا أعرف حتى معنى كلامكِ. ما أعرفه هو أنني محبٌ للمدينة بطبيعتي.

وأعرف أيضًا أن ذلك المنفى قد يفيدني، لكن لن أخبر "يوا" بهذا أبدًا. لم أخبر "هانس" أيضًا عندما أبلغني بقرار النقل. نعم، "أبلغني" فقط. جادلته بلا هدف دون أن أعرف السبب حتى. انحنى "هانس" على مكتبه الخشبي المخدوش وهو يمسك بسيجارة سميكة بيده اليمنى بين سبابته ووسطاه. ثم نفض الرماد في منفضة السجائر ونظر إليَّ بعينيه الزرقاوين وقال:

- عزيزي "إينار".

عندما يحدثني هكذا أعرف أنه لا خيار لديَّ سوى تنفيذ أوامره.

- عزيزي "إينار"، أريدك أن تقوم بذلك...

وهذا ما حدث. تركت حياتي القديمة وصفحة الحوادث في العاصمة وانتقلت لأجلٍ غير مسمى بهدف "تقوية مركز الجريدة في شمال وشرق البلاد أثناء فترة التغيُّرات والتطورات السريعة التي تحدث هناك"، كما قال "هانس" في مقال رئيس التحرير الخاص به في الجريدة. أصبحتُ مسؤولًا عن جمع الأخبار، بينما يتولى "أوسبيورن" إدارة المكتب والمبيعات والتسويق. ستكون "يوا" المصورة التابعة لنا في الوقت الحالي. يدرك "هانس" تمامًا أنني و"أوسبيورن" لا نتفق. "أوسبيورن" خاضعٌ ومتردد، بينما عليه أن يكون جريئًا وحازمًا وعنيدًا وقويًّا ومتفتح العقل ومرنًا. إنه يغضب عندما أخبره ذلك.

واصل "هانس":

- أعرف أنكما ثنائي غريب. لكن "أوسبيورن" وُلِد وتربى في الشرق، وارتاد مدرسة "أكوريري" الثانوية. لذلك هو ملمٌ بالمنطقة هناك. وأنت أفضل صائد أخبارٍ لدينا...

اللعنة.

-... وأنت أكثر من أثق به لجمع الأخبار المهمة. كما أنك تعيد تنظيم حياتك.

ذلك الوغد.

- سيكون لديك ما يشغلك تمامًا، هو ما سيساعدك على محاربة مخاوفك. هكذا تعاملت مع مشكلاتي المماثلة قبل دخولنا القرن الجديد.

تبًّا.

- هذا ما قررناه أنا و"هيرمان".

يا إلهي. فكرت في المدير التنفيذي الجديد لجريدة "أفتر نون نيوز" ونائب مجلس الإدارة "هيرمان جوتفينسون". لقد حصل على منصبه بعدما تلاعب "هانس" ليقوم بالدمج مع شركة "أيسلانديك ميديا" التي يملكها الثري "أوليفر مارجريتارسون". وهكذا تأسست "مؤسسة أيسلانديك ميديا". كان "هيرمان" خبيراً اقتصاديًّا محترمًا، لكنه أُدين بقتل زوجته منذ عشرين عامًا. والآن صار موظفًا صالحًا في خدمة الرب. ما لا أعرفه بالضبط هو إلى أي حد قد يصل لخدمة هذا "الرب". هذا ليس من شأني بأي حال.

استمر "هانس" بالكلام وهو ينفث دخان سيجارته:

- لا يمكننا الآن الاهتمام بالمشكلات الشخصية بينك وبين "أوسبيورن" فيما ينهار المجتمع، وخاصةً في مجال الإعلام. نحن نخوض معركة، وعلينا أن نتكاتف جميعًا ونتَّحد. ومن يرفض التعاون سيرحل عن الفريق. كما تعلم، لم يكن "أوسبيورن" بارعًا كمحرر أخبار. ليس في رأيي على أي حال. لذلك سأعفيه من هذه الوظيفة...

قاطعته:

- لستُ واثقًا من كفاءة من سيأتي بعده.

قال "هانس":

- لقد عرضنا عليك الوظيفة وأنت رفضتها.

قلت لنفسي إنه أفضل قرارٍ اتخذته في حياتي.

واصل "هانس" كلامه:

- أعتقد أن قدرات "أوسبيورن" وانتباهه إلى التفاصيل ومهاراته التنظيمية ستفيده في عمله الجديد، بدلًا من أن يتولَّ الأعمال التافهة هنا في الفرع الرئيسي. ستذهبان معًا إلى الشمال.

أضفت:

- وإلى أعماق الظلام.

لم أكن واثقًا من أنني عنيتُ ذلك بالمعنى الحرفي. لم أكن واثقًا من أي شيء. ربما يكون مفيدًا تجربة ما لم تجربه من قبل والاستمرار في المحاولة.

كنت أفكر في أكبر خسائري بسبب هذا المنفى، ابنتي "جونسا". عزائي الوحيد هو أنها تخطط لزيارتي في عيد الفصح. كما يمكنني دومًا السفر فجأة إلى الجنوب.

اقتربت الساعة من السادسة حين كنا نقود عند مضيق "إيافيرزر" بالقرب من ملتقى "ليتارباير"، حيث كان يتجمع السكان في الماضي قبل ظهور البارات والنوادي في أيسلندا. الآن أصبح مهجوراً.

شغلت الراديو لأسمع أخبار المساء.

انسابت كلمات أغنية الـ"راب" القديمة وسط الصمت القائم بيني وبين "يوا" التي كانت تجلس بنعاسٍ بجواري قبل أن تنفعل مع نهاية الأغنية:

"حين نظرت من نافذتي

وجدت الكثير لأراه

وحين نظرت بداخلي

وجدتني مزيجًا من الشخصيات

هذا غريب، حقًّا غريب...".

قال مذيع الراديو الذي يبث من "أكوريري" عاصمة شمال أيسلندا:

"استمعنا إلى أغنية "لا بد أنه موسم الساحرة" بصوت "دونوفان". الأغنية مهداة إلى "سكارفيتين" وباقي طلاب جماعة المسرح بمدرسة "أكوريري" الثانوية والذين سيقدمون عرضهم الأول لمسرحية "الساحر لوفتر" في "هولار" يوم "خميس العهد". بالنسبة لأغنيتنا الأخيرة هذا السبت قبل "أحد السعف"، إليكم أغنية أخرى من أغاني "دونوفان". شكرًا لاستماعكم، وإلى اللقاء".

تمتمت "يوا":

- شكرًا لك أيضًا.

تردد الغناء الناعم يصاحبه في البداية صوت جيتارٍ هادئ، ثم تدخلت أنغام البيانو:

" قارة أطلانطس كانت جزيرة

أغرقها طوفان عظيم

رقدت في المحيط الأطلسي

يا لها من أرضٍ عظيمة

انطلق البحارة من شواطئها الغربية

براحةٍ إلى أمريكا الشمالية والجنوبية

في سفنهم ذات الأشرعة الملونة...".

يا لها من صورةٍ جميلةٍ سأسرح فيها.

قالت "يوا" فجأة:

- زعم الكثير من الناس أنهم وجدوا آثارًا من أطلانطس هنا وهناك. أتذكر أن أمريكي قال إنه اكتشف أطلالًا باستخدام موجات السونار على قاع البحر المتوسط بالقرب من ساحل قبرص. وهناك باحث ألماني كشف عن أطلانطس باستخدام صور الأقمار الصناعية على سهول الملح جنوب إسبانيا. وقال سويدي إن الأوصاف تتوافق أكثر مع أيرلندا. إنها مسألة وقت حتى يزعم أحدهم أن أطلانطس موجودة في أيسلندا؟ نحن ندعي دومًا إيجاد ما نريد.

علقت:

-

لستُ محظوظًا في ذلك.

-

هذا لأنك لا تعرف ماذا تريد.

-

نعم. لكن أي أوصافٍ تقصدين؟ هل هناك سجلات لأطلانطس؟ ألا يفترض أنها غرقت بالكامل في أعماق المحيط منذ اثنتي عشرة ألف سنة؟

ردت "إينار" بنبرةٍ ناضجة كأنها أمي تعلمني:

-

إنها أسطورة يا "إينار". بحسب ما أذكر، إن آلهة الأساطير الإغريقية تتصف بالجشع والفساد وتصرفت بشرٍ مع سكان هذه الأرض الذين ينعمون بالخيرات. فأرسلت موجةً عاتيةً لتدمير أطلانطس. ومنذ ذلك الوقت يبحث الناس عن الجزيرة المفقودة.

-

كيف تعرفين الكثير عن الأساطير الإغريقية؟

صاحت "يوا" مع المغني والموسيقى:

- تحيا أطلانطس!

ثم قالت:

- أعرف الكثير من الأمور، لكنك لا تلاحظ. لقد قرأت كتابات "أفلاطون" أيضًا. هل فعلت أنت؟

أجبت بتعالٍ:

-

نعم، قرأتها في المرحلة الثانوية. إنه فيلسوفٌ إغريقي؟ عرف تلك الأمور. لكن ما علاقته بأطلانطس؟

-

إنه أول من كتب تقريراً يصف أطلانطس. وقد كان واحدًا منا.

سألتها بينما نمر بلافتة تقول: "مرحبًا في أكوريري":

- واحد منا؟ أم واحد منكم؟

قالت ضاحكة:

- كلاهما!

لا يوجد في أخبار المساء أي خبرٍ عن امرأة فقدت الوعي بعد سقوطها في نهر "يوكولساو" المندفع.

* * *

وجد "أوسبيورن" مقراً لمكتبنا وسط البلدة تمامًا. يتكون مقر جريدة "أفتر نون نيوز" من ثلاثة مكاتب وصالة استقبال واستراحة وحمَّام. ويتواجد في الطابق العلوي من مبنى خشبي مغطًّى بالحديد الأحمر المموج. يقع المبنى في ميدان "راوتهوستورج" المعروف باسم ميدان البلدية، عند ناصية شارعي "هافنارسترايتي" و"بريكوجاتا". كالعادة لم يبذِّر "أوسبيورن" المال على التجديدات. حين يتم افتتاح نادٍ جديدٍ، تتم إزالة كل الأثاث القديم وتجديد المكان. لكن "أوسبيورن" لا يرى مكتب جريدتنا كنادٍ ترفيهي، بل كمقر عمل. وهكذا انتقلنا مباشرةً إلى المكاتب التي شغلها في السابق تاجر جملة. كان الدهان الأصفر الفاقع يتساقط من على الجدران. سكن "أوسبيورن" وزوجته في الطابق الذي يعلونا.

الأوضاع هادئة في "أكوريري" مساء السبت. تم توصيل الطبعة المسائية من الجريدة لمن طلبها. لكن "أوسبيورن" ما زال جالسًا أمام الكمبيوتر في مكتبه.

عندما طرقت بابه المفتوح سألني دون أن ينظر:

-

كيف سار الأمر؟

-

التقطت "يوا" بعض الصور وقمت بمقابلة مع منظم الرحلة على مضض. قد لا يكون شخصًا اجتماعيًّا، لكنه بحاجةٍ إلى استشارة طبيبٍ نفسي بعد الحادث، مثلهم جميعًا.

علق بجفاف:

- يمكنك التَّحدُّث مع "تراوستي" بشأن ذلك. لقد اتصل وطلب منك معاودة الاتصال به.

لا أملك رأيًا جيدًا حول "أوسبيورن"، لذلك لست واثقًا بعد من رأيي في محرر الأخبار خليفته. عمل "تراوستي لوق" سابقًا مع "أوسبيورن" ومعي مؤقتًا في الصيف. بدأنا أنا وهو - بالصدفة البحتة - مسيرتنا الصحفية معًا في جريدة "بيبولز تايمز" التي أغلقت مؤخرًا. لاحقًا أصبح مراسلًا تليفزيونيًّا، وتم اختياره مرة في استفتاءٍ شعبي كأكثر الرجال الأيسلنديين جاذبية.

سمعت باب المكتب ينفتح ثم يعقبه صياحٌ حاد. تردَّد صوتٌ أجشُّ لامرأةٍ تنادي:

- "أوسبيورن"!

أسرع "أوسبيورن" بالنهوض وأطفأ الكمبيوتر. جسده بدين ومترهل. خلع

الشبشب الأخضر الذي أحضره معه - للأسف - من المقر الرئيسي في "ريكيافيك". ثم لبس الحذاء الفرو ذا الرقبة. أحيانًا يشبه "أوسبيورن" حبة طماطم مستوية تمشي على قدمين وترتدي "شبشبًا" أخضرَ. لوهلة قصيرة شعرت نحوه بالشفقة أو حتى التعاطف.

وجهه منتفخٌ ومُرهقٌ، وشعره الأسود أشعث ومتعرق. نظر إليَّ وقال بجفاءٍ:

- من فضلك لا تغلق موبايلك. لا أريد التَّحدُّث إلى "تراوستي" عن الأمر. يكفيني ما لديَّ.

أومأت ورافقته إلى صالة الاستقبال الصغيرة. كانت "يوا" جالسة تشرب القهوة، بينما تشاهد الأخبار على قناة "فيچن 2" الجديدة التابعة لجريدة "أفتر نون نيوز". "كارولينا"، زوجة "أوسبيورن"، كانت تحوم حول مكتب الاستقبال، حيث تساعد أحيانًا، وتتصفح الطبعة المسائية من جريدة "مورنينج تايمز" التي تمَّت طباعتها وتوزيعها مساء السبت. لديهما كلب هجين صغير أبيض اللون وفروه مقصوص ما عدا فوق رأسه. كان مربوطًا في رجل مائدة القهوة الصغيرة في ركن الانتظار. اسمه "بال"، وهو صامتٌ الآن، لكنه هز ذيله بشدَّة عندما رأى مالكه الآخر يقترب.

قالت "كارولينا":

- انظر يا "بال"، لقد وصل صاحبك.

لو أن لـ"أوسبيورن" ذيلًا، لقام بهزِّه هو أيضًا. فنباح الكلب السعيد وتلويحه بلسانه كافيان لإسعاد "أوسبيورن".

قالت السيدة الممسكة بجريدة "مورنينج تايمز" بصوتٍ مسموع للجميع:

- صاحبك سيأخذ صاحبتك إلى مطعم "باوتين جريل"، وسيحصل "بال" على حلوى.

سألتُ "يوا":

- هل من أخبارٍ على قناة "فيچن 2"؟

أجابت وهي ترمق الكلب وصاحبه:

-

لا شيء.

-

شكرًا على المعلومة.

سألت "أوسبيورن" الذي كان يفك حبل الكلب:

- كيف عرفت بالأمر؟

أجاب بغرور:

- لديَّ مصادري.

لمحت "كارولينا" تترك الجريدة وتنظر إلينا بدهشة. لا أعلم الكثير عن زواجهما ما عدا أنهما بلا أطفال. لا أعرف الزوجة جيدًا. مجرد مصافحتها في العشاء الراقص السنوي للجريدة تجعلني أنقبض. لقد تخطت الخامسة والثلاثين، مثلي

ومثل زوجها. صوتها الرتيب لا يناسب مظهرها. إنها طويلة وكانت رفيعة سابقًا، لكنها الآن تزداد وزنًا عند الخصر. رقبتها طويلة وأنفها معقوفة، لذلك تشبه الطيور قليلًا. ملامحها جميلة وشعرها قصيرٌ وأملس، كما أنها شديدة البياض. أشعر دومًا أن "كارولينا" ستنفجر من الضغط النفسي، مثل طائرٍ وقع في فخٍ ويتوق للطيران.

عندما غادر الزوجان مع الكلب، أخبرت "يوا" أنه عليَّ الاتصال بمحرر الأخبار الجديد. سخرت مِنِّي وشغلت القناة الإخبارية الوطنية.

مكتبي صغير. انتقلت إليه منذ أسبوعٍ فقط، لكنه يبدو وكأنه يتم استخدامه منذ وقتٍ طويلٍ بالفعل. هناك ثلاثة رفوفٍ مثبتة في الحائط مكدسة بالجرائد والكتب والأوراق وأقراص الكمبيوتر والمذكرات القديمة وغيرها من الأشياء التافهة. علقت ملصقي القديم المكتوب فيه حكمة: "المكتب المرتب دليلٌ على عقلٍ مختل". وجدتُ أيضًا عندما وصلت صورةٌ قديمة لقوارب صيدٍ في ميناء "أكوريري". هذا ما أراه حولي بخلاف جدار المبنى المجاور.

أخرجت تليفوني من وسط الفوضى على مكتبي، ثم اتصلت بـ"تراوستي". أنا واثقٌ من أنه يتناول العشاء مع بعض الجميلات.

أجاب:

- معك "تراوستي".

سمعت الضوضاء المعتادة في البارات من دردشة وتلامس كؤوس.

قلت وأنا أشعل سيجارة:

- أنا "إينار". أردت التَّحدُّث إليَّ.

رد محرر الأخبار:

- مرحبًا يا صاحبي.

يا لها من كلمةٍ بغيضة.

يمكنني تخيله بثيابه العصرية وهو يتناول نبيذًا أحمرَ مع شريحة لحمٍ مغطاة بخمر الـ"براندي". إنه أسمر كبيضة عيد الفصح. أتساءل أي شعارٍ سيخبرني به؟ هل يمكن أن يكون شعار "أفتر نون نيوز" القديم؟ الذي نجا من الاضطرابات وعملية الدمج. علَّقه "أوسبيورن" بتعظيم على واجهة مقرنا في الشمال. إنه: "لتظهر الحقيقة".

أكمل الرجل بصوته الرنان الواثق والموحي، في رأي المشاهدين على الأقل:

-

أريدك أن تذهب غدًا مع "يوا" إلى "ريتارجيرتي". ساءت الأمور هناك بالأمس، وربما يتكرر الأمر الليلة. قد تخرج الأمور عن السيطرة في أي وقت. ربما نستخدم عنوان "شغبٌ في ريتارجيرتي" وما إلى ذلك.

-

هل تعني المزيد من المشاجرات؟ إنها إحدى حفلات السَمَر الأيسلندية المعتادة في الإجازة الأسبوعية يا "تراوستي". إنها تحدث منذ وصول أسلافنا الـ"فايكينج" إلى هنا.

-

لا. إنها مشاجرات بين الأيسلنديين والمهاجرين. لست كفئًا إن لم تلحظ الفرق يا صاحبي.

شعرت برغبةٍ عارمة في أن أخرج لساني له عبر السماعة بعدم اكتراث. لكنني قاومت، فالجماد لا ذنب له في أفعال البشر. قلت له بأدبٍ زائف:

- ربما لا تعرف أن جميع سكان أيسلندا كانوا من المهاجرين ذات يوم. أنت نفسك تنحدر من المهاجرين القدامى. فاسم "لوڤ" لا يبدو أيسلنديًّا بالنسبة إليَّ. أم أنني لا ألاحظ الفرق؟

صمت قليلًا. إما أنه يفكر في كلامي أو أنه يأكل قضمةً أخرى من شريحة اللحم. قال أخيراً:

-

الفرق هو أن ذلك في الماضي وهذا في الحاضر. مهمتك هي أن تنقل الحاضر للقارئ.

-

ما زال عليَّ كتابة مقالة عن المرأة التي سقطت في النهر المندفع...

-

هذا سيذاع في جميع نشرات الراديو والتليفزيون غدًا.

-

وكذلك مشاجرة السكارى في "ريتارجيرتي" أيضًا. لقد حصلت "يوا" على صورٍ حصرية للحادثة...

-

يمكنك متابعة أخبار الحادثة عبر التليفون، بينما تعمل على المشاجرة الأخرى...

ظللت أجادله:

- ألا يمكنني العمل على مشاجرة "ريتارجيرتي" عبر التليفون إذًا؟

لكان لطيفًا لو استطعت التَّنزُّه يوم الأحد في "مدينة الازدهار والحظ السعيد، مدينة التعليم والثقافة والأزهار"، إنها "أكوريري" كما وصفها الشاعر المحلي "دايفيد ستيفاونسون". ما أجمل الاستمتاع بهواء البحر في الميناء والنظر لمياه المضيق. ما أحلى السير في شارع "هافنارسترايتي" وتأمل حدائق "بوتانيكال"، ومشاهدة المدرسة الثانوية والبيوت الخشبية القديمة بجمالها والسخرية من المنازل الخرسانية الحديثة. ما أروع شرب كوبٍ من القهوة في ركن الفنانين، والصلاة نهارًا مع "يوا" في كنيسة "أكوريري" التي تقع ببرجيها على التل وكأنها على قمة الطريق إلى الجنة.

أو ربما القيام بأمرٍ أكثر رومانسية. أي شيءٍ غير القيادة إلى "ريتارجيرتي". ربما حتى أتعرف على الطريق بين بيتي والمكتب.

- أعلم أنك صعب المراس، لكنني لن أتحمل هذا الهراء. اذهب شرقًا مع "يوا"، وغدًا مساءً أريد مقالة تحتوي على صورٍ وتحقيقاتٍ صحفية ووصفًا للموقف من أجل طبعة يوم الإثنين. لا يمكنك فعل ذلك عبر التليفون.

أعلم أنه محق. قلت:

- حسنًا، سأفعل لأنك طلبت بلطف. لكنني مضطرٌ لإرسال المقالة صباح الإثنين، فالطريق يستغرق ثماني أو تسع ساعات للذهاب والعودة.

ضحك محرر الأخبار الجديد، وقال:

- يا صاحبي! نحن مؤسسة إعلامية عصرية متقدمة في التكنولوجيا. خذ الكمبيوتر المحمول واكتب المقال ثم أرسلها مع الصور. بعد ذلك عد إلى "أكوريري".

هذا المستبد اللعين على حقٍ مجددًا. بغض النظر عن التكنولوجيا الحديثة، أواجه صعوبة في الاعتياد على موعد الطبع الجديد في الجريدة. لقد أصبح في التاسعة بدلًا من الحادية عشرة. برر "هانس" هذا التغيير بقوله: "كما يحدث في الدول الأخرى". إنها العبارة التي يستخدمها كل من يحاول تبرير شيءٍ غير منطقي. في حالة جريدة "أفتر نون نيوز"، يتم إغلاقها في المساء السابق للنشر مع انعدام أي فرصةٍ لوضع قصةٍ جديدة في الصفحة الأولى في الصباح التالي. مما يعني أن اسم "أفتر نون نيوز" - الذي يعني "أخبار الظهيرة" - لم يعد اسمًا على مسمى أبدًا.

قلت:

- حسنًا. لكنك ستمنحني المزيد من الوقت بعد الإجازة الأسبوعية للعمل على موضوع طلاب الثانوية الذين سيعرضون مسرحية "الساحر لوفتر" في "هولار". العرض الأول سيكون في "خميس العهد".

ترددت ضحكات "تراوستي" في المطعم وهو يقول:

- "هاهاهاها لطيف! طلاب مدرسة سيعرضون مسرحية الساحر! نعم لا بأس، يمكنك الحصول على وقتٍ كثيرٍ للعمل على موضوعٍ مهمٍ كهذا. بالطبع! لمَ لا؟

هاهاها!".

لم أدعه يتخلص مِنّي بسهولة، فقلت:

- وأريد وقتًا للتحقيق في تجارة المخدرات المتزايدة في الشمال، كما طلبت من قبل.

لم يرد. لا يسمعني على الأرجح، فلقد سمعت ضحكاته مع امرأة. مما يعني أنه يصعب التَّحدُّث إليه الآن، فهو منشغلٌ معها.

قال "تراوستي" بمرح عندما عاد يحدثني:

-

هل اتفقنا إذًا يا صاحبي؟

-

لديَّ الحق في طلب إجازةٍ مثل باقي الناس، مثلك.

قال:

- مهما يكن، لا يهم.

* * *

طلبنا أنا و"يوا" بيتزا، وشاهدنا برنامج الأخبار الساخرة الأسبوعي الذي أعتبره أحيانًا أقرب إلى الحقيقة من برامج الأخبار الجادة. بعد ذلك ذهبنا إلى غرفتينا عند الساعة العاشرة. خلدتُ إلى النوم وبجواري ببغائي الأسترالي.

3 الأحد

لا تسيئوا فهمي بشأن الببغاء.

لقد رتَّب لي "أوسبيورن" إقامةً رخيصةً في بيتٍ في "ليتار"، إحدى المناطق الجديدة خلف نهر "جليراو"، بصفتي مراسل "أفتر نون نيوز" الشجاع في "أكوريري". إنه أكبر كثيراً من سكني الضيق في "ريكيافيك"، وهو فخمٌ مقارنةً به. المطبخ على يمين الصالة، ثم هناك غرفةٌ كبيرة للجلوس والسفرة تحتوي على تليفزيون وإستريو. هناك ثلاث غرفٍ وحمام إلى اليسار. اختارت "يوا" لنفسها الغرفة الأولى وأنا الأخيرة، وأتوقع أن تأخذ ابنتي "جونسا" الغرفة الوسطى عندما تأتي. كم أتطلع لزيارتها لي في عيد الفصح. أحياناً أشعر أنها أكثر نضجًا مني. وهناك أمرٌ أكيد؛ لو أنني مررت بتجاربها المخيفة في رحلات الشاطئ، لما كنت متزنًا عقليًّا مثلها الآن. لا أعرف من أين ورثت أعصابها الحديدية. بالتأكيد ليس مني، وليس من والدتها "جوتلا". أحياناً أظن أن الجينات تتغير بفضل الله.

لكن إقامتي ليست نعيماً.

الشقة ملكٌ لصديقةٍ قديمة لـ"أوسبيورن"، سافرت من أجل دراساتها العليا. الميزة هو أن الشقة تحتوي على كل شيءٍ تحتاج إليه في أي منزل. لكن عيبها هو أنها تحتوي على أكثر مما تريده في أي منزل. الدولاب في الغرفة الوسطى مليءٌ بالألعاب المحطمة، وهناك أكوامٌ من الثياب في دواليب غرفتي، كما يوجد ملصقٌ لعدم التدخين تم تجاهله فوراً. هذا بغض النظر عن تماثيل الإوز الخزفية وتماثيل الملائكة من البورسلين وتماثيل القطط الخزفية، لقد أوقعتها بالخطأ فتحطمت الأعناق والأجنحة والذيول، ثم حاولت أن ألصقها مجددًا. كل ذلك لا يهم، ما يهم حقًّا هو الببغاء الأصفر الذي يشاركني غرفتي. هذا المخلوق الصغير بحجم قبضة يدي، لكنه في غاية الحيوية والنشاط. إنه يعيش

في قفص موضوع على مائدةٍ صغيرةٍ في ركن الغرفة. تم تكليفي بمهمة إبقاء كتلة الريش هذا حيًّا. مطلوبٌ مِنِّي إطعامه صباحًا ومساءً من البذور المختلفة، وتغيير ماء الشرب بانتظام، وتغيير الرمل في قاع القفص. كما يفترض أن أحمِّمه في الحوض بين حينٍ وآخر. بالإضافة إلى أنه عليٍّ أن أغلق جميع النوافذ والمخارج عدة مرَّاتٍ في الأسبوع ثم أفتح القفص وأدعه يحلق كما يشاء لإعطائه شعورًا زائفًا بالحرية. أصبحت الراعي الصالح في حياة هذا الطائر الصغير. أكره أن أعيش في هذا الدور. لديَّ ما يكفيني من المتاعب عندما أحاول إقناع نفسي بأني حرٌ أيضًا.

بصراحة.. أنا منزعجٌ من "أوسبيورن" لأنه ورَّطني في هذه المسؤولية. عندما اقترحت أن يرعى هو أو امرأته الطائر الصغير، قال غاضبًا:

- هذه الشقة هي بيت هذا الببغاء. هل تريده أن يموت بسبب صدمة الانتقال؟ وكيف تظن أن كلبي "بال" سيتعامل معه؟ كن ممتنًا لأنني أخذت كل أواني النباتات التي تجب سقايتها.

لم أفكر في ذلك. جال بخاطري أن العلاقة بين الببغاء والكلب ربما تشبه العلاقة بيني وبين "أوسبيورن". لكن لا فائدة من التفكير بهذا.

بدلًا من هذا عليَّ أن أتبع التعليمات في قائمة المهام اليومية، وأن أستمع إلى زقزقة الطائر وصفيره يوميًّا، وأحيانًا يتحول صوته إلى صراخٍ غاضب يصحبه صوتٌ مزعج كالمدفع الرشاش.

لا أعرف إن كان رفيق غرفتي غير المرحب به ذكرًا أم أنثى؟ لا أعرف اسمه حتى. لكن بما أنني المسؤول عنه قررت أنها أنثى وسمَّيتها "بولي". ارتحت قليلًا عندما اتخذت القرار.

ربما ستحب "جونسا" الاهتمام بالطائر حين تأتي لزيارتي.

بأي حال، هذه هي قصة الببغاء.

انتهى الصمت السائد صباحًا بالتدريج مع شروق الشمس. إنه يومٌ جاف ودافئ.

سألتني "يوا" عن مستقبل البلدة بجوار بحيرة "ميفاتن"، بما أن استخراج "السيليكا" من قاع البحيرة أصبح من الماضي. أجبتها بسُخرية:

- من الواضح أنه يخططون للبدء بالإنتاج الصناعي هنا. المواد الخام ستكون البشر المرضى والمنتج سيكون البشر الأصحَّاء.

قدنا في طريق "فيكورسكارز"، ومررنا ببحيرة "ليوسافاتن" وشلالات "جوزافوس"، وعبرنا أراضي "ريكيازيتي" ووادي "ريكياتالور". سنغادر منطقة "ميفاتن" ونعبر براري الجبل لنصل إلى بلدة "إيلستازير". أشارت "يوا" إلى الخريطة لترشدني. يمكنك التحرك في العاصمة "ريكيافيك" مغمض العينين، لكن أسماء الأماكن الكثيرة هذه تربكني.

قالت "يوا":

- حسنًا، حسنًا. أنت تقصد صناعة صديقة للبيئة بدلًا من التلوث. هل هذا ما يطلقونه عليها؟ الاهتمام بالطبيعة بدلًا من تدميرها؟

أومأت بينما أقود وقلتُ:

- على الأرجح إنهم يميلون إلى صناعة الألومونيوم أو الصلب أو المباني الضخمة البشعة. هؤلاء الناس في "ريتارجيرتي" يفكرون بتنمية الاقتصاد المحلي عن طريق بناء منتجعٍ سياحي وسط الطبيعة. ذهبت إلى هناك الصيف الماضي. ذهبت إلى هناك الشتاء الماضي أثناء العمل في تحقيقٍ صحفي آخر، أو ربما كان التحقيق نفسه.. لا أذكر. قابلت العمدة ورئيس المجلس، وقالا إنهما يأملان كثيراً في جذب المستثمرين ورئيس المجتمع المحلي، "أوسيريمور بيترسون"، إلى

المنتجع الطبيعي. كان من المفترض أن يتم بناء المشروع في أرض عائلته. وما النتيجة؟

بدت "يوا" في انتظار أن أجيب سؤالي بنفسي. تذكرت مقالًا قرأته في جريدة "أفتر نون نيوز" منذ بضعة أشهر أثناء سفري جوًّا إلى بلادٍ مشمسة مع "جونسا". العنوان كان: "اكتمل العقد!".

قال وزير المالية "أولافيور هينريكسون" آنذاك: "سنوفر ألفي فرصة عمل في سنتين". كان سعيدًا بالمفاوضات الناجحة مع "إنداستريا"، وهي شركات أمريكية اتفقت معه على بناء مصنعٍ للألومونيوم عند المضايق الشرقية، وأيضًا محطة كهرومائية لتوفير الطاقة اللازمة. وبالصدفة المعتادة، "أولافيور" متزوجٌ من ابنة "أوسيريمور بيترسون". لكن بالطبع لا علاقة لهذا بالعمل!

واصلتُ شرحي لـ"يوا" بسخرية:

- النتيجة المعتادة بالطبع. امتلأت "ريتارجيرتي" والمجتمعات المحلية القريبة بالعمال الأجانب الذي أتوا إلى أيسلندا لشغل الآلاف من فرص العمل في بناء محطات الطاقة الكهرومائية والمصانع، فهذه الأعمال لا تليق بكرامة الأيسلنديين!

قاطعتني "يوا":

-

لكن الأمور تزدهر هناك، صحيح؟

-

الانحدار يتبع الازدهار عادةً، أليس كذلك؟

-

هيا، أنت تفهم ما أعني. تلك المنطقة كانت في تدهورٍ تام. لم يعد ممكنًا الاعتماد على صيد الأسماك والناس كانوا يهاجرون بالجماعات. أما الآن تنهال عليها الاستثمارات من العاصمة.

جادلتها رغبةً في استمرار المحادثة أكثر من كوني أختلف معها:

-

هل حقًّا سينهي هذا ظاهرة الهجرة من المنطقة؟ أليست المشكلة هي قدوم الأجانب ليحلوا محل الأيسلنديين الذين هاجروا إلى العاصمة؟

-

هل أنت ضد الأجانب؟

أجبت بسرعة متذكرًا الجدال بيني وبين "تراوستي لوڤ" في التليفون:

- على الإطلاق. ما أقصده هو أن خللًا سكانيًّا في المنطقة حل محل الآخر. السؤال هو: هل نريد خللًا أيسلنديًّا داخليًّا أم خللًا عالميًّا؟

قابلتُ متعصبًا منذ وقتٍ قريب، وبسببه أدركت تحيُّزاتي الشخصية. مفهومي الجديد لنفسي ساعدني على فهم الآخرين. أنا أبذل جهدي لينضج تفكيري، لكني أحرص على عدم التسرُّع.

وكأن "يوا" قرأت أفكاري، فقالت:

-

هل ما زالت "جونسا" مع حبيبها الأسود؟

-

"راجي"؟ نعم. حمدًا لله، إنه شابٌ صالح.

-

لكنها كانت صدمة في البداية، صحيح؟

اعترفت بأسف:

-

نعم، سلسلة صدمات. أولًا ابنتي "جونسا" مُراهقة في الرابعة عشرة، لكنها بدأت تدخن، ثم حصلت على حبيب، وأخيراً عرفت أنه أسود. كم عليَّ التحمُّل أكثر؟

-

ثم أُعجبت بوالدته؟

لا أعرف ماذا أقول، لكنني قلتُ:

-

نعم.. شيءٌ من هذا القبيل. لا أعرف...

-

هل انتهى الأمر؟

-

اهتمي بشؤونكِ الخاصة! لا أعرف. أظن ذلك. لم أتحدث إلى "رونا" منذ فترة. وجدت صعوبةً في اتخاذ القرار. ما زلت أنضج.

هذا كثيرٌ عليَّ.

-

لا يمكن أن تكون مولعًا بها إلى هذا الحد. الأمر هكذا عادةً عندما تعجز عن اتخاذ القرار.

-

ربما. ربما تخيل عقلي الباطن حياةً أخرى مع أسرة صغيرة. أسرة غريبة ومختلفة، لكن صغيرة.

صمتنا لبعض الوقت. لا يوجد كثير من السيارات في طريق الجبل. أصبح المنظر الطبيعي الظاهر من النوافذ واحدًا تقريبًا. يشبه أرضًا سوداء ناعمة مع بقعٍ من

الغبار متناثرة هنا وهناك.

سألتها:

- هل تواعدين أحدًا حاليًا؟

أنهت المحادثة باقتضاب:

- ليس حاليًا بالتحديد.

شغلت الراديو، ووجدت صلوات الكنيسة على المحطة الأولى. يقول القس:

"اليوم هو أحد السعف. ومن الذي احتفلوا به بسعف النخل في اليوم نفسه منذ ما أكثر من ألفي عام؟ ذهب عيسى إلى القدس بصفته المسيح المنتصر. كل الناس حيوه بالسعف واستقبلوه استقبال الأبطال. لكن كل هذا تغير بعد أسبوع، وأصبحت الحشود تنادي: اصلبوه!".

استفاض القس في شرح الأيام الأخيرة للمسيح، والتي نتذكرها الآن في أهم أسبوعٍ للكنيسة على مدار العام. واصل القس:

"أسبوع الآلام ليس وقت الانغماس في الملذات والشراهة، بل وقت الصلاة والصبر. علينا أن ننضم للمسيح في رحلته الأخيرة، ونشاركه آلامه. لأن المعاناة جزء من حياة البشر. تؤكد لنا قصة حياته أن المعاناة لها هدف، ليس عذابه أو عذابنا. قال المسيح: "سامحهم يا أبانا، فهم لا يدركون ما يفعلون". هذه الكلمات لجميع الآثمين، وليس فقط لمن صلبوه. وإن أردنا أن نكون أتباعًا للمسيح، علينا أن نحمل صليبه ونتبع خطاه طوال حياتنا. صليب العذاب هو جزءٌ لا يتجزأ من حياة كل المسيحيين. إن أحداث أسبوع الآلام تعلمنا الصبر على المعاناة التي نلاقيها في حياتنا...".

قالت "يوا" وهي تمد يدها لإغلاق الراديو:

- شكراً لك يا "إينار". يكفينا هذا الكم من المعاناة.

أول مرَّةٍ ذهبت إلى "ريتارجيرتي" كانت في منتصف الشتاء. اختفت الشمس من السماء بعد الظهيرة مباشرةً، وكأن أحدهم أطفأ الأنوار. غرقت القرية المجاورة للبحر في الصقيع، وهددتها الانهيارات الثلجية في الجبل القريب. غطت الثلوج الطرق بين المباني، ونادرًا ما كنت أرى شخصًا يتجول. كنت النزيل الوحيد في الفندق.

والآن يشبه فندق "ريتارجيرتي" مدرسة من الستينيات. أمَّا صف الأعلام الوطنية المعلقة عند المدخل فترفرف بفخرٍ بعدما كانت ساكنة في زيارتي الأخيرة.

المبنى الخرساني القديم الذي يحتوي على مكاتب موظفين البلدية يقع مقابل الفندق. في هذا المبنى الكئيب يدير "أوسيريمور بيترسون" أعماله. لكنهم قاموا بإصلاحه وطلائه. المبنى يعج بالحركة من سياراتٍ وآلاتٍ ثقيلة، مما يعني مزيدًا من المال. إذاً هكذا تبدو البلدية التي تشرف على مئات المواطنين بعد تجديدٍ كثيفٍ.

اقتربت الساعة من الواحدة. سألتُ "يوا" بينما أركن السيارة في جراج الفندق المزدحم:

- منذ متى يتم إرسال صحفي ومصورة في مهمة تستغرق خمس ساعاتٍ من القيادة عبر أراضٍ بور وجبال لجمع أخبارٍ عن مشاجرة بين السكارى في الإجازة الأسبوعية؟

ردَّت:

- منذ أمس.

قلتُ:

- الفرق الوحيد بين مشاجرة هذا الأسبوع والمشاجرات الأخرى التي تحدث أسبوعيًّا في أيسلندا منذ عقود أو قرون، هو أن أطراف هذه المشاجرة من جنسياتٍ أو عرقياتٍ مختلفة. ماذا يحدث بحق الجحيم؟

قالت "يوا" بينما تخرج من السيارة وتحمل الكاميرا وتنفض الغبار عن شعرها:

- أظن أن جدالك متناقضٌ قليلًا يا عزيزي.

أطفأت المحرك وفتحت الباب، ثم سألتها:

- هذا ليس مفاجئًا، صحيح؟ لا أحتمل كل المتناقضات التي تنهال عليَّ. وهناك كثير منها بالفعل.

يشغل قسم شرطة "ريتارجيرتي" أحد جانبي الطابق الأرضي من مبنى البلدية. الدخول من الجانب الآخر. من الواضح أن القسم يتكون من ركن استقبالٍ رديء ومكتبين. حتمًا هناك زنزانات في الخلف. فما فائدة قسم الشرطة دون زنزانات؟

يبدو أن تحديث البلدة لم يصل إلى هنا بعد. الطلاء الرمادي يتساقط من على الجدران المليئة بالشقوق والتجاويف، وكأن حصانًا ركلها. من الواضح أيضًا أن التحديث لم يمتد إلى المأمور "هوسكولتور بيترسون" الذي دعانا للجلوس في مكتبٍ بضعف حجم مكتبي الصغير في "أكوريري". "هوسكولتور" رجلٌ بدين في أواخر الخمسينيات من عمره، شعره أشعثٌ رمادي. هناك هالةٌ عامة من الكآبة حوله. جفونه سميكة، وعيناه محاطتان بهالاتٍ داكنة وغائرة أشبه بكدماتٍ في وجه مربعٍ ومضحك. هناك شيءٌ مألوف به.

شغلت المسجل وبدأت الحوار. زفر وقال:

-

نعم، لقد كانت إجازة أسبوعية مشحونة. لكن لا شيء خطيراً. مجرد أشخاص يمرحون.

-

أين حدث الشجار؟

-

في "رايتين"، البار الجديد في آخر الشارع.

منعتُ نفسي من السُّخرية من عنوان المشاجرة: "ثورة في رايتين". لكنه يصلح عنوانًا للمقال.

- إذًا هناك بار في القرية الآن؟

امتلأ "هوسكولتور" بالنشاط فجأة، وهو يقول:

- نعم، بالطبع. وسيتم افتتاح آخر قريبًا. كما أن الفندق يعجز عن استيعاب جميع الزبائن الجدد.

علّقتُ قائلًا:

- حسنًا، هذه أخبارٌ رائعة. لكن كيف بدأت هذه المشاجرة "المرحة" كما تصفها؟

ضحك بإجهادٍ، وقال:

-

حسنًا، ليس سهلًا أبدًا وصف بداية المشاجرات. من الأسهل وصف نهايتها. فهي تنتهي دومًا هنا في قسم الشرطة.

-

من أطراف المشاجرة؟

-

من الصعب أيضًا قول ذلك. حين تكون المشاجرة مفتوحة للجميع، من الصعب معرفة من تعارك ومن لم يفعل.

يبدو أن هناك الكثير من المعلومات التي يصعب الجزم بها.

سألته:

- هل كانوا من السكان المحليين؟

هزَّ "هوسكولتور" كتفيه السمينتين، وقال:

- هذه الأيام من الصعب التمييز بين السكان المحليين وغيرهم.

تثاءبتُ ونظرتُ إلى "يوا" التي تجلس في الركن بتعبيرٍ ساخر. بدأت بالتقاط صورٍ للمأمور الذي استقام في جلسته وتظاهر بالجدية.

كذبتُ قائلًا:

-

فهمت. هل توجد إصاباتٌ شديدةٌ؟

-

يد مكسورة، وارتجاج في المخ، وعينان متورمتان، وركلة في الحوض، ومجموعة من الكدمات والخدوش. هذا كل شيء.

-

ألم يكن أحدهم مسلحًا إذًا؟ لا سكاكين، ولا زجاجات مكسورة، أو ما شابه؟

تراجع في كرسيِّه، وأنزلت "يوا" الكاميرا. قال:

-

على ذكر ذلك، هناك بعض الجروح التي تمت خياطتها.

-

هل اعتقلتم أي شخص؟

-

وضعنا بعضهم في الزنزانات الليلة.

-

أتعنى ليلة أمس والليلة التي قبلها؟

-

حبسنا خمسًا ليلة أول أمس، واثنين ليلة أمس. هذا كل شيء.

-

إذًا فالشرطة ليست قلقةً من تصاعد أزمة خطيرة وخارجة عن السيطرة بسبب عراك بين جماعتين؛ السكان المحليين، والوافدين الجدد؟

تردد "هوسكولتور" وهو يقول:

-

بالطبع، نحن قلقون من زيادة العنف والسكر. لطالما كنا كذلك. لم يتغير شيء.

-

ألم يسوء الموقف بعد مجيء الكثير من الناس للعمل في مشاريع الإنشاء؟

قال المأمور وهو يميل على مكتبه نحوي:

-

اسمعني أيها الشاب. بالطبع زادت المشكلات بعد الزيادة السكانية المفاجئة في هذه البلدة الصغيرة. هناك المزيد من الناس، والمزيد من فرص العمل، ممّا يعني المزيد من المهمات لنا. نفضل استخدام مصطلح "مهمات" بدلًا من "مشكلات". ونحن نتعامل مع مهماتنا حين تظهر. أتمنى أن يتركنا الآخرون وشأننا حتى نتعامل معها. ليس جيدًا أبدًا مضاعفة الكوارث.

-

حقًّا؟ هل توجد كوارث هنا؟

بدأ تعبير "هوسكولتور" الودود يختفي منذ بداية المحادثة، والآن تحول إلى تعبير ارتياب. قال:

- من فضلك، بصفتك مراسلًا محترمًا، أطلب منك عدم تحريف كلامي. أعترف أننا نمر بأوقاتٍ عصيبة. لكن علينا تولي المسؤولية في هذه المواقف الحرجة. وهذا ينطبق على وسائل الإعلام أيضًا.

أجبت:

- أوافقك تمامًا. لكن ألا تظن أن الفاصل بين تولي المسؤولية وتزييف أو تغيير الحقيقة شعرة؟ أليست هذه أيضًا مسؤولية؟

وقف خلف مكتبه ومد يده السمينة ليصافحني وهو يقول مستعيدًا نبرته الودودة:

- أتمنى أن أستطيع الثقة بك في تنفيذ ما قلته أنا، وتجاهل ما قلته أنت. أتمنى أيضًا أن تكون أهلًا لتلك الثقة.

إن صالة الاستقبال في الفندق الموجود في الجهة المقابلة ما زالت نظيفة ومرتبة. لكنَّ هناك أزهارًا ونباتات منتشرة في المكان البسيط المظهر. موظف الاستقبال له وجه طويل ونحيل، أتذكره من المرة السابقة. إنه يملك المكان ويديره مع زوجته التايلاندية. ما زال وجهه طويلًا ونحيلًا، لكنه أكثر أناقة.

قدمت له نفسي و"يوا"، وأخبرته أنني أقمت في الفندق الشتاء الماضي.

قال الرجل الذي يدعى "أوسكار":

- نعم، أظن أنني أتذكرك. أنت تعمل في جريدة "أفتر نون نيوز"، صحيح؟

قلت وأنا أنظر حولي إلى المطعم المزدحم:

-

هذا صحيح. تغيرت الأوضاع عن العام الماضي. بالكاد كان يأتي أي شخصٍ آنذاك، بمن فيهم أنا.

-

نعم، هذا غريب.

-

ما زالت تدير المكان مع زوجتك، صحيح؟ هل هذا يعني أنك أصبحت تربح

أخيراً؟

-

للأسف لا. لقد استأجرنا المكان من البلدية كما تذكر. نحن نديره منذ ثلاثة أعوام. لكن حكومة القرية أخلت بالاتفاق وباعت الفندق إلى "أوسيريمور بيترسون". والآن أصبحنا مجرد موظفين.

-

يا للخسارة! تمامًا حين بدأ العمل بالازدهار!

-

لا فائدة من هذا التفكير. نحن نحصل على أجورنا، وليس علينا القلق.

-

لكن لا سبب للقلق بأي حال، صحيح؟ بما أن الأوضاع تتحسن.

رد بتحفظ:

- أيًّا يكن.

ثم أضاف:

- للأسف، نحن بوذيان.

قالت "يوا" إنها ستخرج لتلتقط بعض الصور عن حياة القرية. شرحت سبب قدومنا للقرية إلى مدير الفندق، وأخبرته عن حديثي مع المأمور.

رد بابتسامة:

- هناك فائدة لكون "هوسكولتور" شقيق "أوسيريمور".

الآن أدركت لماذا بدا المأمور "هوسكولتور" مألوفًا.

-

بعيدًا عن ذلك، لا بأس به. من الأفضل تولي هذه الأمور خفية بدلًا من تضخيمها. فهي قد تخرج عن السيطرة.

-

ماذا حدث حقًّا؟

-

لا تقل أبدًا إنني من أخبرك. لا أريد الوقوع في المتاعب.

-

لن أبوح بكلمة. أنا أبحث فقط عن معلومات.

أشار إليَّ لدخول مكتبه الموجود خلف مكتب الاستقبال. جلسنا على المقعدين

المقابلين أمام مكتبه.

- حين تحظى بتشكيلةٍ من البشر؛ بولنديين، وبرتغاليين، وصينيين، وهولنديين، ولاتفيين، وإستونيين، فالناتج سيكون عجيبًا. كل شخصٍ متمسكٌ بثقافته ومعتقداته وخلفيته الاجتماعية وتعليمه وخبراته. هذا بغض النظر عن اللغة بالطبع. إنهم لا يعرفون شيئًا عن الثقافة الأيسلندية والعادات المحلية، أو حتى الطقس. يجب أن يكونوا على درايةٍ بذلك على الأقل. لكن المشكلات تنشأ حين ينضم الأيسلنديون إلى هذا الخليط. أنا وزوجتي نفهم هذه الأمور قبل وقتٍ طويل من تهافت الناس على القرية، فهي تايلاندية كما تتذكر.

أومأتُ موافقًا، فلقد لاحظت بعض التحيز ضدها بالفعل. قلت:

-

إذًا، هل الأيسلنديون هم المسؤولون عن المشاجرات التي وقعت في نهاية الأسبوع؟

-

هكذا بدأ الأمر، لكن الوضع تغير الآن. بعد فترةٍ شعر الجميع بالخوف والتوتر والغضب. أصبح الخليط مضطربًا.

-

هل تعني أنه على وشك الانفجار مثل القنبلة؟

-

لا، على الإطلاق. لم يصل الأمر إلى هذا الحد. ليس بعد. الجوانب الجيدة هنا تزيد على الجوانب السيئة حتى الآن.

-

هل واجهت أي مشكلات مع العصابات؟

تلفَّت حوله ليتأكد من عدم وجود من يتنصَّت عليه، ثم قال:

- هناك أربعة أو خمسة شباب يواجهون بعضها.

أضاف بخفوت:

-

إنهم يستفزون بعضهم بالسباب والتلميحات والاعتداءات. عادةً يتمحور الشجار حول النساء أو الإهانات العنصرية. ربما يكون فقط مرض رهاب الأجانب إن استبعدنا الخلاف العنصري. قد يكون الأمر أسخف مما تتصور.

-

هل هم أيسلنديون؟

-

حسناً.. معظمهم أيسلنديون، لكن أحدهم ابن شخصٍ من البلطيق أو البلقان أو ما شابه. لا أتذكر بالضبط. لقد شكلوا عصابةً لمتعتهم الخاصة. لكن هؤلاء

البلطجية، أيًّا كانت عرقيتهم ، يشجعون بعضهم. سمعت أنهم بدؤوا يملون من الشجار هنا في القرية، لذلك يذهبون إلى "أكوريري" بين حينٍ وآخر بحثاً عن تشويقٍ أكثر. ليلة أول أمس عرفت أن أحد الأيسلنديين منهم هو من عانى أسوأ إصابة. سمعت أن حوضه متورم اليوم.

-

من هو؟

-

شابٌ في العشرينات، اسمه "أكنار هانسين".

-

ألا يمتُّ بصلة - من قبيل الصدفة - إلى "يوهان هانسين"، رئيس المجلس المحلي؟

-

إنه ابنه في الواقع. الفتى مدمن خمر بالطبع، أو أسوأ.

-

أين يمكنني أن أجده؟

-

إنهم يتسكعون في بار "رايتين". لكن لا أظنهم مرحَّبٌ بهم هناك بعد الآن. المالك ليس سعيدًا بالسُّمعة التي يكتسبها المكان. هناك الكثير على المحك بالنسبة للجميع هنا، خاصةً لبعض الأفراد.

-

من المالك؟

ردد "أوسكار" بدهشة:

- من؟! هناك تخمينٌ واحد بالطبع.

سألت بدهشة:

-

حقًا؟ لكن من غير المحتمل أن يطرد "أوسيريمور" ابن أعز أصدقائه وأفضل حلفائه، السيد "بيج" الزعيم المحلي، أليس كذلك؟

-

هناك زعيمٌ واحد هنا. والزعماء هنا يعرفون الجانب الرابح. هكذا الأمر دومًا.

-

نعم. ماذا حدث للمنتجع السياحي الطبيعي الذي كان من المفترض إنشاؤه على أرض "أوسيريمور" خارج القرية؟

-

ولا أي شيء. أجَّر "أوسيريمور" الأرض إلى مؤسسة "إنداستريا" ومقاوليها من أجل إقامة عمالهم. لقد حصل على صفقةٍ رابحة، صحيح؟

لكن أنا لم أفعل.

* * *

بدا بار "رايتين" أشبه بمخزن. تم تلميع الخشب. قامت قوائم وعروق الخشب بتدعيم السقف العالي في الغرفة الطويلة الضيقة. هناك صفان من الموائد الخشبية والكراسي على الجانبين، وفي نهاية الغرفة هناك بار ضخم ومتين من الخشب. تساءلت قليلًا إن كان التعدد الثقافي المتزايد هو ما جعل البار مفتوحًا في واحدٍ من أكثر الأيام قداسةً في المسيحية، في أحد السعف. في أيسلندا المتدينة القديمة التي عرفتها في شبابي، لم يكن مسموحًا أبدًا بأي أشغالٍ في هذا اليوم. هناك نحو عشرين زبونًا منتشرين على ست موائدٍ في البار، معظمهم يشرب البيرة. قلةٌ منهم يشرب القهوة. أغلبيتهم من الرجال الأيسلنديين، لكنني أسمع بعض اللغات الأخرى وسط الثرثرة. تردد السماعات صوت "بوبي مورثينز" مغني الـ"روك" المبتدئ، وهو يغني إحدى أغانيه الكلاسيكية عن مشقة حياة الصيد.

اتَّفقتُ مع "يوا" أنها ستجلس في الركن مع الكاميرا دون أن تثير الشبهات. اقتربت من البار. لا أظنني جذبت الانتباه. الجرسونة كانت شابة جميلة سألتني بابتسامةٍ ماذا أود أن أشرب، فقلت:

- أريد صودا من فضلك.

عندما أعطتني الصودا أخبرتها بسرعةٍ أنني أبحث عن "أكنار هانسين". فنظرت إلى

مائدة يجلس عليها شابان مع أكواب البيرة، ونادت دون تردد:

- "أكنار"! هناك من يبحث عنك.

ذهبتُ إلى مائدته، وقلتُ:

- أهلًا. أنا "إينار" من جريدة "أفتر نون نيوز". أيكما هو "أكنار"؟

ظهر الجواب على الفور.

تمتم أحدهما:

- أنا.

كان يربط شعره الأشقر من الخلف ذيل الحصان. يبدو أن جسده كان يومًا رياضيًّا وصحيًّا، لكن من الواضح أنه يتدهور جسديًّا وعقليًّا الآن. وجهه كئيبٌ وأحمر ويحمل آثار خدوشٍ وكدمات. هناك ضمادةٌ قذرة تحيط بيده اليمنى، وجرحٌ على ظهر يده اليسرى. يرتدي قميصًا أزرقَ اللون بلا أكمام وبنطلونات "جينز". لا يوجد عليه وشمٌ أو صليبٌ معقوفٌ.

هناك شيءٌ غريب حول جلسة "أكنار" في كرسيه، وكأن حوضه يؤلمه.

قلت:

- آسف للإزعاج. هل يمكنني الجلوس قليلًا؟

نهض الشاب الآخر الذي بدا أصغر من "أكنار" ورحل، فعرض عليَّ "أكنار" الجلوس. ثم سألني بصوتٍ أجشّ:

- هل ستكتب عن الاعتداء الوحشي عليَّ يوم الجمعة؟

أسنانه الأمامية طويلة وبارزة ويضع عليها تقويمًا.

أجبته مبتسمًا:

- هذا صحيح. هل ستخبرني عن الأمر؟

نظر إليَّ بعينيه الزرقاوين المتورمتين وردَّ:

- بالطبع.

شغَّلت المسجِّل، وحكى الشاب تفاصيل الاعتداء والعنف والهجوم الذي تعرض له بكل براءةٍ ذلك المساء. ثم علَّق قائلًا وهو يشير إلى إصاباته دون خجل:

-

انظر إليَّ.

-

نعم، أرى.

-

أنت ترى جزءًا منها وحسب.

سألته:

-

- ما سبب المشاجرة؟

شرب دفعةً كبيرةً من البيرة، ثم قال:

-

لا أتذكر يا رجل. لكن انظر إليَّ!

-

ألم تكن أحد الذين بدؤوها؟

هزَّ رأسه نفيًا ودقَّ بيده على المائدة فاهتزَّت أكواب البيرة وانسكبت الصودا، ثم قال:

-

هذه الجماعة.. لا يمكنك مواجهتهم!

-

أي جماعة؟

-

انظر، ضع صورتي بهذه الإصابات في الجريدة. عندها سيعلم الجميع ما هم قادرون على فعله.

أشرتُ إلى "يوا". يبدو أنني لن أحصل على معلوماتٍ مفيدة من "أكنار هانسين". غادرت دون أن يلاحظني. بينما تلتقط "يوا" صوراً للأضرار المختلفة التي سببها هؤلاء الحثالة، عدت إلى الجرسونة التي تلمّع الأكواب بمهارة.

ابتسمت قائلة:

- أنت جديدٌ هنا.

قدمت نفسي مجدداً وشرحت سبب وجودي في "ريتارجيرتي".

قالت إن اسمها "إيلين"، وإنها عاشت هنا طوال حياتها.

-

كنت أنوي السفر إلى المدينة، لكن المال تدفق فجأة مع الوافدين.

-

إذاً ستبقين في "ريتارجيرتي"؟

-

لا أنوي البقاء هنا لنهاية حياتي. لكن على الأقل لن أكون مفلسة حين أسافر.

-

ستأخذين المال وتهربين؟

ابتسمت بحلاوةٍ، وقالت:

- تمامًا. هل أقدم لك بيرة على حساب المحل؟

تجمدتُ تمامًا. في الماضي كنت سأقبل عرضها فورًا وسأتساءل إن كانت تفكر في أمورٍ أخرى. أما الآن فقلتُ:

- لا، شكرًا لكِ. يجب أن أحتفظ بصفاء ذهني أثناء العمل.

أشرتُ برأسي نحو رف الكحول من خلفها، وأضفتُ:

- تعرفين حتمًا كيف تسير الأمور أثناء السكر.

أومأت برأسها، وعادت لتلميع الأكواب.

قلتُ:

- من الصعب معرفة ما حدث بالضبط. هل يمكنكِ مساعدتي؟

ردَّت دون تردُّد:

-

إنه فقط "أكنار" عندما يمرح. كان سكرانَ تمامًا كالعادة وربما دخَّن بعض الحشيش وشم بعض المخدرات أيضًا. هو واثنان من أصدقائه كانوا يزعجون زوجين من البرتغال، وغازلوا المرأة. حاول الرجل أن يجعلهم يرحلون ويتركونهما في شأنهما. لكنهم ازدادوا استفزازًا، وبكت المرأة. تدخَّل اثنان من

بولندا على المائدة المجاورة. وهكذا خرجت الأمور عن السيطرة.

-

إذًا لم يكن صراعًا عنصريًّا أو رهاب الأجانب، أو ما شابه؟

-

ربما كان كذلك ظاهريًّا، لكن أحد أتباع "أكنار" أجنبي. أعرف "أكنار" منذ كنا صغاراً. كان ولدًا طيبًا ولطيفًا. لكنه عاش مُراهقةً عصيبة. أبناء ذوي النفوذ يتعرضون للتَّنمُّر غالبًا. كان هدفًا للتَّنمُّر بسبب مكانة والده وأسنانه البارزة. اعتادوا مناداته بـ"الأرنب هانسين". يعاني "أكنار" منذ كان في الخامسة عشرة، والوضع يزداد سوءًا. مشكلته الحقيقية هي كرهه لنفسه.

انشغل تفكيري بكل ما عرفته وبكلام المأمور "هوسكولتور بيترسون". بذلت جهدي لأكتب مقالًا جيدًا عن "الاضطراب في ريتيرجيرتي". تفضَّل مدير الفندق وسمح لي باستعمال مكتبه لأعدِّل مقالي على الكمبيوتر كما أريد، فأحرِّك جملًا وأرتبها وأضيف فقرات. انتهيت أخيراً في تمام الساعة الثامنة مساءً.

لم أجعل العنوان: "ثورة في ريتارجيرتي"، بل جعلته:

"أوقاتٌ صعبة في "ريتارجيرتي". المأمور يصرِّح: "سبعة رهن الاعتقال في إجازة آخر الأسبوع بعد المشاجرة".

أرسلت مقالي عبر الإنترنت، وأرسلت "يوا" الصور. لم أكن متحمسًا للقيادة أربع ساعاتٍ في الظلام عبر المرتفعات إلى "أكوريري". ثم تذكرت المرأة التي سقطت في النهر. اتصلت بمستشفى "أكوريري" المحلي. ما زالت فاقدة الوعي. يبدو أنها عانت من خبطةٍ شديدةٍ على الرأس، على الرغم من أنها كانت ترتدي خوذة

الأمان. لا بد أن وجهها ارتطم أولًا بالصخور عندما سقطت في المياه المندفعة. لا يمكنهم توقع ما ستؤول إليه حالة المرأة، لكن الزوج استعاد وعيه بعد الحادث بقليل وخرج من المستشفى. إنه بخيرٌ ويلازم زوجته.

على كل حال، لقد استخدمنا التكنولوجيا المتاحة وأرسلنا المقال والصور للرحلة التي انتهت بمأساة. وأخيراً سنذهب أنا و"يوا" إلى رحلةٍ في البراري.

4 الإثنين

كنت جالسًا على الكرسي واضعًا ساقيَّ على مكتبي ونائماً. ثم استيقظت فزعًا عندما هزَّني أحدهم وهو يصيح:

- ما الأمر؟ هل حلت نهاية العالم بالفعل؟

دُرت بالكرسي فرأيت "أوسبيورن" واقفًا. كان وجهه المنتفخ شاحبٌ كوجوه الموتى والإحباط باديًا عليه. سألته:

-

هل نتعرض لهجومٍ إرهابي؟

-

"بال" مفقود! "إينار"! "بال" مفقود!

فركتُ عينيَّ شاعراً بالإنهاك التام. تبادلنا أنا و"يوا" الأدوار في القيادة حتى وصلنا إلى المنزل. لم نعد إلى "أكوريري" حتى الثانية بعد منتصف الليل. على الأرجح ما زالت نائمة في السرير.

نظرتُ إلى ساعتي فوجدتها الواحدة ظهراً. قلتُ:

-

عذرًا يا "أوسبيرون"، هل يمكنك أن تكرر ما قلت؟

-

كلبنا الصغير "بال" مفقود.

لم أره بهذا الانزعاج من قبل قط. رغبت في الضحك، لكنني لا أملك الطاقة لذلك. فقلتُ:

- آسفٌ لهذا. ماذا حدث؟

سار "أوسبيورن" ذهابًا وإيابًا بخطواتٍ كبيرة وهو يقول:

- أخذته "كارولينا" للتَّنزُّه صباحًا كالمعتاد، ثم فكت طوقه لينطلق عند سفح التل بجوار الكنيسة. إنها تفعل ذلك يوميًّا منذ مجيئنا، ولم يحدث أي مشكلات. "بال" مدرَّب جيدًا. إنه يعرف ما المسموح وما الممنوع. إنه يعود دومًا، ويأتي إلينا حين نناديه. لكن هذه المرَّة...

أخرج منديلًا مُنقَّطًا لينظف أنفه.

سألته:

-

ماذا حدث هذه المرَّة؟

-

سألت امرأة "كارولينا" عن الاتجاهات. عندما ذهبت وبدأت زوجتي في البحث عن "بال" لم يكن موجودًا. ذهب مع الريح.

كرر "أوسبيورن" كلامه وكأنه عاجزٌ عن التصديق.

- نادته وبحثت عنه مرارًا وتكرارًا...

قلتُ:

- "هل اختفى.. فص ملح وذاب، ببساطة هكذا؟".

ظل يهزُّ رأسه ويقول:

- ربما تجد الأمر مُسلِّيًا يا "إينار"، لكنه ليس كذلك بالنسبة لـ"كارولينا". إنه ليس كذلك بالنسبة لنا.

وقفتُ وربتُ على كتفه قائلًا:

- لا. أتفهم أن الأمر صادمٌ لكما. لكن هل اتصلتما بالشرطة؟ ربما وجده أحد الأشخاص وسلَّمه إلى قسم الشرطة؟

قال وكأنه لم يسمعني:

-

ذهبنا إلى وسط البلدة وقدنا في الضواحي. وكأن...

-

وكأن الأرض انشقت وابتلعته؟

نظر إليَّ بانفعال فقلتُ له:

-

سأكرر كلامي، ومن فضلك اسمعني يا "أوسبيورن". ماذا عن الشرطة؟ هل اتصلت بهم؟

-

نعم. لي صديقٌ هناك وهو يبحث في الأمر. لكن لم يتصل بهم أي شخص. بصراحة.. لقد تخطَّى صلاحياته وطلب فورًا من الضباط التحقيق في الأمر. لكن بلا فائدة...

-

مهلًا، متى حدث ذلك؟

-

في التاسعة صباح اليوم.

-

لم يمضِ سوى أربع ساعات. عليك أن تصبر. بالطبع سيظهر الكلب.

-

أنت لا تفهم يا "إينار". "بال" ليس كلبًا عاديًّا. إنه حسَّاسٌ جدًّا تجاه المتغيرات، مثل الناس والأماكن...

فكَّرت في نفسي أنه ليس الحسَّاس الوحيد. لا أعرف ماذا أقول الآن.

رافقتُ "أوسبيورن" إلى غرفة الاستراحة، وسكبت لنا كوبين من القهوة السوداء دون سكر. وقفنا قليلاً نشرب قهوتنا.

سألته:

- أين "كارولينا"؟

خرجت للبحث عنه. إنها منهارة تمامًا. لا أعرف.. ربما هي.. لا أعرف.

هزَّ رأسه مجدداً وكأنه ينفِّض عنها الهموم.

-

هل يرتدي "بال" طوقًا عليه اسمه وعنوانه؟

-

عليه عنواننا في "ريكيافيك". نسيت تحديثه عندما انتقلنا.

سألته بحذر:

- هل هناك ما يمكنني فعله للمساعدة؟

تردد، ثم استجمع شجاعته، وقال:

- هل يمكنك عمل لقاءٍ صحفيٍ قصير مع "كارولينا" من أجل طبعة الغد من الجريدة وتضع فيها صورة "بال"؟ ربما يتعرف عليه أحدهم.

عجزت عن الرد فيما أضاف هو بتعبيرٍ يمزج بين الحرج والثقة بي:

-

سيشعرها هذا بتحسن.

-

حسنًا يا "أوسبيورن" ولكن هذه لا تعد أخبارًا وأنت تعرف ذلك مثلي تمامًا.

أخفض نظره، وقال:

- أعرف بالطبع. لكنني آمل أنك ستجد مدخلًا للموضوع يشد الانتباه. ربما نضعه في الصفحات الداخلية.

فكَّرتُ أن عنوان "كلب مفقود" لا يشد الانتباه. ثم خطرت لي فكرة وقلتُ:

- ربما يمكننا وضع "بال" في سياقٍ أوسع. الانتقال إلى ديارٍ جديدة والضياع.

يمكننا اعتبار "بال" وافدًا جديدًا هنا مثلنا. أو مثل الغرباء هنا في "ريتارجيرتي"...

لوَّح "أوسبيورن" بيديه بفرح وابتسم ابتسامةً كبيرةً ومزعجةً قليلًا. قال:

- مدهش! اللعنة، هذا حقًّا مدهش!

لم أسمع هذا المتحفظ يستخدم هذا الأسلوب في الكلام من قبل. إنه ليس على طبيعته أبدًا.

صاح:

- "إينار"! أنت عبقري! شكراً لك من كل قلبي.

أظنني لمحت دمعةً في عينه.

* * *

قمتُ بلقاءٍ صحفي درامي مع امرأةٍ منهارة عصبيًّا، ثم أرسلته إلى المكتب الرئيسي جنوبًا وأرفقت معها صورة للكلب المفقود. بعد ذلك شعرت بالحيرة. ما الذي أفعله هنا بالضبط؟ ما الذي أقحمت نفسي فيه؟ هل جُنَّ العالم بأكمله؟ وهل أصبحت أنا أكثرهم جنونًا وخطورة؟

أشعر أن "تراوستي لوڤ" محرر الأخبار الجديد سيجيب بنعم على سؤالي الأخير. لكنني خاطرت واتصلت بـ"هانس" لأشرح الموقف، فقال غاضبًا:

- عذرًا، لكن هل تظن أننا صرفنا كثيراً لنفتتح فرعًا في "أكوريري" كي نعلن عن كلابٍ مفقودة؟ ربما علينا فعل هذه الخدمة لـ"أوسبيورن" أيها السيد، لكن يجب أن تتأكد من ألا تمتلئ الجريدة بإعلاناتٍ مماثلة عن الكلاب والقطط الضائعة في "أكوريري". لا بد أن نضمن عدم تكرار ذلك. هناك استخداماتٌ أهم لصفحات الجريدة، مثل المقال الذي أرسلتماه أنت و"يوا" من "ريتارجيرتي" من أجل طبعة

اليوم. أحسنتما عملًا.

شكرته بالنيابة عن "يوا"، ثم قلتُ:

- لست واثقًا من عملنا في "أكوريري" يا "هانس". لا أظننا سننجح. لم يعجبني...

ردّ "هانس":

- هراء! الأمور تسير على ما يرام. لاحظنا ارتفاع نسبة المبيعات في شمال وشرق البلاد بالفعل، كما زادت الاشتراكات وبيع التجزئة والإعلانات. الأعمال تسير وفقًا للخطة. امنحها فقط بعض الوقت أيها السيد. امنحها وقتاً.

منح الوقت في حالتي يعني التّسكُّع هنا حتى تأتي ابنتي "جونسا" لزيارتي.

* * *

على ماذا ينوي هؤلاء العُراة؟

كنت أتأمّل سقف مقهى "أمور" النظيف في ميدان البلدية. لكن رقبتي تيبّست فنظرت إلى النافذة ورأيت مقر جريدة "أفتر نون نيوز" على الجانب الآخر من الميدان، وجواره البنك الوطني الذي يشبه نسخةً مصغرةً من المقر الرئيسي في "ريكيافيك". الميدان نفسه يشبه نسخةً مصغرةً من ميدان "إنكولفستورج" في "ريكيافيك".

ثم رفعت رأسي مجدداً لأتأمّل الرسوم العارية على السقف.

استمد المقهى اسمه من آلهة الحب. هل هؤلاء العُراة يضاجعون بعضهم؟ لا. إنهم يرمون الكؤوس والأكواب. لا أفهم هذه الرسوم. دخلت "يوا" وانضمت إليّ ثم قالت:

-

ماذا تشرب؟

-

"كابيتشينو". هل تريدين واحدًا؟

-

ليس الآن. سآخذ جولة حول البلدة وألتقط بعض الصور من أجل سجلاتنا. هل يمكن أن أستعير السيارة؟

أجبت وأنا أعطيها المفاتيح وأشير إلى السيارة المتهالكة المركونة خارج المقهى يسار الميدان:

- لا مشكلة.

إنها الساعة الرابعة يوم الإثنين. زادت حرارة الجو. أصبح الجو غائماً وهادئًا. ربما يجب أن يقلق السكان من نقص الثلوج على منحدرات التزلُّج. فهم يعلنون منذ أسابيع أن ظروف التزلُّج ستكون مثالية في منحدرات "أكوريري" خلال عيد الفصح.

قلتُ:

- يجب أن يسمحوا لنا بالعودة إلى الديار باكراً، خاصةً بعد العمل المكثف الذي بذلناه في الإجازة الأسبوعية.

وافقتني قائلة:

-

موافقة. متى آتي لاصطحابك؟

-

نحو الساعة الخامسة والنصف. "أوسبيورن" في طريقه إلى هنا. طلب مِنِّي ملاقاته. لا أعرف لماذا. إنه منزعجٌ تمامًا بشأن اختفاء الكلب.

-

يا للمسكين. زوجته غريبةٌ قليلًا، ألا تظن ذلك؟

هززتُ كتفيَّ، وأشعلتُ سيجارة.

وقفت "يوا":

- هل توقفت عن شرب الخمر تمامًا يا "إينار"؟

قلت بغموض:

-

لا أعرف. كيف تعرفين أن شيئًا ما توقف بالكامل؟

-

لكن لماذا امتنعت؟

-

حسنًا، أخبرني "هانس" أن الجريدة لن تتسامح أبدًا مع أي فرد.

-

هذه ليست المرَّة الأولى حتمًا؟

-

لا، على الإطلاق. لكنني لم أستطع الاستمرار هكذا. لقد اكتفيتُ من أخطائي. لا أريد أن تكون الخمر رفيقتي الوحيدة طوال حياتي. تخيَّلتُ أن زجاجة الخمر قالت لي ذات مرَّة: "أنا رفيقة مسلية على الدوام، لكنني سيئة في تولِّي المسؤولية". أردت أن أثبت للخمر أنني المسؤول عن حياتي وليست هي. هكذا كان الأمر كما أظن...

-

لماذا لم تذهب إلى مصحةٍ لإعادة التأهيل مثلما يفعل الجميع؟

-

لا يمكنني تقليد ما يفعله الجميع. أكره الأزياء الموحدة. هل تتخيلين شكلي في البيجاما والروب والشبشب؟

ضحكت قائلة:

- ربما لا.

كذبتُ بغيظ:

- لا بأس. أنا بخير.

قالت "يوا" وهي تودِّعني:

- جيد.

طلبت "كابيتشينو" آخر، ولمحت "أوسبيورن" يعبر الميدان بسرعةٍ نحوي. أتساءل، هل يشعر كما شعرت أنا الصيف الماضي عندما تاهت "جونسا" في الإجازة؟

طلب بيرة وجلس بجانبي يرتجف ويقطر عرقًا. قال:

-

أردت فقط أن أشكرك على مساعدتك لـ"كارولينا" ولي يا "إينار".

-

تسرني مساعدتك يا "أوسبيورن". أتمنى أن تفيدك بشيء.

جلس صامتًا وشرب البيرة بشراهة قبل أن يغير رأيه ويعيد معظمها من فمه إلى

الكوب.

انتظرته ليتحدث.

طلب كوبًا كبيراً آخر وابتلعه، ثم قال:

- أنا...

تنحنح، ثم قال:

-

أنا.. هناك أمرٌ غريب يا "إينار". أعلم أننا لسنا صديقين عزيزين، على الإطلاق. أعلم أنك تراني شخصًا... لا أعرف كيف أصف الأمر...

-

لسنا أفضل صحبة؟

-

نعم، هذا يفي بالغرض. الشعور متبادل. لكنني أريد معرفة رأيك في مسألةٍ ما...

تردَّد، ثم قال:

- هناك أمرٌ غريبٌ. أتلقَّى مكالماتٍ غامضة. في العمل، في البيت، وأحيانًا في الليل.

ملت نحوه عبر المائدة، وسألته بفضول:

-

حقًّا؟ ما الغامض بشأن تلك المكالمات؟

-

دومًا يغلق المتصل الخط حين أجيب. أجابت "كارولينا" مرّتين فأغلق الخط أيضًا. الأمر يثير جنونها.

-

هل لديك خاصية كشف هوية المتصل؟

-

نعم، لكنها تقول "رقم مجهول".

-

ربما تستخدم رقم تليفون كان يخصُّ شخصًا آخر من قبل؟ وهذا المتصل يحاول الاتصال بالشخص الآخر؟

شرب جرعةً أخرى من البيرة فيما واصلت أنا:

-

وربما المتصل هو أكثر من شخص؟

-

نعم، لقد فكَّرت في ذلك آلاف المرَّات. لكنه ليس منطقيًّا. لكن ما كنت لأتلقَّى مكالماتٍ في العمل أيضًا. هذه الأرقام جديدة.

فكَّرتُ وقلتُ:

- هذا صحيح. هل أخبرت صديقك الشرطي؟

هزَّ رأسه نفيًا.

- هل يخطر في بالك من قد يكون؟ ألديك فكرة؟

مع نهاية جملتي انفتح باب المقهى واندفعت "كارولينا" إلى مائدتنا. لم يعجبني تعبير وجهها، لم يلحظ "أوسبيورن" هذه المشكلة المندفعة نحونا لأنه كان مديراً ظهره لها. صرخت:

- ما معنى هذا؟

وقف "أوسبيورن" بفزع فيما واصلت هي:

-

"بال" مفقود وأنت تجلس في البار تشرب البيرة! لا أفهم...

-

لكنه كوب واحد يا عزيزتي "كارو"...

لم أسمع اسم تدليلها من قبل.

-

ولم أشرب نصفه حتى...

-

أيها المتذاكي! ستأتي معي حالًا يا "أوسبيورن جريمسون" كي تساعدني في البحث عنه. أعجز عن الكلام من تصرفك هذا.

وهكذا ألقت الزوجة القبض على "أوسبيورن جريمسون"!

عدت للتَّوِّ إلى مكتبي، وكنت على وشك الاتصال بالمستشفى حين رن تليفوني المحمول اللعين وأزعجني.

قال "تراوستي لوڤ":

- اسمع يا محقق الكلاب العظيم، هل نسيت فقرة "سؤال اليوم"؟ كان يفترض أن تنتهي منذ ساعة.

ذلك الوغد.

تذمَّرتُ وقلتُ:

-

نعم. لقد نسيت هذه الفقرة التافهة. كنت أجتهد في العمل طوال الإجازة الأسبوعية، ألا يمكنك أن تعفيني منها؟

-

لا، لن تُعفى منها. ناقشنا الأمر وقررنا. كل ثلاثاء ترسل فقرة "سؤال اليوم" من "أكوريري" أو أينما تكون. هذا جزءٌ من الصفقة يا صاحبي.

-

وماذا يفترض بي أن أسألهم بحق الجحيم؟

-

ليست مشكلتي. ربما "ما المكان الذين يفضلون الذهاب إليه؟". يفترض أن يكون هذا سهلاً بالنسبة إليك. هيا للعمل.

اتصلت بـ"يوا". قالت:

- أهلاً.

لاحظت شيئًا غريبًا في صوتها. سألتها وأنا أستدير:

-

أهلًا. اسمعي، علينا النزول إلى الشارع لعمل فقرة "سؤال اليوم". لقد نسيت أمرها تمامًا. هل يمكنكِ أن تأتي حالًا؟

-

حسنًا.

عدما استدرت رأيت "يوا" واقفة في الممر وتليفونها على أذنها.

* * *

لحسن الحظ كان المشاة في ميدان البلدية في مزاجٍ جيِّدٍ.

جميعهم يتطلَّعون إلى المشاركة في آلام المسيح في عيد الفصح بالتأكيد. خلال عشر دقائق أصبح لدينا إجابات الناس عن سؤالها المهم: "ما المكان الذي تفضل الاحتفال فيه؟".

اختار الناس ديسكو "سياتلين"، ومقهى "أكوريري"، وبار "فيلسميتيان"، ومزرعة "جليمبر".

مزرعة "جليمبر"؟ في "ريكيافيك"؟ لكنها احترقت منذ ثلاثين عامًا. أجابني أحدهم: "هذا صحيح. لا يوجد مكان بحالةٍ جيدة أصلًا". لا يفترض بي أن أقول من قائل هذه الإجابة.

كل ما أحتاج إليه الآن هو ضحيةٌ أخرى.

وصلت ثلاث فتيات إلى الميدان قادمات من شارع "هافنارسترايتي" بروحٍ معنوية مرتفعة على ما يبدو. كن يضحكن فأوقفتهن لأطلب منهن المشاركة في فقرة "سؤال اليوم".

- من ستجيب؟

ظللن يضحكن لدرجة أنني تساءلت إذا كن يُدخِّنَّ الحشيش.

كن يرتدين بناطيل "جينز" ساقطة عن الخصر وتظهر بطونهن.

قالت إحداهن:

- أجيبي أنتِ يا "سولرون".

أضافت أخرى:

- نعم يا "سولرون"، أجيبي بما قلته من قبل.

"سولرون" فتاة جميلة، ممتلئة قليلًا جدًّا. ترتدي بلوزة منخفضة الياقة جدًّا تحت الجاكت، لدرجة أنني نسيت السؤال.

قالت "سولرون" وهي ترفع قبضتها وكأنها تلقي خطابًا سياسيًّا:

-

حسنًا، سأجيب.

-

ما لقب عائلتك؟

-

"بياركاتوتير".

-

ماذا تعملين يا "سولرون"؟

-

أنا طالبة في الثانوية.

التقطت "يوا" صورةً ثم ذهبت لترسل صورها إلى الجريدة.

-

ما المكان الذي تفضلين الاحتفال فيه؟

-

يين ذراعي "كيارتان أرنارسون".

انفجرت الفتيات بالضحك.

سألتها دون أن أبتسم:

- ما طعامكِ المفضل؟

قالت بانفعال:

- الجواب نفسه!

غرقت الفتيات في الضحك مجدداً.

- ما شرابكِ المفضل؟

ابتعدن وهن يضحكن.

* * *

محرر الأخبار ثائرٌ جدًّا. لا بد أنه متأخرٌ عن حفل عشائه التالي. صرخ قائلًا:

- الأمر ليس معقدًا يا "إينار". حتى أنت يمكنك مجاراة الأمر. مطلوب خمس إجاباتٍ لفقرة "سؤال اليوم". ليس أربع إجابات، ولا ثلاثًا ولا اثنتين ولا حتى واحدة، بل خمس، خمس إجابات. معي هنا خمس صور وأربع إجابات. أين الخامسة؟

أجبته:

-

لا تصلح للنشر.

-

حقًّا؟ لمَ لا؟

-

صدقني، إنها لا تصلح أبدًا.

-

هل تعني الإجابة التي قالتها طالبة الثانوية "سولرون بياركاتوتير"؟

-

نعم، هذه ما أعنيها.

-

ماذا قالت إذًا؟

-

قالت إن مكانها المفضل للاحتفال هو بين ذراعي "كيارتان أرنارسون".

شهق محرر الأخبار، وقال:

-

من "كيارتان أرنارسون"؟

-

لا أعرف ولا أريد أن أعرف.

-

هيا يا "إينار". إنها مجرد مزحة من طالبة ثانوية. الأمر مضحك. إنه صوت قارئة شابة وصريحة في جريدتنا. سننشره بالطبع.

شعرت بالعرق يتصبب على جبيني وقلتُ:

-

هل جُننت؟ لا مجال للمناقشة.

-

إنه ليس قرارك، بل قراري يا صاحبي.

-

لكن.. لكن.. مهما يكن. هذا الفتى المسكين... أظن أن الفتاة كانت منتشية أصلًا.

زمجر "تراوستي لوڤ" وهو يغلق الخط:

- وماذا في ذلك؟ إنها مشكلتها وليست مشكلتنا. حقًّا، يا لغرابة الأمور التي عليَّ التعامل معها...

* * *

ماتت المرأة التي سقطت في النهر المندفع. لم تستعد وعيها قط. اسمها

"أوستيس بيورك جوتمونستوتير". كانت في الخامسة والخمسين من العمر، وتركت وراءها زوجًا وابنًا شابًا.

بحلول منتصف الليل كانت "يوا" قد نامت منذ وقتٍ طويل، بينما تخلَّيتُ أنا عن محاولات النوم. نهضت وتفقدت حال الببغاء "بولي" التي نامت وأخفت رأسها تحت جناحها. ثم ذهبت إلى غرفة الجلوس لأتصل بالدليل.

"كيارتان أرنارسون" هو أحد سكان "أكوريري"، ويعمل مدرسًا في المرحلة الثانوية.

اللعنة!

الثلاثاء 5

وصلتُ إلى المكتب ظهراً بعد ليلةٍ مؤرقة، فوجدتُ أسرةً صغيرة سعيدة بانتظاري. دخلتُ فحيَّاني صوت نباحٍ سعيد وجلبة. وقف "أوسبيورن" و"كارولينا" في ركن الاستقبال يُعانقان "بال". الجميع يبتسم بسعادة، بينما تبتسم "يوا" بسخرية في ركن الغرفة.

صاح "أوسبيورن":

- نجحت الفكرة! أحضرت فتاة "بال" منذ قليل. لاحظت أمها المقال في الجريدة هذا الصباح.

سألت وأنا أربتُ على المخلوق الصغير:

-

أين وجدتماه؟

-

كان ضائعًا عند الميناء، ورأت الفتاة بعض الصبية يحاولون رميه في البحر. استطاعت إنقاذه في آخر لحظة.

أنهى "أوسبيورن" حديثه بارتجافةٍ دراميةٍ.

مسحت "كارولينا" دموعها بيدها، وقالت:

- ألم يُربِّ أحد هؤلاء الصبية؟ كيف يعاملون هذا الكلب الصغير اللطيف بهذه القسوة؟

أتذكر أنها عاملت زوجها بطريقةٍ مماثلة بالأمس.

علَّق "أوسبيورن" بتأكيد:

- أحياناً يكون البشر هم الوحوش الوحيدة بمعنى الكلمة.

ثم أضاف بسرور:

- بأي حال، انتهت الأمور على ما يُرام.

قبَّلت "كارولينا" أنف الكلب، وقالت:

- لقد عُدت إلى أسرتك يا "بال".

قلت وأنا أدخل إلى مكتبي:

- نعم، بالطبع.

لم أتوقع أن أجد الدنيا وردية هنا.

وأنا مُحقٌّ. وجدتُ ثلاث ملحوظات فوق كومة الأوراق على مكتبي. الأولى من رجلٍ يدعى "كيارتان أرنارسون" يطلب مِنِّي الاتصال به، والثانية من "هانس" يطلب مِنِّي مكالمته، والثالثة من امرأة لا اعرفها. أغلقت الباب وفتحت النافذة التي تطل على جدار المبنى المجاور، ثم أضأت النور. بعد ذلك استجمعت

شجاعتي، واتصلت بـ"كيارتان أرنارسون".

أجاب صوتٌ شابٌّ:

-

معك "كيارتان".

-

أنا "إينار" من جريدة "أفتر نون نيوز". تركت لي ملحوظةً لأتصل بك. أظنني اعرف السبب.

ساد الصمت. سحب نفسًا عميقًا، وقال:

-

تظن أنك تعرف السبب؟ هل تظن أنك تعرف ماذا فعلت بي؟

-

أظنني أعرف كيف آذاك تعليق الفتاة. وأنا أعجز عن وصف مدى أسفي وحزني.

لم يرفع صوته على الرغم من كلامه الجارح، وهو يقول:

-

أيها المنافق اللعين. تبًّا لخداعك. لماذا نشرت هذا الهراء بحق الجحيم؟

-

لا أظنك ستصدقني، لكن هذا الكلام تم نشره ضد رغبتي.

-

لا تظن أنني سأصدقك. حمدًا لله أنني لست متزوجًا، وليس لديَّ أطفال. هل تتخيَّل كيف يمكن أن يؤثر هذا الكلام على زواج أي رجلٍ وأسرته؟

-

نعم، أتخيَّل.

كنتُ أسأل نفسي إن كان ولائي لـ"أفتر نون نيوز" يشمل "تراوستي لوڤ". عرفت أن الإجابة هي لا. لقد خانني "تراوستي"، لذلك لا أدين له بشيء. قلت:

- أخبرت محرر الأخبار في "ريكيافيك" بما قالته الفتاة، وأوضحت له أنه لا يصلح للنشر. لكنه نشره على كل حال.

ضحك "كيارتان" بسُخرية، وقال:

-

جميعكم مثل بعض، تهربون من اللوم. يا للشرف!

-

هل تحدثت بالفعل إلى "تراوستي لوق"؟

-

نعم. أخبرني أن محتوى أخبار "أكوريري" يأتي منك.

-

هذا صحيح. لكنني لا أقرر ما الذي يتم نشره.

لم يرد فقلتُ:

-

هل تعطيني ساعة؟ يجب أن أتحدث مع محرر الجريدة، فالقرار بيده. ثم سأتصل بك مجدداً.

-

أخبره أنني محظوظٌ لأنني لم أفقد وظيفتي. وأخبره أن "سولرون بياركاتوتير" تم فصلها من المدرسة لمدة شهر. تحدثت مع المدير بشأنها، ووافق على سحب الفصل. تلقت توبيخاً بدلاً منه في الوقت الحاضر.

-

هل صدقك المدير؟

-

اعترفت "سولرون" على الفور أنها كانت مزحة مُبالغًا فيها. إنها منهارة عصبيًّا. إنها مجرد شابة صغيرة تحاول العبث. من القسوة أن يسيئ أحدهم بهذا الشكل إلى فتاة صغيرة.

أنهى المكالمة ببرود. سأتصل الآن بـ"هانس".

سألت "هانس" بعصبية:

-

"هانس"، هل عرفت الآن لماذا انزعجت من كون "تراوستي لوق" محرر الأخبار؟

-

اهدأ أيها السيد، اهدأ. رأيت تلك المهزلة صباح اليوم وأردت سماع روايتك للأحداث قبل اتخاذ أي إجراءات.

شرحت ما حدث، ثم اعترضت بغضب:

- هل هذه سياستنا الجديدة في جمع الأخبار؟ هل يفترض بي أن أحتمل هذا المهرج غير المسؤول الذي استغنى عنه التليفزيون؟ إنه يتصرف بجنون ويعبث بسخافة وبلا مُبالاة. إنه يضر الجريدة وطاقمها. والأخطر أنه يدمر حياة الأبرياء. كل هذا ليكون محط الأنظار ويزيد المبيعات قليلًا.

ردّ "هانس" بحجةٍ ضعيفةٍ:

-

أنا واثقٌ من أن نيات "تراوستي" طيبة. أراد التأكد من أن الجريدة قادرة دومًا على إظهار نفسها ومفاجأة الناس.

-

لو كان خبراً أو مقالاً مهمًا لكانت المخاطرة مقبولة. لكن هذا...

-

أعرف ماذا تقصد أيها السيد المحترم، لكن...

قاطعته:

-

انظر يا "هانس"، لو لم ننشر اعتذارًا في الصفحة الأولى غدًا فـ...

-

في الصفحة الأولى؟

-

نعم، في الصفحة الأولى. لو لم ننشر اعتذارًا غدًا مُوقَّعًا من محرر الأخبار كي نتحمل مسؤولية الخطأ، سأرسل لك استقالتي. وأؤكد لك أنني لا أمزح.

-

مهلًا، مهلًا...

-

لا، لن أتمهل. إن لم تفعل ذلك سأستسلم وأعود لدياري. كيف سأتمكن من عمل المقابلات الصحفية وجمع المعلومات بعد هذه الفضيحة؟ كيف سأكسب ثقة الناس وأتواصل معهم؟

سمعت "هانس" يشعل سيجارة وينفث الدخان ثم يزفر، ويقول:

-

حسنًا، أيها السيد المحترم. سنفعل كما تقول. سيتعلم "تراوستي" الدرس.

-

أشك في ذلك.

تمالكت أعصابي، لكنني كنتُ في غاية الغضب.

سألني "هانس" وهو يغير الموضوع:

- هل هناك أخبار جديدة؟

أجبت:

- نعم. إنها أخبارٌ طيبة في الواقع. لقد عاد "بال". محرر الأخبار السابق يطير من السعادة الآن. بصراحة.. بدأت أظن أن "أوسبيورن" أنسب من "تراوستي".

بمجرد أن أخبرت "هانس" بتفاصيل إنقاذ "بال"، قال:

- بالفعل. حسنًا، أظن أن هذه الأخبار السعيدة تستحق ملحقًا. لنعمل مقابلة مع الفتاة التي أنقذت الكلب الصغير ونضع صورة لهما معًا. ستكون قصة إنسانية لطيفة بالنسبة لسكان "أكوريري" والقُرَّاء الآخرين في صحيفة الغد. في المقام الأول ستكون بديلًا مضاداً للأثر السلبي الذي سببته المسألة التي ناقشناها سابقًا. ثانيًا، إنها قصة سيتعاطف معها الجميع. ثالثًا، ستكون تكملة لقصة الكلب المفقود في جريدة اليوم. رابعًا، ستوضح أن جريدة "أفتر نون نيوز" يمكنها مساعدة الناس في مشكلاتهم اليومية. ما رأيك؟

فكَّرتُ في ما قاله. أعترف أن لديه وجهة نظر، فقلت:

-

حسنًا، سأفعل ذلك، وأنت ستعنف "تراوستي"، صحيح؟

-

بأفضل ما أستطيع أيها السيد، بأفضل ما أستطيع.

لم يتحمَّس "هانس" إطلاقًا عندما أخبرته بشأن اتفاقي مع "هانس". قال:

- سأصدق ذلك حين أراه بنفسي. وربما أتخذ إجراءاتٍ أخرى لأستعيد سمعتي.

عادت "كارولينا" تعمل في الاستقبال، وعاد "بال" مربوطًا من طوقه إلى ساق المائدة. تغني "كارولينا" أثناء العمل بصوتٍ كالنحيب، وكأن أحدهم يستخدم منشارًا أو يهمهم بشيء غير مفهوم. صوت غنائها لا يشبه أبدًا صوتها الغليظ أثناء الكلام العادي. سألتها عن "يوا" فأخبرتني أنها خرجت بالكاميرا. يجلس "أوسبيورن" في مكتبه. زالت همومه عندما أخبرته بفكرة "هانس":

-

ممتاز. هذا مناسبٌ للجميع.

-

هل أخذت اسم الفتاة وعنوانها ورقم تليفونها؟

-

بالطبع. سنرسل إليها أنا و"كارو" هديةً صغيرة لنشكرها.

أخرج ورقةً من جيب بنطلونه وناولني إيَّاها. نقلت منها المعلومات ثم أعدتها إليه.

اتصلت بـ"يوا" وذهبنا مباشرةً إلى منقذة الكلاب الجسورة "بيورج جوترونارتوتير" التي وافقت فورًا على المقابلة الصحفية. جلس "بال" على المقعد الخلفي بهدوء وهو مربوطٌ إلى يد الباب.

كنت أعاني لأجد الطريق إلى "هولتاجاتا" باستخدام خريطة البلدة. سألت "يوا":

-

أين كنتِ؟

-

ألقيت نظرةً على مكتب جريدة "أكوريري بوست"، فهو بالقرب من مكتبنا في "سكيباجاتا".

جريدة "أكوريري بوست"؟ كنت أنوي المرور بهم، لكني لم أحظَ بالوقت. ممتاز، لقد تمكنوا من نشر صحيفةٍ محليةٍ أسبوعيةٍ لسنوات عدَّة. علينا أن نؤسس علاقاتٍ طيبةٍ معهم.

-

قابلت المحررة. اقترحت أن يجتمع ثلاثتنا ذات مساءٍ في أحد المقاهي المحلية الجيدة التي أسمع عنها دائماً. لقد بدأ عيد الفصح، وأظن أننا نستحق بعض المرح يا "إينار"، خاصةً بعد المجهود الشاق الذي بذلناه، والبيتزا التي لم نأكل سواها. ألا توافقني الرأي؟

-

بالطبع. أحببت الفكرة. حان الوقت لأصرف بعض النقود.

* * *

"هولتاجاتا" هو شارعٌ صغيرٌ جميل يطل على وسط البلدة، ولا يبعد عن الكنيسة أو المدرسة الثانوية. تعيش "بيورج" في بيتٍ صغيرٍ جميل. على الأرجح تعرَّف "بال" على المنزل وحيَّاه بنباحٍ خافتٍ.

سمحت لنا "بيورج" بالدخول. إنها فتاة مبتسمة وخجولة في السابعة عشرة من العمر. شعرها داكن وطويل ومفروقٌ من الوسط. عيناها خضراوان ومسحوبتان، وشفتاها ممتلئتان وبلا أحمر شفاه. كانت ترتدي حلقة صغيرة في أنفها. نحيفة ومتوسطة الطول، وترتدي بنطلوناً ضيقًا أسودَ اللون وبلوزة سوداء. انحنت نحو "بال" الذي حيَّاها بهزٍّ ذيله القصير بفرح ولعق يدها. دعتنا إلى غرفة الجلوس إلى يسار الصالة، وسألتنا ماذا نشرب. طلبت صودا وطلبت "يوا" بعض الماء. ذهبت "بيورج" إلى المطبخ عبر الصالة لتجلب المشروبات. تجمَّدنا من الدهشة بمجرد أن دخلنا غرفة الجلوس. الغرفة في غاية النظافة والترتيب، وأرضيتها من الخشب وأثاثها أبيض اللون. لكنها أيضًا مليئة بالصبَّار. صبَّار كبير وصغير وطويل وقصير، صبَّار من كل الأنواع التي لم أتعرف عليها حتى.

علَّقتُ بألمعية حين عادت "بيورج" إلى الغرفة:

- لديكِ مجموعةٌ كبيرة من الصبَّار هنا.

ردَّت بأسلوبها المتحفظ الهادئ:

- نعم، تحب أمي الصبَّار. تحب شكله.

قلت:

- ألا يحتاج إلى كثير من الرعاية والاهتمام؟ ألا يعيش في الهواء الطلق؟

لم ترد. يبدو أنها تنتظرنا أن نجلس على الأثاث الأبيض النظيف. وقد فعلنا.

جلست أنا و"يوا" جوار بعضنا على الكنبة فيما جلست "بيورج" في الكرسي المواجه لنا وعلى حجرها "بال". يبدو مرتاحًا هناك.

سألتها:

- هل أنتِ طالبة ثانوية؟

من الواضح أنها ليست معتادة على الاهتمام الإعلامي قط، فلقد ردَّت "بيورج" وهي تتحرك بتوتُّرٍ في كرسيها:

- لا، لقد تركت الدراسة في الربيع الماضي. أخذت بعض الوقت لأفكر ماذا أريد أن أفعل بحياتي. ربما سأعود للمدرسة، لا أعرف.

سألتها مبتسمًا:

-

تبحثين عن ذاتكِ، مثلنا جميعًا؟

-

أظن ذلك. أقوم ببعض الأعمال في مكتب الهندسة المعمارية الخاص بأمي. أساعدها.

-

والدتكِ مهندسة معمارية؟

أومأت برأسها.

-

هل تريدين أن تصبحي مهندسة معمارية أيضًا؟

-

لا أعرف ماذا أريد أيضًا.

-

هل تعرفين فتاة في الثانوية تدعى "سولرون بياركاتوتير"؟

ابتسمت بسُخرية، وقالت:

-

الفتاة التي أظهرت حماقتها في جريدتك بالأمس؟

-

حسنًا، لقد أظهرت حماقتها بالفعل. لكنها ليست غلطتها بالكامل.

-

لا أعرفها. لكنني سمعت أنها مرَّت بوقتٍ عصيبٍ في المدرسة العام الماضي.

كانت وحيدة وبلا أصدقاء. أظنها تعرّفت على بعض أصدقاء السوء.

-

وهل أصدقاء السوء أفضل من عدم وجود أصدقاء على الإطلاق؟

قالت:

- لم أقل ذلك.

لاحظتُ ذكاءً وإصرارًا خلف قناعها المتحفِّظ.

قلت وأنا أشغِّل المُسجِّل:

- حسنًا، لنبدأ.

بدأت القصة عندما كانت تتمشّى عند الميناء ورأت بعض الصبية بعُمر العاشرة يطاردون كلبًا صغيراً. حكت "بيورج" الأحداث كلها بدقةٍ وتواضع. تجولت في غرفة الجلوس، بينما كانت "يوا" تلتقط الصور. هناك بيانو قديم عند أحد الجدران، فوقه نباتات الصبّار وبينها عدّة صورٍ لـ"بيورج" مع سيدةٍ جذابة في أعمارٍ مختلفة. ربما تكون هذه السيدة أمها. لها الطول نفسه، لكن شعرها وبشرتها أكثر جمالًا في جميع الصور. التشابه بينهما مذهل. الأم والابنة مبتسمتان في كل الصور. اقترحت أن تلتقط "يوا" صورة لـ"بيورج" و"بال" أمام البيانو. عندما حان وقت الرحيل سألت "بيورج":

- أنتِ تعيشين هنا مع والدتكِ، صحيح؟

أومأت برأسها.

سألت:

- "كيارتان أرنارسون"، المدرس الذي تورَّط في هذا الموقف المحرج، كيف يبدو؟

ردَّت "بيورج":

- لم أكن ضمن فصوله قط. يبدو غريبًا قليلًا، لكنني أسمع دومًا أنه لطيف.

تمنينا لها عيد فصحٍ سعيدًا، ثم ذهبنا إلى السيارة مع "بال". نظر الكلب إلى المنزل مرَّةً أخرى ونبح بخفوت.

مغامرة "بال" في "أكوريري".

كان في مرَّة كلبٌ اسمه "بال"...

بدأت مقالي العاطفي عن الكلب ومنقذته. شعرت بالإرهاق التام وأنا أضع اللمسات النهائية بجملة "وعاشوا في سعادةٍ أبدية". وضعت ساقي على المكتب، واسترخيت. كان ظهر الكرسي يوشك على ملامسة الباب المغلق. وفقًا لحساباتي السريعة، فإن مكتبي صغير بحجم النعش. تخطَّت الساعة الخامسة. أرسلت مقالي، وشعرت بتحسُّن. نهضت وذهبت إلى غرفة الاستراحة. ذهب "أوسبيورن" و"كارو" و"بال". يمكنني سماع صوت نباحٍ خافت عبر السقف الخشبي. أرسلت "يوا" الصور، وقالت إنها ستشاهد فيلمًا. سأعود إلى المنزل كي أحاول النوم، لكنني بدلًا من ذلك تناولت قهوةً دون سكر. أشعلت سيجارةً أخرى وعدت إلى مكتبي. وجدت الملحوظة الثالثة على كومة الأوراق، تلك التي لم أتعرف عليها. كتبت "كارولينا" اسم "جونيهيلتور بيارجمونتستوتير" ورقم تليفون. أمسكت التليفون، واتصلت.

أجابت امرأة:

- مساء الخير، هنا "هوتل".

سألت:

-

"هوتل"؟ ما هذا؟

-

"هوتل" هو دار رعاية.

-

فهمت. اسمي "إينار". معي ملحوظة للاتصال بـ"جونهيلتور بيارجمونتستوتير". هل هي موظفة لديكم أم نزيلة؟

-

"جونهيلتور" تعيش معنا هنا.

-

هل يمكنني التَّحدُّث إليها؟

-

هذا يعتمد على حالتها إذا كانت مستيقظة أم نائمة. انتظر دقيقة، وسأراها.

انتظرتُ دقيقتين.

-

"جونهيلتور" نائمة. مرّت بوقتٍ عصيبٍ الأيام الماضية، خاصةً الأمس واليوم.

-

حقًّا؟ هل حدث شيءٌ ما بالذات؟

-

من الصعب خسارة طفل، حتى لو كنت في الثمانين من العمر وترتبك أحيانًا.

-

ماذا حدث؟

-

توفِّيت ابنتها بالأمس جرّاء حادث. سقطت في نهر "يوكولساو" يوم الأحد، وأصيبت بشدةٍ في رأسها. دخلت في غيبوبة، ثم ماتت في نهاية الأمر.

-

هل يمكن أن تخبريها أن "إينار" عاود الاتصال بها؟

-

نعم، سأفعل.

شكرتها، وأغلقت الخط وأنا أتساءل: ماذا يمكن أن تريد "جونهيلتور بيارجمونتستوتير" مِنّي. والأهم، هل يمكن أن أكون قد أخطأت في الكتابة عن الحادث؟

بعد ذلك عدت للمنزل إلى "بولي"، ونظفت ورتبت الشقة استعداداً لوصول ابنتي. ثم حاولت أن أبعد تفكيري عن هذا اليوم المليء بالفرح والحزن للعائلات الأيسلندية.

6 الأربعاء وخميس العهد

قالت "جونسا" بلطف:

-

مرحبًا يا أبي.

-

حبيبتي "جونسا". يسعدني سماع صوتكِ. هل حزمتِ أمتعتكِ للغد؟

تنحنحت "جونسا"، ثم قالت:

- إحم، أنا أحزم أمتعتي، لكن ليس لأسافر إلى "أكوريري" بالضرورة. إحم.. إحم.

صُدِمت لدرجة أنني كدت أُسقط التليفون من يدي، وقلت:

-

ما الأمر؟ هل حدث خطبٌ ما؟ هل أنتِ مريضة؟ هل ستذهبين إلى المستشفى؟

-

لا، لا، لا. دعتني "رونا" أنا و"راجي" للذهاب إلى "كوبنهاجن" عاصمة الدنمارك في عيد الفصح. كان هناك "عرضٌ خاص ذهبي" هذا الصباح وموعد الرحلة هذه الظهيرة.

انتفض قلبي وارتجف.

- ألو؟ ألو؟ أبي؟

زفرت وقلت:

- نعم، ما زلت هنا. أنا هنا.. في مكانٍ ما.

قالت "جونسا" بلطفٍ تام:

-

آسفة يا أبي. لكنني لم أذهب قط إلى "كوبنهاجن". أريد الذهاب حقًّا. لقد ذهبت أنت، صحيح؟

-

ماذا؟ نعم، لكن ليس قبل أن أتم الثامنة عشرة.

-

كانت الأمور مختلفة سابقًا. لم تكن هناك عروضٌ ذهبية.

لملمت شتات نفسي.

-

لا، هذا صحيح. لم يكن هناك عروضٌ ذهبية وقتها.

-

قالت أمي إنها موافقة. أرجوك يا أبي، قل إنك موافق.

حاولت مجادلتها:

-

لكنكِ لم تذهبي إلى "أكوريري" أيضًا.

-

لا، لكن يمكنني المجيء في أي وقت. فـ"أكوريري" في أيسلندا.

-

هناك كثير من المنازل الدنماركية هنا.

دُهشِتْ "جونسا":

-

منازل دنماركية؟

-

نعم، منازل دنماركية قديمة.

-

أنت تمزح.

-

إنها منازل على الطراز الدنماركي. إنها جميلةٌ جدًّا.

ضحكت وقالت:

- منازل على الطراز الدنماركي في "أكوريري". أنت مضحكٌ يا أبي!

كنت على وشك إخبارها أن "أكوريري" لديها ميدان البلدية الذي يُسمَّى "راوتهوستورج" تمامًا مثلما يوجد في "كوبنهاجن" ميدان البلدية الذي يُسمَّى "رات هوس بلاتسين"، وهناك أيضًا سوق المشاة تمامًا مثل الذي في "كوبنهاجن"، وهو الوحيد في أيسلندا. لكنني أدركت أنها قضيةٌ خاسرة.

-

حسنًا، يا حبيبتي "جونسا". لا بأس، لكنني أعترف أنني كنت أتطلع بشوقٍ إلى زيارتكِ لي.

-

سآتي قريبًا، أعدك.

-

حسنًا، هل سيذهب ثلاثتكم فقط إلى "كوبنهاجن"؟

تردَّدت "جونسا" الإجابة، ثم قالت:

- حسنًا، ثلاثتنا والرجل الذي تواعده "رونا".

حان دوري لأتردد قبل أن أقول:

- تمتعي برحلتكِ يا حبيبتي وامرحي. لكن احترسي في حي "نيهافن".

* * *

لقد حدث أسوأ الاحتمالات. جلست جامدًا في مكتبي بعد محادثتي مع ابنتي التي

ضايقتني وحطَّمتني وأصابتني بالإحباط والشفقة على الذات. ثم بدأت أحاور نفسي: "بالطبع هذا ليس أسوأ الاحتمالات، فـ"جونسا" لم تمت. إنها سليمةٌ مُعافاة، وسعيدةٌ ومرحة. وهي في طريقها إلى "كوبنهاجن" لقضاء عيد الفصح مع حبيبها. لو كنت في الخامسة عشرة مكانها ألم أكن لأفضل الذهاب إلى "كوبنهاجن" مع حبيبتي بدلاً من زيارة والدي في "أكوريري"؟". أعترف أنه لم يكن لديَّ حبيبة في سن الخامسة عشرة، ووالدي لم يكن في "أكوريري". وعندها كان عيد الفصح احتفالاً دينيًا وليس وقت العروض الذهبية. لكن جواب سؤالي كان واضحًا كالشمس. "لا، لقد حدث ثاني أسوأ التوقعات".

ثم هناك مسألة "رونا" وذلك الرجل. لماذا يشغلني هذا الأمر؟ هذه أنانية. أنانية وإزعاج.

قلت لصورتي المنعكسة على شاشة الكمبيوتر:

- أنت أناني ومزعج يا "إينار".

لم يرد انعكاسي عليَّ.

واصلت كلامي:

- أنت رجلٌ حُرٌّ. استمتع بحريتك في عيد الفصح هنا في "أكوريري".

تخيَّلتُ انعكاسي يردُّ قائلاً:

- نعم، استمتع بعذابك.

يا للأسى.

من يدري، ربما سأحصل أيضًا على عرضٍ ذهبي في عيد الفصح في "أكوريري"؟ حاولت إقناع نفسي بأنني على ما يُرام وأمسكت بالتليفون.

قال صوتٌ ذكوري هذه المرَّة:

-

صباح الخير، هنا "هوتل".

-

صباح الخير. هل يمكنني التَّحدُّث إلى "جونهيلتور بيارجمونتستوتير"؟

-

لحظةٌ واحدة.

انتظرت دقيقتين.

- لا، "جونهيلتور" تستحمُّ الآن. يمكنك أن تترك رسالة.

رفضتُ، وشكرته؟ لا بد أن السيدة العجوز نسيت تمامًا أنها اتصلت بصحفي اسمه "إينار" وسبب الاتصال. فكَّرت في الاتصال بـ"كيارتان أرنارسون" بعد نشر اعتذار "تراوستي لوڤ" الواضح في صحيفة اليوم. لكنني تراجعت وتمسكت برأيي.

* * *

عُدتُ للعمل على مقالٍ حول مؤتمرٍ صحفي في فندق "KEA"، سينعقد في ظهيرة اليوم. سأقدم تقريرًا عن مشروعٍ جماعيٍ يخص التطوير المستقبلي لمنطقة "إيافيرزر" المحلية. سيحضره وزير الشؤون الإقليمية والعمدة ومجلس المشروع. تصافحوا جميعًا، وربتوا على ظهور بعضهم، بينما يتبادلون التهاني على إدراكهم ضرورة التنوع في الاقتصاد المحلي. "مع وجوب التركيز على الجماعات في مجال التعليم والبحث والرعاية الصحية والسياحة والإنتاج الغذائي في مجتمعٍ يخدم العائلات. سيكون مجتمعًا مشهورًا بخدماته الممتازة وكفاءته في التعليم والأنشطة الترفيهية. كل هذه الخدمات جزءٌ أساسي من اقتصادٍ متنوع ومتطور ومتخصص وكفء مع صلاتٍ دولية قوية"، حسب كلامهم. وهكذا يفترض أن تزيد النسبة السكانية وفرص العمل بنسبة 2,3% سنويًا. وبحلول عام 2020 سيتضاعف سكان منطقة "إيافيرزر"، أي سيصبح نحو ثلاثين ألفًا. عنوان المقال: "مستقبلٌ عالمي".

قال زميلي من جريدة "مورنينج نيوز" بابتسامةٍ ساخرة تدل على وجوده في "أكوريري" منذ سنين:

- أظنه خامس أو سادس مقالٍ عن التطوير الإقليمي منذ وصلت إلى هنا. دومًا يطلقون المؤتمر بجلبةٍ عالية ثم يخفون المقالات بهدوءٍ في الدرج. إنهم لا يريدون إنفاق المال في النهاية.

قلت لنفسي من يعلم؟ بقيت بضعة أسابيع حتى الانتخابات العامة. هذا الشعور بالضغط قد يفعل المعجزات.

بالإضافة إلى مقال التطوير الإقليمي، أرسلت تقريرًا مأساويًّا عن مستوى الجريمة في "أكوريري". العاطلون يخربون مقاعد المتنزهات في البلدة، حيث يرتاح السكان المتعبون ليرتاحوا. هناك نحو خمسين مقعدًا في المجمل، وكلما أصلحها عمال البلدية دمَّرها المخربون. كتبت عنوان التقرير:

"مخربو المقاعد".

ثم أطفأت الكمبيوتر.

* * *

-

ألا توجد جرائمُ خطيرة هنا يا "أتالهيتور"؟

-

نادني "هايتا".

"أتالهيتور هيميستوتير" أو "هايتا" هي محررة وناشرة في جريدة "أكوريري بوست". أظافرها الطويلة مطلية باللون الأزرق ليلائم لون بذلتها. رفعت شوكتها الممتلئة بالمكرونة وقطع السمك إلى شفتيها المطليتين باللون الأحمر، ثم قبضت أسنانها على الشوكة بطريقةٍ مُغريةٍ.

يا للشوكة المحظوظة.

إنها بعمري تقريبًا. ليست طويلة لكنها رشيقة، وشعرها أحمر كثيفٌ بعرض كتفيها. نظارتها الهلالية تستند على أنفٍ مرفوع. أراها فاتنة.

غرفة الطعام البيضاء في مطعم "فريدريك السابع" مزدحمةٌ تمامًا الليلة. سُميت الغرفة تيمنًا بالمالك والطاهي، وليس بملك الدنمارك ذي الاسم نفسه. نصف الضيوف يتحدثون الأيسلندية، أمَّا النصف الآخر فيتحدث تشكيلة من اللغات. نحن نعلم بالطبع أن "هذا ضروري للتطوير المستقبلي للمنطقة، كي تملك صلاتٍ دوليةً قويةً".

قلت بينما تبتلع طعامها:

- إنه مطعمٌ ممتاز، به أصالة وخيال.

قالت "يوا" التي تتناول أرجل الكابوريا:

- أوافقك، إنه بجودة مطاعم الجنوب.

نظرت "هايتا" إلينا وكأننا أطفالٌ في الثانية، ثم قالت:

- كيف تظن أن الأصالة والخيال في المطبخ هما أساس منطقة "ريكيافيك" الكبرى؟ لديهم طعامٌ شهي في أماكن مثل باريس وبرشلونة، صحيح؟

تبادلت و"يوا" النظرات لا نعرف ماذا نقول. لقد تأنَّقنا بأفضل ما يمكننا، هذا يعني أننا ارتدينا ثيابًا متماثلة تقريبًا، بذلة سوداء وقميصًا أبيضَ. ارتدت هي ربطة عنق، لكنني لم أفعل. كانت تربط شعرها الأشقر الداكن القصير كذيل الحصان. أحاط شعرها بوجهها المشرق البريء الخالي تمامًا من مساحيق التجميل.

قالت "هايتا":

- لدينا جميع الجرائم الموجودة في الجنوب. هناك سطوٌ وسرقة ومشاجرات واغتصاب واعتداءات، خاصةً في الإجازات الأسبوعية. نادرًا ما تحدث مذابح أو جرائم قتل. هناك دعارةٌ لكن بنسبةٍ قليلة. معظم الجرائم هنا ترتبط بالمخدرات وتزداد بسرعة. شباب اليوم لا يمانعون في ابتلاع حبوبٍ مخدرة أو تعاطي بعض الكوكايين أو الهيروين حين يخرجون.

علَّقتُ قائلًا:

-

لم أجد كثيرًا من قضايا المخدرات في بلاغات الشرطة منذ وصولي.

-

ربما تتذكر أن بعض الناس شكَّلوا جماعةً لمكافحة جرائم العنف حين شعروا أن الأمور تخرج عن السيطرة. لقد أحدثوا بعض التأثير، وأتمنى أن يشكل ذلك فارقًا.

قلت:

-

هذا تفكيرٌ مُفرط في الإيجابية في رأيي. إحداث الفارق بالنسبة للمجرمين يعني تغيير أسلوبهم الإجرامي.

-

لدينا قسمٌ خاص بالضباط المميزين بقيادة مفوض الشرطة الوطنية تحت رئاسة مأمور شرطة "أكوريري". من المفترض بهم التعامل مع أصعب القضايا.

-

نعم، بما فيها مشاريع التطوير الصناعي الكبيرة هنا في الشرق؟ أظنني سمعت شيئًا عن مكافحة الجريمة المنظمة في هذا السياق.

-

هذا صحيح. لكننا لم نرَ أثرًا لذلك في "أكوريري". ليس بعد على حد علمي.

سألت بعدما انتهيت من تناول السمك:

- هل يوجد هنا عصابات مخدرات؟

أومأت برأسها فاهتزَّ شعرها الأحمر، وقالت:

- نعم، لكنهم قليلون. تنتشر عصاباتٌ من الشباب البلطجةللتخريب في الشوارع بكل أسف. ربما عددهم عشرة أو خمسة عشر. يحملون مضارب البيسبول والسكاكين، وأحيانًا المسدسات. يجمعون ديون المخدرات بالترهيب. أصيب كثير من الناس، وازدادت نسبة الانتحار. إنها مسألة وقتٍ حتى يتوقفون عن التخويف ويقتلون أحدًا بحق. الجيل

السابق بدأ يلاحظ ما يحدث. لكنني لستُ واثقة من أن الآباء يعرفون حقًّا ما يتورط فيه أبناؤهم. عجزت الشرطة عن معالجة المشكلة. تزداد الجرائم المرتبطة بالمخدرات بنسبة 100% من عامٍ لعام. عديد من الشباب يتعاطون المخدرات بانتظام كجزءٍ من المرح في إجازتهم الأسبوعية، بما فيهم أبناء العائلات المحترمة الذين يتلقّون تعليمًا راقيًا أو يحصلون على وظيفةٍ مربحة. تمامًا مثلما نتناول البيرة أو النبيذ. بعضهم يتعاطى المخدرات منذ سنوات.

صمتت قليلاً بتفكُّرٍ، ثم سألتني:

- ألم تشرب الكحول قط؟

قلتُ مبتسمًا:

- ماذا؟ بلى، أتناول القليل أحيانًا.

تدخَّلت "يوا":

- إنه يقاطعها الآن. في الواقع كان عليه الاختيار بين الويسكي ووظيفته.

قلتُ:

- نعم، يا له من خيارٍ رائع. أقوم بتجربةٍ لأعرف كم يمكنني الصمود.

تناولتا زجاجةً من النبيذ الأبيض، بينما التزمتُ أنا بالصودا وأنا أنظر بتوقٍ إلى كأسيهما، إلى كأس "هايتا" بالتحديد.

لم أجد شيئًا لأقوله سوى:

- كل ما يوجد في المجتمعات الكبيرة يوجد في الصغيرة منها أيضًا، لكن بمعيارٍ أصغر. هذا صحيحٌ بالنسبة للميادين والبنوك والجرائم والمخدرات. فكّرا فقط كيف سيؤدّي تدفق الناس إلى "ريتارجيرتي" إلى كثيرٍ من المشكلات منها المخدرات والدعارة والعنف. تحدثت إلى للأمور سابقًا، وقال إنه يفضل تسميتها "مهمات" وليس "مشكلات".

قالت "هايتا":

- نعم، لقد قرأت مقالك. يبدو عملاً معقدًا بدلاً من نظامٍ اجتماعيٍ مُعقَّد.

قالت "يوا":

- والآن يتحدثون عن الصناعات الثقيلة في "إيافيرزز".

ردَّت "هايتا":

- أو "هوسافيك" أو "سكاجافيرزر".

علّقتُ قائلاً:

- حين يرى الناس فرصة ربح ينتصر الجشع دومًا. إنهم ينسون كل شيءٍ، حيث يشعرون بمكسبٍ سريع. أهي الفطرة؟ تبًّا لها!

قالت المحررة بسُخرية:

-

سمعت أن الشخص الذي يظن أن المال لا يشتري السعادة لا يعرف أين يتسوَّق!

-

عليه أن يقرأ الإعلانات بتمعُّن.

-

من يمكن أن يرفض حياةً أفضلَ؟ لا أحد يرفض أجورًا أعلى أو ضرائب أقلَّ.

اعترضت قائلاً:

- لكن يمكنكِ أن ترفضي نوعًا من الحياة وتقبلين بآخر. إنها مسألة قيم، صحيح؟

ردَّت المحررة:

-

بلا شك. ولن نتفق أبدًا على هذه القيم أو أي قيمٍ أخرى.

-

ألا تجدين صعوبةً في مناقشة هذه القضايا في جريدتكِ؟ في مجتمع صغيرٍ كهذا، ألا يجب عليكِ نشر النيات الطيبة؟ وتجنب إهانة السلطات وناشري الإعلانات بحقائق مزعجة؟

ردَّت بحدَّة:

- أناقش القضايا بحرص. الجريدة هي مصدر رزقي، ويعمل معي موظفان. أقوم بهذا العمل منذ ست سنوات، وهو يتطلب قدرًا من المهارة.

قلت لنفسي إنه يتطلب الشعور بالمسؤولية دون تزييف الواقع. أشعلت سيجارة، وبمجرد

أن نفثت الدخان قالت امرأةٌ بجواري:

- لا يمكنك التدخين هنا. عليك الذهاب إلى البار.

نظرت إليَّ باحتقارٍ وكأنني إرهابي خطير ومقزز وقذر يضع رأسًا نوويًّا في فمه، ألقيتُ نظرة حولي. لا يوجد أي مدخنٍ غيري. أصبحت أشعر مؤخرًا كمجرمٍ خطير مطلوبٌ للعدالة بعدما هربت بأسلحة دمارٍ شامل.

قلت للمرأة:

- آسف، لم أدرك. لم أقصد أن أرتكب جريمةً ضد الإنسانية.

"ها هي قصة الإعصار، الأصوات تتردد في البار

جاءت السلطات لاعتقال شخصٍ ما

بتهمةٍ لم يرتكبها قط...".

إنها أغنية "الإعصار" لـ"بوب ديلان". هناك طاقم سفينة صيد رسا على الشاطئ ويبحث عن بعض المرح بعد رحلة صيد. ومعه خبيرٌ في أغاني "ديلان".

على مائدةٍ أخرى يجلس رجلٌ يتثاءب بشدة فيما يحاول رفيقه تسليته ببعض الأشعار الكوميدية. وهناك عائلة كبيرة تحتفل بعيد ميلاد الأب الثمانين. كما يجلس زوجان بصمتٍ على مائدة بعيدة. المرأة حامل والرجل مخمورٌ تمامًا. ترى، أي حياةٍ صعبة سيعيشها الطفل؟ فكرت في الأمر، بينما نجلس على مائدتنا الصغيرة.

دعوت "يوا" و"هايتا" لشرب القهوة والـ"براندي"، بينما أدخن سيجارة. محررة جريدة "أكوريري بوست" أخبرتنا بكل ما تعرفه عن الحياة الاجتماعية النشطة في البلدة، وتوسيع الجامعة، والمدرستين الثانوية والفنية الثانوية، وبناء المزيد من مساكن الطلبة، والتحسينات المضافة للمسرح المحلي، وآمال المخرج في إدارة المسرح، ونسبة الحضور في حمَّام السباحة، والسياحة المتزايدة، وبناء حضانة جديدة، وحملة الإنشاءات الضخمة، وللمؤتمر الخاص بتجديد وسط البلدة التي كانت في تراجعٍ مستمر بسبب بناء مراكز التسوق في الضواحي. الأمور تشبه تمامًا ما يحدث في الجنوب. المواقف نفسها والتفكير نفسه. تذكرت ما قالوه في الاجتماع، "صلات دولية قوية".

سألتها في نهاية الجلسة:

- هل لديكِ أي معلوماتٍ عن ضحايا حادثة نهر "يوكولساو"؟

أجابت "هايتا" وهي تشرب الـ"براندي":

-

لا أعرفهم شخصيًا لكني أعرف مصنع حلويات "يام"، فهو قديمٌ للغاية. تملكه عائلة السيدة المتوفاة، لكن زوجها "أوسجير إفينتارسون" يُديره منذ سنين. كان عضوًا في مجلس البلدة بالنيابة عن الحزب المركزي، وعضوًا بديلاً في البرلمان.

-

هل هما صالحان؟

-

على حد علمي. أظنني سمعت أخبارًا عن تدهور صحتها قبل الوفاة.

-

هل أنتِ من "أكوريري"؟

ردَّت:

- نعم. لكنني غادرت بعد دراستي الثانوية، لأنني احتجت إلى تغيير الأجواء.

أشعلت سيجارةً أخرى، ونظرت إلى الناس في البار، ثم قلت:

- سكان "أكوريري" معروفون بكُرههم، بل بعدائيتهم للأغراب. لا أفهم إذًا لماذا لم يهاجموني.

ابتسمت، وقالت:

- أظن أن سلوكنا قد تحسن قليلاً. من الأفضل التخفي وعدم كشف أنفسنا. هكذا أكثر أمانًا. وبالطبع يجب ألا نُشوِّه جمال المدينة بقيادة سيارةٍ صدئة أو قذرة ثم ركنها في الشارع. هذا سيعرضك لنظرات الاحتقار.

الآن فقط عرفت كيف ينظر جيراني إليَّ وإلى سيارتي.

أوشكت الساعة الحادية عشرة حين وصلنا إلى شارع "ستراندجاتا". هب نسيمٌ بارد بعد نهارٍ دافئ. ارتجفت "هايتا" وهي تقول:

- حسنًا، سأغادر الآن. شكرًا على الأمسية المتعة.

شعرت بصعوبةٍ في إخفاء إحباطي، لكنني صافحتها قائلاً:

- بكل سرور. أتمنى أن نتقابل مجددًا في القريب العاجل.

تصافحت هي و"يوا" وحيَّتا بعضهما بصمت. لوحت لنا "هايتا" مودعة، ثم عبرت الشارع إلى التاكسي للركون في الجهة المقابلة.

تبادلت النظر مع "يوا"، ثم سألتها:

- ماذا الآن؟ هل أدعوكِ لشرابٍ في مكانٍ ما؟

فكرت قليلاً وهي ترتدي معطفًا أزرق على بذلتها السوداء، ثم قالت:

-

لا، لا أظن ذلك.

-

هيا، لا يزال الليل في أوله.

-

نعم، لكننا كبرنا قليلاً على ذلك.

لم أحضر معطفي فبدأت أشعر بالبرد وأنا أقول:

-

أنتِ! أنتِ في الثلاثين فقط!

-

أفضل التمشية قليلاً.

-

هل أنتِ جادة؟ ستتركينني وحدي هنا في بلدةٍ غريبةٍ؟

حاولت أن أبدو مرحًا، لكنني خائفٌ من الوحدة.

- أنت رجلٌ ناضج يا "إينار".. إلى اللقاء غدًا.

قالت بينما تسير نحو ميدان البلدية:

- شكرًا على العشاء!

أظن أن كلمة "على الرحب والسعة" باللغة الدنماركية هي "Det var ingenting". لا بد أن "جونسا" تتمشى في ميدان البلدية الآخر للوجود في "كوبنهاجن"، مع "راجي" و"رونا"

ورجلٍ لعين آخر.

إنها أمسيةٌ هادئة وساكنة عند المضيق. لم تبدأ بعد الهجرة الجماعية الليلية من الحفلات والمطاعم والمقاهي إلى النوادي الليلية في "أكوريري". ازدحم المرور بسبب الشباب الذين يتباهون بسياراتهم في البلدة الصغيرة كي يلاحظهم الناس.

وهكذا لم أعانِ من الزحام حين دخلت بارًا كبيرًا يفتقر إلى التصميم العصري. كان مزينًا بأضواءٍ براقة ورسوماتٍ للغابات والجبال في وسط أوروبا. هناك ستائر منفوشة، زهرية اللون على النوافذ لإكمال الديكور. وقفت وحيدًا ومنزعجًا في البار الواسع وطلبت قهوة. جلست مجموعةٌ صغيرة في البار بينما ترقص فتاتان على أنغام أغاني الـ"بيتلز"، يعزفها أربعة عازفين في آخر البار:

"انتقل ولدٌ شقي إلى حيّنا

لا يفعل الصواب أبدًا

بل يجلس ويتظاهر بالطيبة...".

انضم إليَّ زوجان في البار، كانا يرتديان أسوأ ما يمكن تخيله من ملابس.

أحد الزوجين كان رجلاً بالغ البدانة يرتدي سترةً رمادية تبدو صغيرةً عليه، أما المرأة فكانت ترتدي فروًا وحذاءً ذا كعبٍ عالٍ ورفيع. كانا يتشاجران بشدَّة.

صرخت المرأة في الرجل للمرَّة الألف:

- أنت! الكهربائي الخبير "هيلجي هاومونترسون"! أنت أكبر فاشل!

تجاهلها الكهربائي الخبير "هيلجي هاومونترسون" للمرَّة الألف أيضًا بالتأكيد. لديه ما يريده وحسب؛ شراب "فودكا" مزدوج وصودا.

استدارت المرأة إليَّ وسألتني مباشرةً:

- هل لديك أدنى فكرة عن مدى كُرهي لهذا الرجل؟

تمتمت وأنا أشرب القهوة:

- لا، ليس لديَّ في الواقع.

لم ترني أو تسمعني. قالت دون أن توجه كلامها لشخصٍ مُحدَّد:

- حتى لو تناولت قطعة سجقٍ من آنٍ لآخر، هذا لا يعني أنك تريد أن تأكل الذبيحة كلها!

أمسكت كأسًا كبيرة من الخمر أخضر اللون، ومالت لتتحدث مع المرأة الجالسة الممسكة بنصف لترٍ من البيرة.

وقف الرجلان بجواري وتشاركا نخبًا. قال الكهربائي الخبير "هيلجي هاومونترسون" إلى رفيقه:

- هل سمعت آخر طريقة لاصطياد النساء؟

قال الرجل:

-

لا أظن ذلك.

-

تقول للمرأة: "هل تفضلين التدخين بعد الجنس؟"، فتجيب: "نعم، أفعل في الواقع". بعدها تقول: "إذًا، سأقوم بشراء علبة سجائر".

انفجروا بالضحك. بعد ذلك رحل الرجل الفاشل الضخم. تساءلت إن كان لهذين الزوجين أطفال؟ كيف كانوا سيشعرون؟ كيف يمكن أن يكونوا؟

قُدتُ إلى المنزل على طريق "ستراندجاتا". أظنني لمحت "أكنار هانسين" بشعره المربوط ذيل الحصان في مؤخرة إحدى السيارات التي تجول في وسط البلدة. لكني لست واثقًا.

* * *

من يرَ بلاء غيره، يهُن عليه بلاؤه.

استيقظت بفكرةٍ تجول في خاطري ولا أعلم من أين أتت. إنها السادسة والنصف صباحًا. جلست أشاهد قناة تليفزيونية محلية كانت تعرض مشاهد متكررة لمسؤولي البلدية ومندوبين من منطقة التزلج وهم يعبرّون عن قلقهم من فشل حملة الدعاية الخاصة بكثرة الثلوج الملائمة للتزلج في عيد الفصح، بسبب ارتفاع الحرارة التي جاءت في غير وقتها.

قبل ذلك شاهدت فيلم "تشاينا تاون"، "Chinatown" للمرة العاشرة. لطالما أحببته، خاصةً المشهد التي يلعب فيه "بولينسكي" دور المحتال الذي وضع طرف سكينه في أنف "جاك نيكلسون" ويسأله: "هل تعرف ماذا يحدث للمزعجين؟".

عندما وصلت إلى المنزل في الواحدة صباحًا، كان باب غرفة "يوا" مغلقًا. أغلقت كل المخارج، ثم دخلت غرفتي وفتحت قفص "بولي". جلست على الكنبة في غرفة الجلوس ومعي صودا وكيسٌ من بطاطس الشيبسي، ثم شغلت التليفزيون. بعد بضع دقائق حلّق الطائر إلى الغرفة الجلوس، ثم جلس على حاجز النافذة. جلست "بولي" قليلاً تغني وتصفر. كنت أتناول الشيبسي عندما طارت فجأة، ثم هبطت على ياقة قميصي الأبيض. ظلت هناك تقضم الشيبسي التي أعطيها إليها من آن لآخر وهي تنقر قفاي بلطفٍ كل برهة.

عندما استيقظت الآن وجدتها قد عادت لقفصها وسكنت، بينما تضع رأسها تحت جناحها. أغلقت القفص بهدوء تام حتى لا أزعج السيدة الوحيدة في حياتي. ثم بدأت أنفض فضلات الطائر عن قميصي.

* * *

استيقظت مجددًا في ظهيرة يوم خميس العهد وما زالت الدنيا بسلام. شعرت بالراحة ووجدت نفسي مسرورًا على غير العادة. صفرت "بولي" وزقزقت حين قدمت لها بذور الإفطار. الشمس مشرقة والأطفال يلعبون الكرة في الحديقة. دخلت للمطبخ وشغلت الغلاية ثم أشعلت سيجارة وشغلت الراديو. كان يذيع أخبار الثانية عشرة التي كانت تعرض أخبارًا خفيفة، ما عدا إعلانٍ جذب انتباهي:

"نداء إلى "سكارفيدين فالياردسون"، طالب بمدرسة "أكوريري" الثانوية، عليه الاتصال بـ"أورفار باوتل" أو "أويوستا" في الحال. رقم التليفون...".

لقد قابلته. خرجت إلى الصالة، حيث وجدت تحت الباب الطبعة الخاصة بعيد الفصح من جريدة "أفتر نون نيوز". تصفحتها حتى وجدت مقالي تحت عنوان: "فلتنفِّذوا رغباتي".

"عرضٌ جديد من مسرحية "الساحر لوفتر" الكلاسيكية لـ"يوهان سيوريونسون". طلاب ثانوية سيعرضون لأول مرةٍ هذا المساء في "هولار" في "هيالتاتالور"، الموقع الحقيقي لأحداث المسرحية".

هل الجزء الأخير من مقدمة المقال لن يتحقق؟

7 خميس العهد

"رغباتي قوية وبلا حدود. وقد بدأت برغبةٍ واحدةٍ. إن الرغبات هي جوهر الرجال".

"سكارفيدين فالياردسون" طالبٌ من مدرسة "أكوريري" الثانوية في التاسعة عشرة من العمر، وهو أحد ممثلي المسرحية التي كتبها "يوهان سيوريونسون" منذ أكثر من قرن. قال الحوار بشغفٍ وإقناع جعلني أشعر أنه يعبرٌ عن أفكاره هو.

قال "سكارفيدين" في اللقاء الصحفي الذي أقمناه في صالة القاعة الرياضية في "هولار":

- خذ مثلاً حوار "لوفتر" مع الرجل الأعمى في الفصل الأول. يقول الأعمى إنه صلى مرارًا وتكرارًا ليتكرم الرب برحمته ويشفيه من ظلام عينيه. يرد "لوفتر": "أعلم تمامًا أن رغبات الإنسان تحقق المعجزات. لطالما فعلت، وما زالت تفعل". أوافقه الرأي. فإن عرفنا ما نريد سنحقق المعجزات بأنفسنا. حينما قال الأعمى فيما بعد: "تمنيتُ حتى وقعت في الخطيئة. حين تخليت عن التمني ارتاحت روحي". إدراكه للخطيئة جعله يستسلم. ارتاحت نفسه عندما استسلم وتقبل مصيره.

لستُ معتادًا على المحادثات الأدبية رفيعة المستوى، لكنني تجرأت وسألت:

- لكن "لوفتر" عقد صفقةً مع الشيطان ليحقق رغباته. هل تقول إن تصرفه كان مبررًا؟

ابتسم "سكارفيدين":

- حسنًا، في البداية أراد "لوفتر" من الشيطان أن يجعل رغباته وكأنها رغباته هو لينال ما يريد. لكنه لاحقًا أراد الهروب والتحرر من سيطرة الشيطان. تفسير الصفقة مع الشيطان هي مسألة آراء. يمكنك اعتبارها صفقةً بين الإنسان ونفسه، أو بين عدة جوانبٍ من نفسه.

سألته:

- ما رأيك أنت؟

فكَّر قليلاً، ثم قال:

-

أفضل ترك الآراء مفتوحة. سأضع الأمر للجمهور كي يقرر، مثل كل شيءٍ في المسرحية وفي الحياة أيضًا. أنا أمثل شخصيته، وأبذل جهدي لأجسده. لن أحكم على تصرفاته من الناحية الأخلاقية.

-

كانت نهايته مأساوية.

-

نعم، حسنًا، إنه خيار كاتب المسرحية. إنه مسؤولٌ عما يكتب، لذلك أضاف بعدًا أخلاقيًا، ربما من باب الخضوع إلى المعايير الصارمة في زمنه. لا أعرف. موضوع المسرحية قديم. إنها نظرية "السوبر مان" التي تحدث عنها "نيتشه" وعبر عنها "فاوست". "السوبر مان" هو الشخص الذي لا تنطبق عليه قواعد السلوك البشري المعتادة. يقول "لوفتر" قبل مصرعه في المسرحية: "من لم يرتكب خطيئةً قط ليس بشرًا. تكمن لذةٌ غامضة في الخطايا. كل الأعمال الصالحة ليست سوى محاولةٍ للشعور بهذه اللذة. تظهر حقيقة النفس عند ارتكاب الآثام. الخطيئة هي أساس كل جديد. أنا واثقٌ من أن الكاتب كان يعبرٌ عن رأيه ويعكس تجربته الخاصة. لقد وضعهما مع الآراء المعارضة التي تنتمي له أيضًا وتتناقض مع الرأي السابق. إنه صراعٌ درامي بين أطرافٍ متناقضة تحاول جميعها إثبات صحتها في المسرحية. وهذا ما يجعل المسرحية عظيمة.

هذا الشاب عظيم الفكر أيضًا، هذا ما قلته لنفسي، بينما يدور المسجِّل. صوته العميق المعبر يضيف إليه جاذبية شديدة. عيناه البنيتان تلمعان. شعره أسود طويل ومفروق من المنتصف. وجهه وسيمٌ وذكوري، وحاجباه حادان. إن لم يحلق "سكارفيدين" لبضعة أيام، سيبدو أشبه بصورة المسيح التقليدية في الرسومات الغربية.

كان يرتدي زيًّا تاريخيًّا، لكنه حرص على تأكيد الرابط بين مسرحية "الساحر لوفتر" وأناس هذا العصر أو أي عصرٍ آخر.

رفع ذراعيه ليؤكد وجهة نظره، فظهر ساعداه المشعران ذوا العضلات المختبئة تحت قميصه الأبيض، وقال:

- فكِّر في المشكلات الطبقية والتمييز الذي يتعرض له "لوفتر" حين يتعامل مع "ستينيون". إنه ابن رئيس الخدم وهي خادمة. جعلها تحمل منه ثم تجاهلها من أجل "تيسا" ابنة الأسقف. وهناك أيضًا تعاملاته مع صديقه "أولافيور" الذي يحب "ستينيوم" أيضًا. حاليًا تزداد الفجوة بين الأغنياء والفقراء باستمرار، والاضطراب بين الأيسلنديين والمهاجرين في ارتفاعٍ مستمر. إننا نواجه المشكلات نفسها لكن بأزياءٍ مختلفة، ونستخدم الكمبيوتر للتواصل.

ليس لديَّ ما أقوله، فواصل:

- ماذا عن مسألة حقوق الإنجاب والإجهاض؟ في تلك الأيام كانت المرأة اليائسة تترك طفلها في العراء ليموت. واليوم نناقش حقوق الإجهاض؟ إنها المشكلة نفسها، صحيح؟

أومأت موافقًا.

واصل "سكارفيدين" بلا انقطاع:

-الحياة هي سعيٌ دائم إلى السعادة. الحياة هي الجهود التي نبذلها والوسائل التي نستخدمها لتحقيق أحلامنا ورغباتنا.

انقطع الفتى الممثل عن استرساله المستفيض حين رنَّ موبايله في جيبه. كان يضعه في

جرابٍ جلدي بني اللون. ردَّ على التليفون ليستريح من خطابه الفصيح. بدا أشبه بمندوب مبيعاتٍ خبير!

* * *

ماذا حدث لهذا الشاب الواعد؟ لماذا هناك نداءٌ على الراديو يطلب منه الاتصال قبل ساعاتٍ من ظهوره الأول على المسرح؟

* * *

أتذكر بوضوح أجواء التوتر والترقب التي خيَّمت مؤخرًا على الشباب المشتركين في جماعة المسرح في مدرسة "أكوريري" الثانوية. سمعت كلامًا عن حل الجماعة لكنهم أنقذوها. وعرضهم الطموح الأول سيكون "الساحر لوفتر" في مكان الأحداث الأصلي، "هولار".

أخبرتني رئيسة الجماعة، "أويوستا ماكنوستوتير"، أنهم أرادوا عمل العرض الأول في ذلك المكان الذي يحمل أهمية تاريخية ودينية. لقد كان مركز الكنيسة في شمال أيسلندا لسبعة قرون، ويعتبر عاصمة المنطقة. باقي العروض ستكون في مسرح "أكوريري" القديم.

غادرت مع "يوا" وتركناهم في الصالة الرياضية، حيث يحتوي موقع العرض على معداتٍ رياضية وسلالٍ لكرة السلة. اتفقنا على أن المسرحية تستحق المشاهدة. لكن بعد أن خسر رئيسة الجماعة والمخرج "أورفار باوتل سيورتارسون" بطل المسرحية، لست واثقًا من أننا سنشاهدها.

سمعت مفتاحًا يدور في الباب بينما كنت سابحًا في أفكاري ودخلت "يوا". لم ألحظ خروجها. باب غرفتها مغلقٌ كما كان حين أتيت ليلة أمس. قلت لها:

- أهلاً، هل خرجتِ للتمشية؟

ردت:

- ماذا؟ لا.

لم تخلع معطفها قبل الجلوس على المائدة.

سألتها:

- حقًا؟

كانت "يوا" متعبة. لو لم أكن أعرفها جيدًا لقلت إنها تعاني من آثار الشرب. بدت محرجة قليلاً، لكن عينيها تلمعان بغرابة. فجأة لاحظت أنها ترتدي تحت معطفها البذلة والقميص اللذين ارتدتهما بالأمس، لكن دون ربطة العنق.

قلتُ:

- مهلاً، لقد عدتِ إلى المنزل للتو!

نظرت إلى الساعة فوجدتها قد تخطَّت الثانية ظهرًا.

قلت لها بتأنيب:

- هذا لا يصح أيتها الشابة. لا يمكن السماح بهذا السلوك هنا في هذا البيت. لدينا موعدٌ صارم للعودة ويجب احترامه.

ابتسمت.

ضحكتُ وقلتُ:

- هل استمتعتِ؟

اتَّسعت ابتسامتها.

- هيَّا أخبريني، أنا كوالدكِ.

لم ترد، لكن نظرتها أصبحت غامضة. سألتها:

- من هو؟

تردَّدت في الإجابة. نظرت إليها بتمعُّن. تريد قول شيءٍ ما لكنها لا تعرف كيف تصوغ الكلمات. ظللت أنظر إليها.

اتضح كل شيءٍ فجأة. إنه شيءٌ شعرت به بالأمس بنسبة 15%، لكنني تجاهلته لصالح التفكير المتفائل بنسبة 85%. قلتُ:

- "أتالهيتور هيميستوتير"، محررة "أكوريري بوست"!

أومأت برأسها.

-يا للهول!

عادت ابتسامتها.

تبخرت دهشتي وحرجي وإذلالي وأنا أرى سعادة "يوا"، وقلتُ:

- كنت أحمقَ لأضع آمالاً سخيفة حولها.

وقفت "يوا" ووضعت ذراعها بودٍ على كتفي، وقالت:

- أعرف. أنا آسفة حقًّا لأنني أفسدت فرصتك معها. لم أتعمد ذلك.

نهضت وعانقتها وأنا أقول:

- بالطبع لا يا عزيزتي "يوا". لم يكن لديَّ فرصةٌ أمام سيدةٍ ماكرةٍ مثلك.

غرقنا في الضحك.

قلتُ بإقرارٍ، وليس سؤالاً:

-

أنتما تعرفان بعضكما من قبل.

-

اعتادت "هايتا" أن تحضر حفلاً للمثليين في "ريكيافيك". نعرف شكل بعضنا لكننا لم نتحدث من قبل. ليس قبل انتقالي للشمال.

-

إذًا، عندما كنتِ تتجولين في البلدة بالكاميرا أو تذهبين للسينما أو تخرجين لأي سبب، كنتِ في الواقع تقابلينها؟

قالت:

-

لا، بالطبع لا. أعترف أننا ذهبنا للسينما، لكن لم نفعل شيئًا آخرَ، ما عدا بالأمس. ما كنت لأكذب عليك يا "إينار".

-

لكن هل تحتفظ بحقيقتها سرًّا هنا أم ماذا؟

-

نعم. لم تجرؤ على الإفصاح بعد. بسبب عملها بالجريدة واتصالاتها وإعلانات الجريدة ورد فعل القرَّاء.

-

العالم مليءٌ بالأسرار والأكاذيب يا عزيزتي "يوا". إنها قضايا تخص الجنس، والنوع، والعرق، واللون، والجنسية، والديانة. حين تبرز هذه الأسئلة نفقد القدرة على الحكم.

-

هكذا تسير الأمور حتى اليوم.

-

ألا تظنين أنه من الأفضل إحضار رجلٍ معكما منعًا للشك؟ لمواجهة أي سوء تفاهم؟ لتجنب المشكلات بالنسبة لـ"هايتا"؟

هزَّت "يوا" رأسها نفيًا بشدة، وقالت:

- على الإطلاق. لا تستهن بقدر نفسك يا "إينار". صحبتك ليست سيئة بأسلوبك الخاص عندما تكون في مزاجٍ لطيفٍ.

أشعلت سيجارة. لا أظن أن مزاجي لطيف منذ فترةٍ طويلةٍ، لكنني تجاهلت الأمر.

-

لكن حين أومأتما إلى بعضكما خارج المطعم بالأمس، هل هكذا قررتما اللقاء لاحقًا؟

-

أحيانًا لا تضطر إلى قول أي شيءٍ يا "إينار". أحيانًا ينتابك شعورٌ فقط.

-

بالطبع. أفهم ما تقصدين. أنا خبيرٌ في الشعور بالأمور.

* * *

موعد نشر العدد التالي من "أفترنون نيوز" سيحين يوم الثلاثاء التابع لعيد الفصح، لكنني ذهبت إلى مكتبي عصرًا. ليس بدافع الواجب، بل الفضول الصرف.

شربنا أنا و"يوا" قهوة في مقهى "أمور" المسمى تيمنًا باسم إلهة الحب الذي أطلق سهام العشق على رفيقتي. الموائد والكراسي موضوعة في الخارج تحت ضوء الشمس. المدينة بأكملها مشرقة، وميدان البلدية يعج بالنشاط والحيوية. الشباب المرحون يتزلجون بمتعةٍ في كل مكان بألواح التزلج ذهابًا وإيابًا. لسببٍ ما بدت البلدة مليئة بالشابات المتأنقات على أحدث صيحةٍ في مجلات الموضة. ثياب معظمهن كانت منخفضة الياقة بشدة، لدرجة أنني و"يوا" لم نواجه مشكلة في رؤية صدورهن المتهادية من على بعد. جلس حولنا الناس الذين يرتاحون من مغامراتهم العاطفية بالأمس.

عبرت الميدان نحو المبنى الخشبي الأحمر، إنه مبنى الجريدة المعلق عليه شعار "لتظهر الحقيقة". فكرت في "جونسا" ورفاق سفرها وهم في ميدان البلدية الأكبر في "كوبنهاجن". فتحت موقع الأخبار الإلكتروني ووجدت نداء الراديو الذي يطلب من "سكارفيدين فالياردسون" الاتصال. تناقشت مع نفسي إذا كان عليّ الاتصال بـ"أورفار باوتل" أم "أويوستا". قررت الاتصال بالثانية. أخبرتني أنها في الصف الثاني الثانوي. إنها فتاة صغيرة،

لكنها كتلةٌ من النشاط والحيوية بشعرها القصير ونمشها. كانت ترتدي شعرًا مستعارًا رماديًا وهي تلعب دور زوجة أسقف "هولار" في المسرحية.

ردَّت على التليفون مقطوعة الأنفاس.

قلتُ:

- مرحبًا، أنا "إينار" من جريدة "أفتر نون نيوز". كتبت مقالاً عن مسرحية "الساحر لوفتر" في عدد اليوم.

ظهر من صوتها أنها كانت تتمنى شخصًا آخر على الخط. ردَّت:

-

نعم، مرحبًا.

-

سمعت نداء الراديو في وقت الغداء. هل ظهر "سكارفيدين"؟

-

لا. اضطررنا لتأجيل العرض الأول هذه الليلة. لم نستطع تركه على موعده.

-

هل بدأتم البحث عنه؟

-

ظللنا نبحث عنه طوال الصباح، ثم اتصلنا بالشرطة.

-

ماذا حدث في رأيك؟

تنفسها السريع يدل على غضبها وهي تقول:

-

لا أعرف. أقمنا حفلةً بعد البروفة الأخيرة بالأمس. بقي قليلاً ثم لم يره أحدٌ بعدها.

-

هل حدث شيءٌ غريب؟

-

ليس على حد علمي.

-

ربما كان يغطُّ في النوم بسبب الإرهاق؟ أو ربما ذهب ليحتفل إلى مكانٍ ما، وما زالت الحفلة مشتعلة؟

-

أنت لا تعرف "سكارفيدين"، إنه شخصٌ مسؤول ويعتمد عليه.

-

أين يسكن؟

-

كان يعيش في سكن الطلبة، ثم انتقل الخريف الماضي واستأجر شقةً في البلدة. إنه لا يفتح الباب.

شكرتها على المعلومات، ثم أخبرتها بغير اقتناع أنه علينا تمني حدوث الأفضل.

بعد ذلك اتصلت بالشرطة وقالت المرأة التي ردَّت:

-

لقد وزعنا نشرةً بأوصافه وبدأنا البحث. إنه ليس مفقودًا منذ وقتٍ طويل، لكن ظروف اختفائه مريبةٌ بالتأكيد، خاصةً أن العرض الأول لمسرحيته الليلة.

-

هل ذهبتم إلى شقته؟

-

أخشى أنه لا يمكنني إخبارك بالمزيد.

أنهيت الاتصال ورغبت فجأةً بعمل مكالمةٍ أخرى.

-

مساء الخير، معك "هوتل".

-

هل يمكنني التَّحدُّث إلى "جونهيلتور بيارجمونتستوتير"؟

-

لحظة واحدة.

مرَّت دقيقتان ثم رد عليَّ صوتٌ مضطرب ومهتز:

-

مرحبًا.. نعم.. مرحبًا.

-

مرحبًا "جونهليتور". أنا "إينار" من جريدة "أفتر نون نيوز". تركتِ لي رسالةً منذ بضعة أيامٍ لأتصل بكِ. لكنني لم أستطع الوصول إليك سوى الآن.

ساد صمتٌ طويل، ثم تردد صوت نحنحةٍ عاليةٍ من السماعة. انتظرت حتى انتهت ثم قالت بصوتٍ مهتزٍ قليلاً:

-

عذرًا يا بني. عندما تشيخ مثلي يتعطل جسدك.

-

علمت أنكِ والدة "أوستيس بيورك". آسفٌ لخسارتك.

-

أشكرك. يقولون إنك لا تدرك أبدًا فداحة الموت إلا إذا دفنت ولدك بيدك. إن.. إن..

بدت السيدة العجوز على وشك البكاء وهي تضيف:

- هذا صحيحٌ تمامًا.

سألتها لكي لا يتشتَّت تركيزها:

-

هل يمكنني مساعدتكِ؟ لماذا اتصلتِ بي؟

-

لا أعرف إن كان يمكنك مساعدتي أم لا.

-

لكن...؟

-

حاولت التَّحدُّث إلى الشرطة، لكنهم لم يستمعوا إليَّ. على الأرجح يظنون أنني عجوزٌ مجنونة. كثير من الناس يظنون أن كل العجائز حمقى وصُم ومجانين.

قلت وأنا أتساءل في نفسي إن كنت واحدًا منهم:

- هذا صحيح.

ثم أضفت بسرعة حين أدركت أن ردي يحتمل معنيين:

-

كثير من الناس يظنون ذلك. إنه مجرد تحيز بالطبع.

-

لا أحسد حال هؤلاء الناس حين يشيخون، أو لا يشيخون على ما آمل.

لا أتمنى أن تدور المحادثة عن الشيخوخة، لكنني قلتُ مازحًا:

-

لماذا؟ هل تتمنين لهم موتًا مُبكِّرًا؟

-

لا، أنا فقط أوضح أنه يجب عدم إذلال أو تجاهل أي شخصٍ بسبب عمره. المنطق نفسه ينطبق على الأطفال والمراهقين. الجميع له حقوق.

أضفت:

- أتفق معكِ، لكن لماذا اتصلتِ بي؟

علا صوت "جونهيلتور" بغضبٍ وحدَّة، وقالت:

-

لأن الشرطة تجاهلتني! تجاهلتني ببساطة!

-

لماذا؟

-

أخبرتهم أن وفاة "أوستيس بيورك" لم تكن حادثة.

-

ماذا؟

صرخت:

-

لن أرضى بذلك. لن أصمت حتى أموت وأترك هذا العالم البائس!

-

لماذا تقولين إن وفاة ابنتكِ لم تكن حادثة؟

أخفضت صوتها وهمست لي سرها بتأكيدٍ درامي:

- لأن ابنتي قُتِلت يا بني. قُتِلت بدمٍ بارد على يد قاتلٍ متحجر القلب.

جمعة الآلام 8

في البداية كانت الأمنية.

عندما بزغ فجر جمعة الآلام كل ما كنت أفكّر فيه هو أن أمضيه بكسلٍ وراحة. دون فعل أي شيءٍ لعين، اغفروا لي كلماتي العنيفة في هذا اليوم المقدس. لكن كما تعلمون، ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

وجدت رسالة على مائدة الطعام تقول: "ذهبت لمقابلة "ذلك الشخص". أراك لاحقًا".

وجدت بعض الحلوى بجانب ملحوظة "يوا". يبدو أنها اشترتها من أحد الأماكن التي لا تغلق في هذا اليوم المقدس. من محطة الوقود على الأرجح. في صغري كانت محطات الوقود تبيع البنزين للسيارات فقط، أما الآن فيبدو أن هدفها الأساسي صار تزويد السائقين بالمؤن.

تلذذت بحلوى "يوا"، وفتحت الباب الموصل بين غرفة الجلوس وحديقة المنزل، ثم جلست على مائدة في الشرفة الخارجية الصغيرة ودخنت سيجارة، بينما أشرب قهوتي. تمتعت بأشعَّة الشمس المشرقة تمامًا كالأمس. لا يوجد أثرٌ للثلوج، لذلك بقي في المنزل المتزلجون الذين أتوا إلى "أكوريري" للتزلج على المنحدرات. يلعب الأطفال بالكرة في الحديقة المجاورة. يبدو أن أجهزة الكمبيوتر والتكنولوجيا الحديثة لم تمنع الأطفال من اللعب بالخارج. ليس بعد على الأقل. بعد نصف ساعةٍ من الكسل المترف شعرت بالملل. تأكدت من أن رفيقتي أنثى الببغاء لديها ما يكفي من الطعام والماء ثم ودَّعتها ووعدتها بالعودة في موعد العشاء.

* * *

رأيت لافتة "الشرطة" على مبنى أبيض طويل من طابقين في شارع "ثورونارستراتي"، وهناك مربعٌ أزرقٌ أسفل كل نافذة. يبدو القسم كحصنٍ صغير لحماية القانون والنظام في "ريكيافيك". ذهبت إلى قسم الاستقبال، ولم يمضِ الكثير حتى قابلت المأمور "أولافيور جيسلي كريستيانسون". إنه رجلٌ طويل بملامح حادَّة وفي الأربعين من عمره. كان يرتدي قميصًا رسميًّا باللون الأزرق السماوي، ونظارةً بإطارٍ أسود سميك من النوع الذي ارتداه المغني الأمريكي "بودي هولي" - Buddy Holly ومغنّو الـ"روك أند رول" في الخمسينيات والستينيات. رأسه أصلع، وأنفه روماني معقوف وقوي، وذقنه مشقوقة، وهناك فالقٌ بين أسنانه الأمامية العلوية. أشار لي برزانةٍ لأجلس.

لم يكن ترحيبه ودودًا، وعكست عيناه شكًّا من خلف النظارة.

قلتُ له:

- أردتُ سؤالك عن أخبار البحث عن "سكارفيدين فالياردسون".

شبك ذراعيه أمام صدره العضلي. وقفته تقول: "لا مجال. لن تحصل على شيءٍ مني". قال بصوتٍ عميق بلهجةٍ شمالية غربية:

-

لم نصل إلى أي نتيجةٍ بعد للأسف.

-

هل يشترك كثير من رجالكم في حملة البحث؟

-

لقد استدعينا جميع العناصر المتوفرة، من رجالنا وفرق الإنقاذ المتطوعة. نحو عشرين رجلاً.

مال للأمام على مكتبه المكدَّس بالأوراق المرتبة بجوار جهاز كمبيوتر كبير ثم قال:

-

هل لديك أي فكرةٍ عمَّا حدث له؟

-

سأخبرك ما قلته لزملائك من الإذاعة والتليفزيون وجريدة "فري تايمز" و"مورنينج نيوز". لا نملك معلوماتٍ يمكن مشاركتها مع الإعلام حاليًا بخصوص هذا الموضوع.

فكرت لبرهةٍ ثم قررت الضغط عليه قليلاً. استفسرت بأدب:

- هل لأنكم لا تملكون معلومات؟ أم لأنكم لا تريدون مشاركتها مع الإعلام؟

نظر إليَّ المأمور "أولافيور جيسلي كريستيانسون" بشراسة، ثم وقف وحام حولي كبركانٍ على وشك أن ينفث الحمم والكبريت على السهول المحيطة به.

سألني بهدوءٍ يتناقض مع وقفته المهددة:

- من تظن نفسك؟

أجبته بتلعثمٍ وأنا أنهض:

- صح.. صحف.. صحفي.

قال:

-

أعرف من أنت. أنت موظفٌ بإحدى الصحف الصفراء في الجنوب. تتظاهر بالمدنية وتظن

أنك ستنشر فضائح "أكوريري". لكنك وجدت شيئًا آخر.

-

لم أقصد أن...

كرّر مجددًا:

-

أعرف من أنت. أنت مشاغبٌ من الجنوب. الشرطة تعرفك بالتفصيل. أنت لا تحترم قواعد العمل. تتجاهل مصادر المعلومات المعتادة، وتذهب لاستقصاء الأخبار بطريقتك...

-

لن يحدد لي أحدهم ما أنشره...

واصل وكأنني لم أقاطعه:

-... وتظن نفسك الباحث عن الحقيقة الذي بعثه الله إلى الناس...

-

أنا من يقرر الأخبار. ما زال لدينا حرية التعبير...

-

لا نحتاج إلى أمثالك هنا في "أكوريري".

واصلت وكأنه لم يقاطعني:

-... ولدينا حرية الصحافة في هذا البلد.

- لكن بما أنهم رؤوك مناسبًا للعمل هنا، فهناك أمرٌ واحدٌ يمنعني من طردك.

سألته بدهشة:

- حقًّا؟ ما هو؟

عاد للجلوس خلف مكتبه وهو يقول:

- لا، إنها أمران في الواقع. أولاً، تسامحي مع كل المشاغبين بشكلٍ عام.

اتسعت ابتسامته لدرجة أنني رأيت لهاة حلقه من خلال فالق أسنانه الأمامية. ثم ابتسم بتكلفٍ، وقال:

- مهلاً، انتظر. إنها ثلاثة أمور في الواقع. ثانيًا، واجبي كضابط شرطة يدفعني لعمل علاقاتٍ طيبة مع الشعب والإعلام...

أشار إليَّ بالجلوس، فسألته بينما أمسح العرق البارد عن جبيني:

-

وثالثًا؟

-

ثالثًا، عليَّ أن أكافئك على شكوكك على الأقل، لأن صديقي "أوسبيورن" يؤمن بقدراتك.

ارتحت وسألته:

-

أنت صديق "أوسبيورن" في الشرطة إذًا؟

-

أعلم أن كلاكما لم تتفقا جيدًا على مدى السنين السابقة. لكن ما يثبت كونه رجلاً محترمًا أنه طلب مِنِّي أن أقدرك وأتفهمك بقدر الإمكان.

لا أعرف ماذا أقول.

نظر إليَّ بشراسةٍ مجددًا، وقال:

- ما ردك على هذا الكلام؟

أجبت مبتسمًا:

-

ممتاز. أشكرك و"أوسبيورن" بكل تواضعٍ على تسامحكما معي.

-

لا تشكرني، بل اشكر "أوسبيورن". سأغض بصري عن أفعالك مراعاةً له فقط.

-

هل أنتما صديقا طفولة؟

-

كنا زميلين في المدرسة الثانوية، ثم أصبحنا أعز صديقين. أدين له بالكثير.

-

حقًّا؟ مثل ماذا؟

خلع "أولافيور جيسلي" نظارته ولمعها بطرف قميصه الأزرق الرسمي، ثم قال بالابتسامة المتكلفة نفسها:

- صدّق أو لا تصدّق، لم أكن طالبًا متميزًا. كنت مهتمًا أكثر بالفتيات والحفلات. كان يمكن أن أرسب وينتهي بي الحال في الحضيض. كان يمكن أن ينتهي بي الحال كمتهم. لكنني اعتمدت على أعز أصدقائي. "أوسبيورن" هو من ساعدني في الحصول على شهادة الثانوية. بعد ذلك حصل كلٌ منا على حياةٍ مختلفة.

مددت يدي لمصافحته قائلاً:

- هل نبدأ من جديد؟

صافحني بقوة وهو لا يزال مبتسمًا، وقال:

-

حذرني "أوسبيورن" منك. قال إنك تتجاوز الحدود، لكنه قال أيضًا إنك أهلٌ للثقة إن قطعت وعدًا. كما قال إنك لست سيئًا كما تبدو.

-

عليَّ أن أشكره حتمًا.

-

ما زلت لا أستطيع إخبارك بالمزيد حول البحث عن "سكارفيدين" حاليًا. لكن حدسي لا يبشر بالخير. يقول الجميع إنه شابٌ مسؤولٌ.

-

أين تبحثون؟

-

في جميع أنحاء "أكوريري" والمناطق المجاورة.

-

ألم يبت في منزله الليلة السابقة؟

-

لا نعرف. لكننا واثقون أنه ليس في شقته.

وقف مجددًا بهدوءٍ وتماسك، ثم قال:

- الواجب يناديني.

سألته قبل أن أغادر:

- هل تحققون في وفاة المرأة التي سقطت في نهر "يوكولساو" أيضًا؟

رمقني شذرًا، وقال:

- لماذا تسأل؟

فكَّرت في إخباره عن مكالمتي مع والدتها، لكنني قررت الاحتفاظ بالأمر سرًّا. لست مدينًا بولائي إلى "أولافيور جيسلي"، "ليس الآن" كما كان ليقول لو أنه مكاني. فقلت:

-

مجرد سؤال.

-

نحن ننتظر نتائج تشريح الجثة. إنه عيد الفصح، والناس في إجازة. سنحصل على النتائج بعد الإجازة الأسبوعية. لكن لا دليل على أن الأمر يتعدى كونه حادثًا.

ودَّعني قائلاً:

- تذكَّر أنك لم تعد في "ريكيافيك". اعرف محيطك الجديد جيدًا. حتى متهورٍ مثلك عليه الحذر.

* * *

وسط الصمت المطبق لمكاتب الجريدة بدأت أحسد الإذاعة على نشراتها المستمرة، هذا بالإضافة إلى جريدتي "فري بوست" و"مورنينج نيوز" اللتين تنشران طبعةً خاصة يوم أحد الفصح. ما باليد حيلة. الانتظار يولد الخسارة. لذلك اتصلت بقسم شرطة "ريتارجيرتي". ثم طلبت التَّحدُّث إلى "هوسكولتور بيترسون"، نائب المأمور "أولافيور جيسلي".

-

أنا هو.

-

مرحبًا، معك "إينار" من جريدة "أفتر نون نيوز".

بدا صوته متوترًا، وهو يقول بأدب:

-

نعم، مرحبًا.

-

هل نجحت في إظهار الحقيقة دون تزييف أي شيء آخر؟

-

لا بأس. لكن رئيس البلدية لم يكن سعيدًا برؤية صورة ابنه.

-

ربما كان يجدر بي تلطيف الحقيقة؟

-

لا أعرف. من الطبيعي أن يعشق "يوهان" ابنه. "أكنار" ليس فتى سيئًا، لكنه يسيء التصرف بشدةٍ الآن.

-

أظنني رأيت "أكنار" يتباهى بقيادة سيارته وسط "أكوريري" ليلة أول أمس. هل يمكن هذا؟

-

نعم، ممكن. هو ورفاقه ممنوعون من دخول بار "رايتين"، إنها ليست المرة الأولى. عندما يحدث هذا يعبثون في "أكوريري".

-

إذًا، هل سئم أخوك "أوسيريمور" من التغطية الإعلامية السلبية حول الصراع بين المحليين والمهاجرين؟

-

إن "أوسيريمور"... مهلاً، كيف علمت أنه أخي؟

-

العالم قريةٌ صغيرة كما تعلم.

صمت قليلاً، وسمعت صخبًا من عنده.

-

إذًا، هل كان هناك متاعب ليلة أمس أو أول أمس؟

-

ليلة أول أمس لا. لكن كان هناك بعض الجلبة ليلة أمس. الأمور المعتادة. لا شيء مهمًا.

يقع دار رعاية "هوتل" في شمال غربي "أكوريري". يتكون من ثلاثة طوابق تضم جناحين. تصميمه بسيطٌ وممل مثل كل المؤسسات. يعكس الرؤية السياسية والاقتصادية بدلاً من الرؤية الجمالية.

داخل المبنى يوضح أن الموظفين بذلوا جهدهم بالإمكانيات المتاحة. وضعوا أواني الزرع والزهريات في الصالة والممرات لتشع بالدفء والبهجة. الوضع مشابهٌ لفندق "ريتارجيرتي" في الواقع.

انتظرتني والدة "أوستيس بيورك" في صالةٍ واسعة بها مقاعد وأرائك رمادية منجدة موضوعة حول تليفزيون ضخم.

قلت بصوتٍ عالٍ:

- مرحبًا يا "جونهيلتور".

أمرني جميع من بالغرفة بالصمت:

-

ششششش!

-

ششش!

يعرض التليفزيون شخصين يمثلان مشهدًا دراميًّا باللغة الإنجليزية. الرجل أسمر البشرة، وأسنانه شديدة البياض وملامحه في غاية الوسامة، إنه يذكرني بـ"تراوستي لوڤ". أمَّا المرأة فتشبه دمية "باربي" مع أثداء سيلكون صناعية وشعرٍ غزير منفوش.

قال الرجل بألم:

- كيف تفعلين هذا بي؟ مع أخي؟

ردَّت وعيناها تلمعان بدموعٍ صناعية:

- حبيبي، أنا آسفة، آسفة جدًّا. لم أتعمد ذلك. فقدت السيطرة.

همست إليَّ "هونهيلتور":

- نعم، كلهم مهووسون بالدراما هنا. "جايدينج لايت"، جميعهم يشاهدون "جايدينج لايت". أفضل مشاهدة عرضٍ عن جريمةٍ داميةٍ عنيفة بدلاً من هذا الهراء التافه. أريد مشاهدة دراما بريطانية كلاسيكية، مثل "مورس" أو "تاجارت" على سبيل المثال. أيًّا كانت الأحداث.

بعد مكالمتي معها تساءلت إن كانت السيدة العجوز تعيش في عالمٍ خيالي من الدراما البريطانية من نوع "من الجاني؟"، حيث يتعرض الناس للطعن في أحياءٍ قذرة أو يتسممون بقطعة لحم على العشاء في قصرٍ ريفي. تعليقها على وفاة ابنتها بدا غريبًا مع واقعنا، مع الحياة الواقعية في "أكوريري".

أثناء حديثها معي على التليفون انفعلت بحزن لدرجة أن أحد الموظفين قاطعنا وطلب مِنِّي بأدبٍ معاودة الاتصال لاحقًا.

وهكذا عاودت الاتصال أثناء جلوسي في الحديقة أتناول القهوة والحلوى. أرادت "جونهيلتور" لقائي، وها قد أتيت إلى دار رعاية "هوتل". لن أتجاهل العجائز، ليس حتى

نهاية حياتهم.

"جونهيلتور بيارجمونتستوتير" سيدةٌ نحيفةٌ، لكنها نشيطة وقوية على الرغم من حجمها الصغير. شعرها الرمادي مربوطٌ في جديلةٍ من الخلف. إنها تسير بعكازٍ، لكنها لا تحتاج إليه إلا قليلاً على ما يبدو. عيناها الزرقاوان الصافيتان لا تكفان عن الحركة لمراقبة ما يحيط بها. تجعدت بشرة وجهها بتأثير السن، لكنها لم تتجعد بصورةٍ لافتة للنظر. لديها كرامة، ربما أخضعتها الحياة قليلاً، لكنها لم تكسرها.

بالنسبة لـ"جونهيلتور"، التقدم في العمر يتعدى حدود التصنيف النوعي من رجلٍ أو امرأة. يصبح الذكور أو الإناث مجرد بشرٍ حصلوا على سلامٍ روحي وجمالٍ داخلي، فلا يشعرون بالإزعاج. بعضهم أثرت فيهم الحياة أكثر من غيرهم، ثم أصبحوا الآن مراقبين لها بدلاً من مشاركين فيها. جلسوا جميعًا في الصالة، بشعورٍ رمادية أو رؤوسٍ حليقة، ينتظرون مصيرهم النهائي المحتوم ويمضون الوقت بمشاهدة "جايدينج لايت". بعد وقتٍ طويل، على مقياس الأبدية، سأكون جالسًا هنا أيضًا.

لا، لن أتجاهل الناس بسبب عمرهم.

بمجرد أن هربنا من دراما "جايدينج لايت" وذهبنا إلى ركنٍ صغير في الممر، وجدت نفسي أتحدث بصوتٍ عالٍ فقالت "جونهيلتور" بغضب:

- أخفض صوتك أيها الشاب! هل تظنني صماء؟ هل تريد أن تسبب لي المتاعب؟

ارتبكت. هل هذه السيدة مخبولة؟

تمتمت لنفسي:

- لا، معاذ الله.

صاحت:

- لا فائدة من الدعاء!

قلتُ هامسًا:

- إنه عيد الفصح. ألا يجب أن نخشى الله في عيد الفصح؟

الآن هي من رفعت صوتها، وقالت:

- نخشى؟ كيف نخشى من خلق كل شيءٍ من عدم؟ وهذا كل ما بقي.

نظرتُ حولي، وهمستُ متسائلاً:

- ماذا؟ ما الذي بقي؟

ردَّت "جونهيلتور" برقة:

- عدم، كل شيءٍ من عدم. بمعنى آخر، لا شيء. عدمٌ من عدم.

صمتت قليلاً متفاجئًا. قالت:

-

ماذا فعل الرب بابنتي "أوستيس بيورك"؟

-

لا أعرف.

-

الإجابة سهلة. لا شيء. لم يفعل شيئًا.

-

تقصدين...

-

ما أقصده هو أن الرب لم ينقذها من الخطر. لم يفعل شيئًا.

-

ما الخطر الذي تعرضت له؟

-

الشر، الحقد، الخبث.

مالت لتهمس في أذني:

-

"أوستيس بيورك" قُتِلت. قُتِلت بدمٍ بارد.

-

على يد قاتلٍ متحجر القلب؟

سألت بدهشة:

- نعم، كيف عرفت؟

تجاهلت سؤالها، وسألتها:

-

من قتلها؟

-

هذا النذل "أوسجير إفينتارسون" بالطبع. ومن غيره؟

-

هل تقصدين زوجها؟ "أوسجير إفينتارسون"؟

صرخت بحدة:

-

نعم، هو! لا أحد غيره!

-

لماذا يقتل زوجته؟

-

لأنه شرير وحقود وخبيث.

نظرت إليَّ "جونهيلتور" بعينيها الزرقاوين تتحداني أن أعارضها.

- كيف فعلها إذًا؟ لقد سقطت في النهر أمام حشدٍ من الشهود. آسف لذكري تفاصيلٍ مؤلمة يا "جونهيلتور"، لكن وجهها اصطدم بالصخور. لقد ماتت بسبب صدمةٍ في الرأس.

قالت شاعرةً بالإهانة:

- هراء. أنت مثل الشرطة. لا بد أنك تظنني عجوزٌ مجنونة شاهدت كثيرًا من مسلسلات الجريمة.

لم أعرف كيف أرد بالضبط، لكنني قلت:

- أبدًا، على الإطلاق. لكن من السهل قول مثل هذه الادعاءات. ما الدليل على كلامكِ؟

قالت بغضب:

-

دليل؟ كيف أجد الدليل؟ أنا عجوزٌ محبوسةٌ في هذه الدار؟

-

حسنًا، ماذا عن الخيوط؟ هل لديك أي خيوطٍ نتبعها؟

وضعت يدها الذابلة المجعدة على ركبتي وهمست:

- لم يكن لدى "أوستيس بيورك" أي نيةٍ في الذهاب إلى رحلة البراري اللعينة تلك. هل يمكن احتساب ذلك خيطًا؟ وأيضًا اختلفت "أوستيس" مع "أوسجير" في طريقة إدارة مصنع "يام". كما أن "أوسجير" حضر حفل العشاء السنوي، بينما زوجته تصارع للنجاة بحياتها في المستشفى. هل يمكن احتساب هذه الأمور خيوطًا؟

فكَّرتُ في كلامها، وقلتُ:

- حسنًا، يمكن أن تقود هذه الخيوط إلى أمورٍ أخرى، مثل الصراع في عمل العائلة، والاختلاف في قرار الذهاب إلى رحلة البراري، وشعور المدير بالواجب والمسؤولية نحو موظفيه. لكنها ليست خيوطًا لجريمة قتلٍ بالضرورة، ليس تمامًا يا "جونهيلتور".

ردَّت ببرودٍ وهي تسحب يدها:

- حسنًا إذًا. ليس لديَّ المزيد لأقوله لك. يمكنك الذهاب.

لقد انفعلت مجددًا. سألتها بهدوء:

-

لماذا اتصلتِ بي أنا بالذات؟ لقد وصلت مؤخرًا إلى "أكوريري"، وما زلت أستكشف محيطي. أنت لا تعرفين شيئًا عني.

-

لا، لا أعرف شيئًا عنك. لكنني قرأتُ مقالاتك عن ابنتي في الجريدة. رأيت ما كتبته عن الأسرة التي فقدت كلبها. لهذا اتصلت بك.

بدأت تبكي وتقول:

- لكنني أدركت أنه لا فائدة من ذلك الآن. اذهب أيها الشاب. اترك عجوزًا مثلي تبكي في سلام.

في مساء جمعة الآلام دعت "هايتا" "يوا" على العشاء. واستحممنا أنا والببغاء "بولي".

ثم شاهدنا فيلم أمريكي عن آلام المسيح.

ظللت أتقلب طوال الليل، بينما أحلم بالمحققين "مورس" و"تاجارت" من مسلسلي التحقيق، وكانا يحققان في سرقة زجاجة خمر!

أثناء ذلك تم اكتشاف جثةٍ في مكب نفايات "أكوريري".

9 السبت

ماذا قال القس في ترانيم الراديو في أحد السعف؟

"وإن أردنا أن نكون أتباعًا للمسيح، علينا أن نحمل صليبه ونتبع خطاه طوال حياتنا. صليب العذاب هو جزءٌ لا يتجزأ من حياة كل المسيحيين. إن أحداث أسبوع الآلام تعلمنا الصبر على المعاناة التي نلاقيها في حياتنا...".

حلت الظهيرة يوم أحد الفصح عندما ذهبنا أنا و"يوا" إلى مكب النفايات في "كروسانيس"، وهو معروفٌ بـ"خردة إيافيرزر" أو "منشأة تدوير المعادن الخردة". في محاولتي الأولى للوصول إليه دخلت منعطفًا خاطئًا، فوجدنا أنفسنا جوار المضيق عند ميناء "أوسيري". لكننا وصلنا أخيرًا إلى المكب خلف مصنع سمك "كروسانيس".

المكب محاطٌ بسياج، وهناك بوابةٌ ضخمة في منتصفه. كانت مفتوحةً عن آخرها، وهناك ضباطٌ يحرسونها من الجانبين. تقف خمس أو ست سيارات أمام البوابة. بجانب إحدى السيارات يقف مراسلٌ إذاعي مع عدة البث الخارجي المحمولة التي تذكرني دومًابالزجاجات العريضة، سيارةٌ أخرى عليها شعار جريدة "مورنينج نيوز". على الجانب الآخر من السياج هناك كوخٌ ملون بالأزرق الشاحب، وتتناثر حوله القمامة والحاويات الخردة ووسط كل ذلك تقف شاحنة مكتوبٌ عليها شعار "المعدن الخردة عملنا". بالإضافة إلى سيارتي شرطة وسيارة لم أتعرف عليها. عجبًا، لم أرَ على تلك السيارات شعار "الموت والدمار عملنا". رأيت خلفها كومةً ضخمة من الإطارات والصناديق والثلاجات المهملة والفريزرات وجميع أنواع القمامة. كما أنني لمحت سيارة جنازات عن بعد.

خرجنا أنا و"يوا" من السيارة وبدأت هي بالتقاط الصور من مدخل البوابة الذي كان مغلقًا بالشريط الأصفر الخاص بمسرح الجرائم. يعج المكان بالشرطة ورجال المعمل الجنائي بأزيائهم الواقية. جميعهم مشغولون، بعضهم منحني على كومةٍ نصف محترقة من الإطارات التي ما زال الدخان الأسود يتصاعد منها إلى الهواء الراكد تحت الشمس الساطعة.

تبعت "يوا" إلى البوابة، حيث يتجمع أربعة مراسلين يلوحون بكاميرات الفيديو والميكروفونات وأجهزة التسجيل.

سألتهم:

- ماذا يحدث؟

قال مراسل من جريدة "مورنينج نيوز" وهو يلقي نظرةً على ساعته:

-

نحن ننتظر بيانًا. لقد حان الوقت وسيفوت عليَّ موعد التسليم النهائي.

-

ماذا لدينا من معلومات؟

-

وجدوا جثةً في هذا المكب ليلة أمس.

-

هذا فقط؟

نظرت حولي ولمحت سيارة من طراز "سيتروين" تنضم للسيارات الأخرى خارج البوابة. خرجت منها "هايتا"، محررة جريدة "أكوريري بوست". كانت ترتدي بنطلونًا ضيقًا من الجينز وسترةً بيضاء خفيفة.

ابتسمت لي بلطفٍ، وقالت:

- مرحبًا، وشكرًا على العشاء في الليلة الماضية.

أجبتها بينما أبحث عن "يوا":

- هذا من دواعي سروري.

ما زالت "يوا" تلتقط الصور. استدارت وأومأت بتهذيبٍ لـ"هايتا" التي بادلتها التحية.

سارت المحررة المحلية نحو "يوا" وهي تخرج من جيبها كاميرا رقمية صغيرة. بدأت بالتقاط الصور ولم تقل كلمةً لـ"يوا".

راقبنا الوضع وانتظرنا، بينما ندردش من آنٍ لآخر. مرَّ عشرون دقيقة ورأيت رجلاً ضخمًا حليق الرأس وحاد الملامح. كان يرتدي نظارةً سميكة بإطارٍ أسود. اقترب منا فأدركت أنه المأمور "أولافيور جيسلي كريستيانسون" ببذلته الرسمية. تصرف برسميةٍ وجفاف، بينما ينحني ليتجاوز الشريط الأصفر لمسرح الجريمة كي يتحدث مع وسائل الإعلام.

قال وهو ينظر إلى المجموعة متظاهرًا بأنه لا يراني:

- مساء الخير. لسوء الحظ لا يمكنني إخباركم بالكثير. ليس حاليًا على الأقل...

مجددًا "ليس حاليًا"، لماذا يستخدم رجال الشرطة هذه الكلمة كثيرًا؟!

-... لكن هنا في مكب "إيافيرزر" ومنشأة تدوير المعادن الخردة...

يا للمصطلحات المعقدة!

-... وجدنا جثةً في ساعات الصباح الأولى. اكتشفتها فرقة بحثٍ تابعة للشرطة ومتطوعين للإنقاذ، وذلك في الخامسة والنصف صباحًا. لاحظ موظف المناوبة الليلية دخانًا في كومة الخردة، وهذا ليس معتادًا في ذلك الوقت من الليل. لذلك اتصل بنا فورًا.

توقف المأمور عن الكلام. يبدو أنه ليس لديه ما يقول.

سأله المراسل الإذاعي الذي يبث مباشرةً على الهواء في أخبار الظهيرة:

- هل هي جثة رجل؟

تردد "أولافيور جيسلي"، وقال:

- تقود بعض الإشارات إلى ذلك، لكن لا يمكننا الجزم بعد.

سألته مستفسرًا:

-

هل هذا بسبب حالة الجثة؟

-

لا يمكنني إجابة هذا السؤال حاليًا.

واصلت سؤاله:

- هل هو مجهول الهوية؟

علّق وهو يرمقني محذرًا:

- لا تعليق.

قلتُ ملاحظًا:

-

يمكننا الافتراض من خلال الدخان المتصاعد من المكب أن الفاعل أحرق الجثة، صحيح؟

-

هذا السؤال ليس مناسبًا حاليًا. ما زلنا نحتاج إلى تحديد هوية الجثة ثم إبلاغ الأهل. وحتى نفعل ذلك لن يمكننا إجابة هذه الأسئلة.

قلتُ مشيرًا إلى السياج:

-

يمكننا رؤية سحب الدخان المتصاعد من كومة الإطارات هناك. هل يمكنك التأكيد على الأقل بأن أحدهم أشعل النار في الإطارات؟

-

نعم، يمكنني تأكيد ذلك.

سأل مراسل جريدة "مورنينج نيوز":

-

هل من الخطأ أن نفترض بأن الجثة تعود لطالبٍ في الثانوية اسمه "سكارفيدين فالياردسون"؟

-

نعم، من الخطأ افتراض ذلك حاليًا.

-

ألم يتم العثور عليه بعد؟

-

لا، لم يتم العثور عليه.

سأل مراسل من جريدة "فري بيبر":

-

إذًا، فرقة البحث التي وجدت الجثة كانت تبحث عن "سكارفيدين"، صحيح؟

-

نعم. لكن هذا لا يعني بالضرورة أن الجثة تعود للشخص المفقود.

سألته:

- هل فُقِد أي شخصٍ في "أكوريري" في الساعات الأخيرة؟

رد المأمور:

- لا، لم يصل للشرطة بلاغًا بذلك.

فقد المراسلون القلائل صبرهم.

قال "أولافيور جيسلي":

- هذا كل ما لديَّ حاليًا. شكرًا.

سأل المراسل الإذاعي بعدما انتهى من البث المباشر:

- متى يمكننا الحصول على مزيدٍ من الأخبار؟

قال المأمور بفظاظة:

- عندما يتوفر المزيد من المعلومات. التحقيق جارٍ، وسنعمل بأقصى طاقتنا. شكرًا.

استعد المأمور لينحني أسفل الشريط الأصفر مجددًا، لكن استوقفه مراسلون من التليفزيون الوطني وقناة "فيجن 2". لقد وصلوا في منتصف بيانه. أرادوا تصوير لقاءً صحفيًا معه، فوافق على مضض. انتظرت في الجوار لأتنصت على حديثه، لكنه لم يضف جديدًا.

عندما التقيت مع "يوا" عند السيارة كان كل المراسلين و"هايتا" قد غادروا بالفعل.

سألتني:

-

ماذا نفعل الآن؟

-

ما باليد حيلة. لن تعود الجريدة للنشر قبل يوم الثلاثاء، سأوصلك إلى مكانٍ ما لتستمتعي بوقتك.

ابتسمت بطريقةٍ حالمةٍ.

لا أحتاج لشرح فكرة "يوا" عن المرح في الواضع الراهن. بالنسبة لي، لا أستطيع التفكير في شيءٍ أفضل من الذهاب إلى مكتب جريدة "أفتر نون نيوز". كان "أوسبيورن" جالسًا على الكمبيوتر وفزع حين طرقت على الباب ثم أغلق الموقع الإلكتروني الذي كان يتصفحه، لكن ليس قبل أن ألاحظ الصور الإباحية التي تشمل أعضاء ذكرية ضخمة وأثداء عملاقة وأعضاء حميمية أنثوية.

تظاهرت بأنني لم أرَ شيئًا وسألته:

- كيف تسير الأمور؟

تظاهر بالهدوء على الرغم من وجهه الذي احمر من الإحراج، وقال:

-

على ما يرام.

-

أين "كارو"، و"بال"؟

-

ينعمان بغفوة.

-

قابلتُ صديقك للأمور "أولافيور جيسلي".

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهه الأحمر، وقال:

-

حقًّا؟ كيف تعاملت معه؟

-

لقد حاول إرباكي في البداية، ونجح. لكننا اتفقنا جيدًا بعد ذلك كما أظن.

-

جيد.

-

نعم، جيد جدًّا. من المفيد حقًّا أن تكون على صلةٍ برئيس الشرطة، خاصةً مع قضية الفتى المفقود والجثة التي وجدوها.

قال محرر الأخبار السابق وهو يلوح بيده:

-

خسارة أننا لن ننشر الجريدة إلا بعد يومين. يا لسوء الحظ.

-

أوسبيورن"، أشكرك لأنك تحدثت عني بالخير مع "أولافيور جيسلي".

-

هذا ليس مهمًا.

-

لم تكن مضطرًا لمساعدتي. هل تذكر الفيلم القديم "كازابلانكا"؟

اندهش "أوسبيورن"، وقال:

-لا أعرف، لست واثقًا إن كنت أتذكره أم لا.

- فيه شخصان متنازعان ولا يثقان ببعضهما. في نهاية الفيلم، قال أحدهما للآخر: "أظنها بداية صداقةٍ جميلة". هل تذكر؟

تحولت دهشته إلى إدراكٍ، وهو يقول:

- هذا يبدو مألوفًا. ماذا تقصد؟

ابتسمت مجيبًا:

- لا شيء. وربما.. أظن أنه من المهم أن يتصالح الشخصيات في الفيلم قبل النهاية.

ماذا كانت نهاية هذا الثنائي العجيب بأي حال؟

نظرت من النافذة إلى الجدار المقابل. ثم أمسكت التليفون واتصلت بالمخرج المسرحي "أورفار باوتل سيورتارسون". إنه ممثل محنك في الخمسينيات من عمره، لكنه لم يظهر على المسرح في "ريكيافيك" كثيرًا في الأعوام الأخيرة. اتجه إلى المسرحيات الكوميدية والساخرة عندما ازداد عمرًا وبدانة وسقط شعره. عندا استضفته في مقابلةٍ صحفية في "هولار" شعرت أنه عاجزٌ عن التخلص من شخصية المهرج، إلى أن أصبح مهرجًا بذاته. يحاول دومًا إثارة الضحك لكنه يفشل. تخفي ذقنه الرمادية معظم وجهه المترهل وفمه الأنثوي الصغير وشفتيه المنتفختين. أمًا شعر وجهه فلم يضف أي دلالةٍ على الذكاء أو الكرامة، ولم يصرف الانتباه عن أنفه الأحمر الضخم.

سألته أثناء المقابلة لماذا جاء لإخراج مسرحيةٍ في الشمال، فأجاب: "الرب دومًا يقسو على

المساكين". كان هذا أذكى تعليقٍ قاله. ظننت وقتها أنه يجيد الإخراج أكثر من الدعابة، وما زلت أظن ذلك. ثم قال كما يقول الجميع في تلك المقابلات، قال إنه من المثير العمل مع الشباب المتحمسين في هذه المسرحية الرائعة. وهكذا.

أجاب الصوت المسجّل على جهاز الرد الآلي:

- هنا الممثل والمخرج "أورفار باوتل سيورتارسون". أنا مشغولٌ بتحقيق إنجازاتٍ جديدة في الحياة أو، وربما الاثنين معًا. من فضلك اترك رسالة بعد سماع صوت الصفارة، ومن الأفضل لو قدمت عرضًا يصعب رفضه. أما إن كنت "سبيلبيرج" أو "كوبولا" أو "فون ترير"، فاترك اسمك وسأتصل بك فورًا.

يا له من مازح. تركت اسمي ورقمي وعرضًا يسهل رفضه. لكنه لن يفعل بالطبع.

خلال ثلاث دقائق كان يتحدث معي على التليفون. سألته إن كان بمقدوره مقابلتي لمناقشة أمر اختفاء " سكارفيدين"، وقد وافق بكل سرور. قال إنه مقيمٌ في فندق "KEA"، لذلك اتفقنا على اللقاء في بار الفندق خلال عشر دقائق.

قال بضحكةٍ مصطنعة:

- سأكون السيد الطويل ذا البذلة المصنوعة من الجبردين. لو تطابق الوصف مع أكثر من واحد فميزني بالخواتم الماسية.

* * *

ابتلع نصف زجاجةٍ من البيرة، ثم جلس على المائدة بيدٍ مهتزة، وقال:

-

هذا مروع. من المروع أن أجد نفسي وسط هذه الفوضى.

-

هل تعني...

-

أعني أن عقدي من المفترض أن ينتهي اليوم.

-

هذا قصدك إذًا.

زمَّ فمه الأنثوي الصغير وعاد لشرب البيرة.

- هل ينتظرك كثير من العمل في الجنوب؟

أجاب "أورفار باوتل" وهو يكمل باقي البيرة:

-

لا، هذا ليس ما قلته. لكن من المروع التورط في هذه الأزمة.

-

لكن الوضع أسوأ بالنسبة لـ"سكارفيدين" وعائلته.

-

نعم، بالطبع. لكن أظن أن هناك أمرًا مريبًا بخصوص عائلته.

-

حقًّا؟

مال للأمام في جلسته وترهلت بطنه الكبيرة على حافة المائدة. كان يرتدي سترةً محكمة الياقة وبنطلون جينز فاتحًا. قال:

-

لا أعرف الكثير حقًّا عن حياة "سكارفيدين" الشخصية. لكنني أعرف أنه لا يعيش مع والديه. أنا واثق.

-

وماذا يعني هذا؟

-

يعني أنه لم يرغب في العيش معهما.

-

هذا طبيعي، فهو في العشرين من عمره تقريبًا.

-

كان يعيش في سكن الطلبة من قبل.

-

هل تظن أن علاقته بعائلته كانت سيئة؟

استدعى "أورفار باوتل" الجرسون، وهو يقول:

- أنا أخبرك بالأمر وحسب. ما أعرفه هو أن الممثلة "بيتي ديفيس" قالت ذات مرَّة: "إن لم يكرهك طفلك، فأنت لم تكن والدًا أبدًا". هاهاها!

يوجد في المطعم مجموعةٌ أتت للتزلج في "أكوريري" لكن الظروف لم تسمح فجاؤوا ليثملوا بدلاً من ذلك.

سألته بينما يقترب الجرسون منا:

-

هل تريد المزيد من البيرة؟

-

الآن هذا عرضًا لا يمكنني رفضه.

سألته، بينما أطلب لنفسي صودا:

-

هل لديك أطفال؟

-

ليس بعد. عليَّ اختيار المرأة المحظوظة التي ستوضح لي الحقيقة وراء الحكمة القائلة بأن والديك يدمران النصف الأول من حياتك، بينما يدمر أطفالك نصفها الثاني.

نظر إليَّ "أورفار باوتل" بانتظار ردة فعل.

قررت مجاراته فابتسمت، وقلت:

- هل شعرت أن "سكارفيدين" شابٌ مستقل التفكير؟

صمت مفكرًا فأضفت:

-

هذا هو الانطباع الذي أخذته عنه في المرة الوحيدة التي قابلته فيها في "هولار" السبت الماضي. إنه مستقلٌ وبالغ النضج بالنسبة لعمره.

-

نعم، يمكنك قول ذلك. أفكاره جريئة، ربما أكثر جرأةً من تفكيري.

-

هل كان صعبًا توجيهه في التمثيل؟

تحرك في مقعده بانزعاج في الوقت الذي أحضر فيه الجرسون بالبيرة والصودا، فانقض بلهفةٍ على البيرة، وقال:

- لا، على الإطلاق. لم يكن صعبًا، بل كان عازمًا. بصفتي مخرجًا، أفضّل العمل في بيئةٍ من التعاون والمشاركة. وأشجع أفراد الفريق دومًا على المساهمة.

تساءلت في نفسي "ربما لأنك لا تساهم بالكثير".

- هل كنت على خلافٍ معه؟

حدّق بي هذا العجوز الأخرق التافه وكأني صفعته، وقال:

-

هل قال أحدهم ذلك؟ من هو؟

-

لا، لا. لم يقل أحدهم أي شيء. إنه مجرد سؤال.

شرب بعض البيرة ولم يقل شيئًا.

-

هل كان بارعًا في التمثيل؟

-

نعم، كان واعدًا كما يقولون، ولديه خبرة.

-

حقًّا؟ أي خبرة؟

نظر إليَّ "أورفار باوتل" بدهشةٍ، وقال:

- ألا تعرف؟ هل تذكر "ستريت رايدر"؟

كررت الاسم محاولاً التذكر:

-

"ستريد رايدر"...

-

إنه فيلمٌ للمُراهقين.

قلت مُقلدًا "أوسبيورن":

-

لست واثقًا إن كنت أذكره أم لا.

-

لعب "سكارفيدين" دور البطولة.

سألته وأنا محرجٌ من عدم تذكري لفيلم "ستريت رايدر":

-

متى كان ذلك؟

-

منذ خمسة أو ستة أعوام. كان "سكارفيدين" في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة على ما

أظن.

-

كان نجمًا صغيرًا إذًا؟

صحح "أورفار باوتل":

-

بل نجم صغير أو مُراهق. بمجرد أن يكبروا قليلاً تختفي براءتهم.

-

قرأت من قبل أن النجوم الصغار يواجهون صعوبةً في الاندماج مع العالم بعد شُهرتهم القصيرة.

ابتسم قائلاً:

-

كثير من الشُّهرة في وقتٍ مبكر. نعم، رأينا بعضًا من تلك الحالات.

-

هل تظن أن هذا ما حدث لـ"سكارفيدين"؟

-

لا، ليس إلى هذه الدرجة على حد علمي. فكما قلت بنفسك، إنه يعطي انطباعًا بكونه شابًا ذا عزيمة وناضجًا.

-

في الواقع، ما قلته هو أنه أعطاني انطباعًا بالاستقلالية والنضوج. أنت من قال إنه ذو عزيمة.

هزَّ كتفيه.

- هل هذا نتيجة خبرته بالتمثيل؟ أعني هذا الفيلم ومسرحية "الساحر لوفتر"؟

أجاب المخرج بينما ينهي كوب البيرة الثاني:

-

أعتقد ذلك. لا أملك نسخةً من سيرته الذاتية. تعرفت عليه فقط منذ ثلاثة أسابيع مع باقي الشباب من جماعة المسرح.

-

هل اشتركت في فيلم "ستريت رايدر"؟

أدار "أورفار باوتل" زجاجة البيرة بين يديه، وقال:

- نعم، شاركت بدورٍ بسيط. لعبت دور شرطي حسب ما أتذكر.

فكَّرتُ قليلاً، ثم قلتُ:

- لكنك قلتُ للتَّوِّ إنك لم تعرف "سكارفيدين" من قبل؟ ليس قبل بداية البروفات في "أكوريري"؟

عضَّ شفتيه الصغيرتين واختفى مرحه الخادع، وقال:

- إن أردت الدقة.. قلت إنني تعرَّفتُ عليه منذ ثلاثة أسابيع. لكنني قضيت معه يومًا واحدًا في موقع تصوير الفيلم منذ ست سنوات.

نظرت إليه بريبةٍ وغضب مقلدًا المأمور "أولافيور جيسلي"، فاحتج قائلاً:

- انظر، لقد قابلتني مرَّتين. هل يمكنك القول إنك تعرفني؟

اعترفت:

- حسنًا، فهمتُ قصدك.

قال "أورفار باوتل" ضاحكًا:

-

جيد، وإلا لطلبت دليل التليفونات من الجرسون.

-

لماذا؟

عاد "أوررفار باوتل" لشخصيته، وقال:

- لأبحث عن محامٍ رخيص التكلفة.

تصنعت ابتسامة واستدعيت الجرسون لأطلب منه مزيدًا من البيرة، وليس دليل التليفونات بالطبع.

- هل لاحظت شيئًا غير معتاد أو غريب حول "سكارفيدين" قبل اختفائه؟

أجاب وهو يبدأ بشرب زجاجة البيرة الثالثة:

-

لا، ليس حقًّا. لم أمضِ كثيرًا من الوقت مع الشباب خارج البروفات.

-

وهل سارت البروفة النهائية بالأزياء على ما يُرام يوم الأربعاء؟

-

المشكلات المعتادة. ينسى الممثلون أدوارهم ويرتبكون على المسرح. بعض معدات الإضاءة لم تعمل جيدًا. هذه الأمور العادية. حللنا جميع المشكلات بعد البروفة. بدا الجميع مسرورًا ببروفة الأزياء حسب معرفتي.

-

هل ذهبت للاحتفال معهم وسط البلدة بعد البروفة؟

-

ألقيت نظرة وحسب. شربت كوبين من البيرة، ثم عدت إلى الفندق ونمت. لم يعجبني أن يحتفل الشباب في الليلة السابقة للعرض. لكن من أنا حتى يطيعوني.

-

أين كان الحفل؟

-

في بيت "أويوستا"، إنها رئيسة جماعة المسرح.

-

متى وصل "سكارفيدين" هناك؟

أنهى "أورفار باوتل سيورتارسون" زجاجة البيرة الثالثة، وقال:

-

وصل قبل مغادرتي بعشر دقائق.

-

و؟

-

لم يكن سكرانَ أبدًا، لكن...

صمت قليلاً وهو ينظر إلى قعر الزجاجة، وقال:

- كان يرتدي فستانًا.

* * *

لم يكن هناك أخبارٌ جديدة حول الجثة الموجودة في مكب "أكوريري" أو اختفاء "سكارفيدين فالياردسون" في نشرة أخبار المساء وطبعة أحد الفصح من جريدة "مورنينج نيوز".

لكنهن أعلنوا عن اجتماعٍ في "ريتارجيرتي" يوم إثنين الفصح، ودعوا القادة المحليين ونواب البرلمان في المنطقة لمناقشة الأحوال والتطلعات المحلية بشأن الانتخابات العامة المقررة في مايو المقبل.

10 الأحد والإثنين من عيد الفصح

- ما الموعظة التي وجدتها في بيضة عيد الفصح اليوم يا "تراوستي"؟

رد محرر الأخبار:

- الرحمة! رفقًا بي يا صاحبي!

قلت له:

-

هل يمكن أن تكون: "من طلب العلا سهر الليالي"؟

-

مضحك جدًّا.

عليَّ الاعتراف بأنني أحب الضغط على جراحه وإيلامه بشدة. أعلم أنها ليست شهامةً منّي. ربما تكون الحكمة المكتوبة في بيضتي هي "الأمور الصغيرة تُسعد العقول البسيطة". هذا لو كان معي بيضة. أحب أن أقول شيئًا أكثر مرحًا، لكنني لستُ بارعًا في الدعابة الطفولية.

- يجب أن تذهب مع "يوا" إلى"ريتارجيرتي" اليوم في الظهيرة أو المساء لتغطية الاجتماع العام الذي سيُقام ظهيرة الغد.

نفثتُ دخان سيجارتي نحو السماء الزرقاء الصافية، بينما أجلس في الحديقة أشاهد أطفال الجيران يلعبون الكرة.

صحت في التليفون:

-

أي مستبدٍ أنت؟ لماذا ترسلنا في أسفارٍ عقيمة في جميع أنحاء البلد؟!

-

الأخبار لا تلتزم بساعات العمل الرسمية يا صاحبي. ظننتك تعرف ذلك.

-

ألا يمكننا الحصول على يومٍ للراحة؟

ردَّ محرر الأخبار:

-

أنا أيضًا لستُ مرتاحًا، بل أنا مشغولٌ بالتحدث إليك. إن ظننت أنني أعتبر ذلك راحة فأنت واهم.

-

لكننا نغطي قضية شخص مفقود وجثة. أليس هذا أكثر إثارة من بعض السياسيين الذين يتفوهون بالكلام الفارغ لجمع الأصوات قبل الانتخابات؟

-

قد تكون محقًّا، لكن يجب تضمين هذا الاجتماع في طبعة يوم الثلاثاء. تزداد الأوضاع توترًا هناك، وعلينا الوجود في حال خرجت الأمور عن السيطرة.

وجهة نظرٍ مقبولة، لكن خطرت لي فكرة جعلتني أتردَّد. يزعم خصوم جريدة "أفتر نون نيوز" أن مالكيها الجدد يساندون الاتحاد الاجتماعي الديمقراطي وقائده "سيورتور راينير". قد يسعد مالكو الجريدة برؤية تقريرٍ مفصَّل عن اجتماع "ريتارجيرتي" الذي سيقوم غالبًا بالهجوم على الحكومة الحالية.

سألت "تراوستي" لإغاظته فحسب:

-

هل تشعر بالسعادة لأنك ستحجز لنا غرفتين في فندق بسبب اجتماعٍ سياسي سخيفٍ وغبي؟

-

هل تسير بمبدأ الجدال مع محرر الأخبار حول كل موضوع؟

فقط إذا كان محرر الأخبار أحمق على ما أظن، لكنني قلت:

- هل تدرك أننا سنضطر إلى إيقاف فقرة "سؤال اليوم من أكوريري" يومي الثلاثاء والأربعاء؟

تجاهل سؤالي، وقال:

- حسنًا، سنتولى الأمور هنا. والآن لا يمكنني حقًّا متابعة الجدال معك يا صاحبي. رحلة سعيدة.

* * *

قام "أوسكار" العطوف بتحضير سريرين لنا في غرفتين غير مريحتين في القبو، لأن الفندق كان كامل الحجز. تناولنا عشاءً شهيًا مكونًا من لحم الضأن الأيرلندي على الطريقة التايلاندية. بعد ذلك انطلقتُ أنا و"يوا" في رحلتنا إلى "رايتين". تخطت الساعة العاشرة مساءً في أحد الفصح، وكان البار نصف مزدحم. هناك نحو أربعين شخصًا، معظمهم من الوافدين. لن يأتوا هنا لحضور الاجتماع العام غدًا. لن يفهموا ما سيتم التَّحدُّث عنه في الاجتماع، ولن يهتم أحدٌ بكسب أصواتهم. السبب الأساسي للاجتماع هو تدفق هؤلاء الوافدين الجدد وعواقب وجودهم.

نظرت حولي بحثًا عن "أكنار هانسين" وجماعته، لكنهم ليسوا هنا.

ذهبت إلى البار وطلبت قهوة لنفسي، وبيرة لـ"يوا" من الجرسونة الفاتنة نفسها التي رحَّبت بي بشدة. سألتها:

- ما الأحوال؟

ابتسمت قائلة:

-

العمل في ازدهار.

-

ما أخبار "أكنار"؟

-

لا يوجد الكثير، هذا إن تجاهلنا كمية الخمر للهولة التي يشربها. وكأنه يشرب من صنبور! لا أعرف إن كان يدفع من أموال والده أم لا.

-

سمعت أنه طُرد من هنا.

-

نعم، لقد اكتفى المالك من متاعبه.

-

ما المشكلة التي تسبب بها هذه المرَّة؟

-

أرسل "أكنار" بعض الحثالة لإخافة هؤلاء البولنديين الذين أبرحوه ضربًا في نهاية الأسبوع الماضي.

-

ألم يذهب بنفسه؟

-

لم تسمح حالته بذلك.

-

وهل تقبَّل الطرد؟

أومأت قائلة:

-

ليس لديه خيار آخر. لكنه ورفاقه يتجولون بجموحٍ في "أكوريري" خلال عيد الفصح بدلاً من الذهاب للبار.

-

أما زالوا هناك؟

-

نعم، على حد علمي. أخبرني "أكنار" بسرورٍ أنهم سيمضون الإجازة الأسبوعية في التزلج هناك.

-

نعم، حسنًا. أشك في أن يتمكن أحدهم من التزلج هناك حاليًا، فالثلوج لم تكسُ المنحدرات بالكامل.

ابتسمت، وقالت:

-

أنا واثقة من أنه قويٌّ ليحتمل الارتطام بالصخور. حتى قبل أن يتم طردهم كانوا يذهبون إلى "أكوريري" ليمرحوا.

-

ألا يعمل "أكنار" في أي وظيفة؟

-

هذا يتوقف على مفهومك للوظيفة.

شعرتُ أنها لن تقول المزيد. قلتُ:

- أعدكِ أنني لن أخبر أحدًا أنني عرفت شيئًا منكِ. هل يتاجر في المخدرات؟
قالت "إيلين" وهي تتراجع عن البار وتبدأ بغسل الأكواب في الحوض:

- لا يمكنني إجابة هذا السؤال.
قلت:

- يقولون إن الصمت يعني نعم، صحيح؟
أجابت دون أن تلتفت إليَّ:

- نعم، إنه كذلك أحيانًا.
عندما انضممت لـ"يوا" على المائدة وجدتها قد شربت البيرة ووجدت قهوتي باردة. فكرت بشأن "أكنار". لو كان يتاجر بالمخدرات، لماذا يحتاج إلى أن يدفع والده مقابل البيرة التي يشربها؟

* * *

"لقد تراجع التشاؤم ليفسح مجالاً للتفاؤل. لقد نهضنا من حالة الركود طمعًا في آمالٍ أفضل للمستقبل. ليس هذا وحسب، لدينا دليلٌ قوي ودامغ جعلنا الآن واثقين من ظهور عصرٍ جديد من التقدم والازدهار في هذه المنطقة الغالية علينا، وفي هذا المجتمع العمراني القادر على دعم سكانه بالمنشآت والفوائد التي كانت مقصورة على العاصمة والتي تبعد مواطنينا عن المدينة. نرى حياةً مشرقة لأطفالنا وأحفادنا وآبائنا وأجدادنا. من أجلنا ومن أجل المستقبل".

قام أعضاء البرلمان من الحزب المحافظ والحزب الوسطي بإلقاء الخطابات نفسها إلى حدٍ ما ثم عادوا إلى مقاعدهم ليحصلوا على تصفيقٍ حماسي من الحضور الموجود في قاعة المؤتمرات بفندق "ريتارجيرتي". يجلس على المائدة الموجودة على المنصة ممثلون عن جميع الأحزاب السياسية، بالإضافة إلى مقعدين لمستشار البلدية "يوهان هانسين" والعمدة "آنا ثورودستوتير" التي ترأست الاجتماع. قابلتها لأول مرةٍ في "ريتارجيرتي" العام الماضي. يبدو أنها اكتسبت المزيد من الوزن. كانت تخفي جسدها الضخم داخل فستانٍ أسود فضفاض. جلس عمها "أوسيريمور بيترسون" في الصف الأول بهدوءٍ. كان يرتدي بذلةً كاملة رمادية اللون. ما زال نحيفًا كما هو، لدرجة أن شعره بدا أخف عن ذي قبل. جاء الدور في الحديث على أعضاء الاتحاد الاجتماعي الديمقراطي والحزب الراديكالي وحزب الآخر. كان خطابهم كالتالي:

"يمكننا إلى حدٍ ما أن نتفق مع الأحزاب الحكومية بشأن تطوير المنطقة، وهذا من شأنه بث الثقة والقوة في الاقتصاد المحلي وتشجيع روح الاستثمار في هذا المجتمع. بمعنى أن الركود سيتحول إلى ازدهار. لكننا نسألكم يا سكّان "ريتارجيرتي" وسكّان المناطق المجاورة، هل هذه الظاهرة حقيقية؟ هل توفرت وظائف عملٍ في أيسلندا؟ هل توقفت الهجرة من البلدة إلى المدينة أو انعكست؟ اقترضنا مئات الملايين بعملة الكرونا الأيسلندية. هل أفادت المجتمع المحلي؟ أو هل نحن متأكدين من أنها ستفعل حتى؟ الجواب هو لا ولا ولا. بالإضافة إلى أنه علينا مواجهة العواقب الوخيمة لسياسة تطوير خاطئة تمامًا باعتمادها على الصناعات الثقيلة التي ستلوث البيئة، وعلى محطات الطاقة الكهرومائية التي ستصبح السبب في أشد كارثة تحل بالطبيعة في تاريخ أمتنا. تتصف سياسة الحكومة الخاصة حول هذه المنطقة بنقص الخيال وضيق الأفق وقصر الأمد. وينطبق الأمر نفسه على كثيرٍ من المناطق التي عانت من مشكلة النقص السكاني".

إلخ، إلخ.

جمع ممثلو المعارضة دعمًا قليلاً، لذلك عادوا إلى مقاعدهم محبطين.

أعلنت "آنا" رئيسة الاجتماع أن المنصة مفتوحة للنقاش.

ساد صمتٌ غريب.

تنفَّس السياسيون الجالسون على المنصة الصعداء.

جلست "يوا" بجواري تلتقط الصور، كنت على وشك الهمس لها قائلاً إنني أستطيع كتابة هذا المقال بسهولةٍ، بينما أجلس على المكتب ويدي مربوطة خلف ظهري. فجأة سمعت صوتًا من آخر القاعة. نظرت حولي فرأيت امرأةً عجوزًا تقف رافعةً ذراعها. قالت إنها ربة منزل. ارتجفت بتوترٍ، وقالت:

- لقد عشت هنا في "ريتارجيرتي" طوال حياتي. ربيت أربعة أطفال ولديَّ أحد عشر حفيدًا. ثلاثة فقط من بين هؤلاء الخمسة عشر لا يزالوا يعيشون هنا. يمكنني قبول ذلك، فهكذا تسير الأمور. لكن من الصعب قبول أن من بقوا هنا يعجزون عن التحرك بحريةٍ في مجتمعنا. بالكاد نخرج من بيوتنا في الليل، خاصةً في نهاية الأسبوع، خوفًا من الأيسلنديين والأجانب الأشرار الذين يقومون بالاعتداء والترهيب والتهديد وحتى العنف. لم نواجه هذه المشكلة قبل الفترة التي تسمونها بعصر التفاؤل.

لهثت بينما تنهي حديثها، وكأنما أرهقها المجهود العصبي الذي تبذله.

ثم أضافت:

- أنا لا أخاطب أعضاء البرلمان الجاهلين بظروفنا، بل أخاطب مجلس البلدية. شكرًا.

انطلق الضحك والتصفيق الحاد في القاعة.

تحرَّك النواب بعصبيةٍ في مقاعدهم.

لم يبدُ "يوهان هانسين" سعيدًا. مرر يده المرتجفة على شعره الرمادي الناعم، وجذب ياقة سترته الحمراء الداكنة. بعد لحظةٍ من التفكير أخذ دوره على المنصة، وقال معلقًا:

- شكرًا على سؤالك. أنا أتفهم مخاوفك. يناقش ممثلو المنطقة هذه الأزمات باستمرار.

توقف قليلاً، ثم واصل:

- سنواصل دراسة تلك الأزمات إلى أن نتوصل إلى حلٍ يرضي الجميع.

لم يثر كلامه كثير من التصفيق. حتى "أوسيريمور بيترسون" لم يصفق.

سألت "آنا" وهي تحاول السيطرة على الاجتماع باستماتة:

- هل هناك المزيد من التعليقات أو الأسئلة؟

سأل رجلٌ في القاعة:

- ما خطة السلطات لمكافحة تجارة المخدرات هنا؟ هل ستتركونها تُباع في محطة الطاقة الكهرومائية أو المصنع أو الشوارع والبارات؟ إلى متى ستسمحون باستمرار ذلك؟

أجابت "آنا ثورودستوتير" على هذا السؤال بنفسها:

- من السذاجة الافتراض بأن مشاريع التطوير العظيمة التي أدت إلى تدفق الناس من جميع أنحاء العالم لن تسبب مشكلات اجتماعية. إنها تضحيةٌ محتومةٌ...

سأل الرجل نفسه:

- من الساذج الآن؟ ألم تكن السلطات المحلية ساذجة لأنها أهملت التفكير في هذه التضحية المحتومة، كما تسميها العمدة؟

انفجرت القاعة بالتصفيق الحاد.

أكملت "آنا" بارتباكٍ واضح:

- اسمح لي بمواصلة حديثي. عندما يمر مجتمعٍ ما بمرحلةٍ انتقالية ضخمة يكون هناك

بعض التضحيات حتمًا. يمكننا أن نسميها ثورة. لقد مررنا بكثير من الثورات هنا في "ريتارجيرتي" حتى اعتدناها...

صاحت امرأة:

- "آنا"! ألا تعرفين أن تجّار الدعارة يأتون بانتظام مع فتياتٍ من الجنوب لبيع أجسادهن؟ هل السلطات المحلية تشجّع تجارة الجنس في الخفاء؟

ارتفعت موجةٌ من التصفيق بين النساء.

انطلق صفير من رجلين، وتبادل بعض الرجال نظراتٍ خبيثة.

سأل رجلاً كبيرًا بهدوء:

- هل وضعت السلطات المحلية سياسةً لمكافحة الجريمة المنظمة التي تتأسس هنا في "ريتارجيرتي"؟ لا أعني فقط التدهور الناتج عن جلب عمالةٍ رخيصة، وهم العمال المعدومون ذوو الحقوق المحدودة، والذين لا يتحمل أحدٌ مسؤوليتهم. بل أشير أيضًا إلى تهريب المنشطات من إستونيا، والهيروين من "سانت بطرسبرج"، والحشيش من إسكندنافيا. كما أعني أيضًا الدعارة والإباحية وتجارة الجنس في العموم، كما قالت السيدة. أسألكم مجددًا، هل وضعت السلطات المحلية سياسةً لمكافحة هذا الشر؟

نظرت "آنا ثورودستوتير" إلى "يوهان هانسين" الذي نظر بدوره إلى "أوسيريمور بيترسون". لكن النظرة الخاوية على وجه الزعيم المحلي لم تساعدهم مطلقًا.

سألت امرأة:

-

هل سيقوم "يوهان هانسين" بحماية أطفالنا من المخدرات والعنف؟

-

لا داعي للتوضيح أكثر. لقد عجز "يوهان هانسين" عن حماية ابنه! والآن يحتاج أطفالنا للحماية من ابنه!

انتشرت الهمهمات في القاعة الخالية من التصفيق الآن. يمكنك الشعور بإحراج النواب. إنها حقًّا ضربة تحت الحزام.

أخفض "يوهان هانسين" نظره إلى الورق الذي أمامه، ثم خلع نظارته الضبابية بيدٍ مرتجفة ومسحها بكُم سُترته.

قام أعضاء الحزب الراديكالي بكسر الصمت الكئيب عندما قال أحدهم من مقعده:

- من المشجّع معرفة عدد الناس الذين يدركون الوضع ويتفقون مع آراء الحزب

الراديكالي. عندما بدأت الأحزاب الحكومية بالتقرب من سكّان هذه المناطق والتحدث عن التطور الصناعي، قلنا إن التمويل الدولي سيؤدي لمشكلات دولية...

بينما كان منغمسًا في خطابه السياسي بالنيابة عن حزبه أسكتته صيحات الاستهزاء من الحضور. فجأة تحول الاجتماع العام المنعقد في "ريتارجيرتي" خلال عيد الفصح إلى مباراة صياحٍ بين كبار الشخصيات من الجنوب.

أطفأت المسجِّل ووقفت وأنا أومئ إلى المأمور "هوسكولتور بيترسون" الذي كان جالسًا خلفي مباشرةً. ثم شققت طريقي بين الحشود إلى بار الفندق. تجمَّع بعض المراهقين يدخنون. جلس رجلان بالغان يشربان البيرة. كما يوجد شابٌ في ركن البار يبدو مألوفًا. لم أدرك هويته إلا بعدما دخنت سيجارة. إنه أحد الشباب الذين كانوا جالسين على مائدة "أكنار هانسين" في بار "رايتين". عندما اقتربنا منهم ظل الجميع جالسًا ما عدا هو، لقد نهض وغادر. يبدو أنه لم يلحظني بعد. ربما لم يتذكرني.

أنهى "يوهان بيترسون" الاجتماع بشحوبٍ وإحباط وهو يقول:

- أحب أن أشكر نواب البرلمان المحليين وأشكر سكّان "ريتارجيرتي" والمناطق المجاورة لحضور هذا الاجتماع وإثارة الكثير من النقاط المهمة. أؤكد لكم أن مجلس البلدية سيهتم بشدةٍ بهذه المشكلات في المستقبل كما فعل في الماضي.

أضافت "آنا ثورودستوتير" وهي تمسح العرق عن صدرها:

- والآن أعلن نهاية الاجتماع.

* * *

"من سيحمي أطفالنا من الجريمة الدولية؟".

"سكان ريتارجيرتي يتساءلون في اجتماعٍ حاد بالأمس".

"السلطات المحلية تتعرض لهجوم".

"المشكلات الاجتماعية تخيم على التفاؤل بشأن مستقبل المنطقة".

هذه هي مقدمة مقالي الذي سأرسله وقت العشاء.

تنفست بعمق وتناولت قطع دجاجٍ مقلية اشتريتها من مطعم عالمي للوجبات السريعة في طريق عودتي للمكتب.

الأمور التي سأعمل عليها بعد ذلك هي الجثة والشاب المفقود.

لم تصدر الشرطة أي بيانٍ في الراديو أو التليفزيون.

اتصلت بقسم الشرطة وأعطيتهم اسمي، فأوصلوني بامرأةٍ لم تخبرني شيئًا.

اتصلت بقسم الشرطة مجددًا وطلبت التَّحدُّث إلى "أولافيور جيسلي كريستيانسون" دون أن أعطيهم اسمي. لم يكن متاحًا للأسف.

فكرت بالخيارات المتاحة لي هذا المساء، ثم خرجت وصعدت إلى الطابق الثالث. شممت

رائحةً نفَّاذة لقرنبيط، وثوم، وسمك. سمعت نباحًا مكتومًا وصوتًا منخفضًا للنشرة الجوية في الراديو. يبدو أنها ليلةٌ غائمة منخفضة الحرارة حسب التوقعات.

طرقت الباب.

فتحت "كارولينا" الباب قليلاً ثم صاحت:

- "أوسبيورن جريمسون"! لقد أتى "إينار" الجسور لرؤيتك!

ثم اختفت من أمامي.

سمعت "أوسبيورن" يتأسف إلى "بال" لأنه مضطرًا لتركه في الغرفة.

قلت بمجرد أن وصل "أوسبيورن" إلى الباب:

- أعتذر لإزعاجك وقت الطعام.

لم يرد وظل يحرِّك خلة أسنانٍ في فمه.

قلت له:

- يبدو أن الشرطة لن تخبرنا أي معلوماتٍ عن الجثة التي وجدوها ذلك المساء. لا يمكنني الاتصال بـ"أولافيور جيسلي". إنه لا يتلقى أي مكالمات. أتساءل لو يمكنك القيام بشيء؟

ظل يحرِّك خلة الأسنان.

سألته مجددًا:

-

حسنًا، هل يمكنك فعل شيء؟

-

عد إلى المكتب، سأتصل بك في لحظات.

نزلت وأنا أرد عليه في عقلي ساخرًا: "لا داعي لأن تدعوني للدخول!".

نفثتُ دخان سيجارتي من النافذة إلى الجدار المقابل، بينما أنتظر اتصاله.

رنَّ التليفون، وقال "أوسبيورن":

- انتظر قليلاً. سيتصل بك بعد بضع دقائق.

رددتُ عليه:

-

عظيم. شكرًا لك.

-

في الواقع.. قال إنك جادلته كثيرًا في مكب النفايات يوم السبت.

-

جادلت؟ كنت أسأل أسئلةً بديهية وحسب. إنه لا يظن أنني سأتوقف عن عملي كصحفي فقط لأنك تحدثت بالخير عني، صحيح؟

-

اهدأ يا "إينار". لقد قال بعد ذلك إنه من الأفضل أن تجادله بقدر ما تشاء علنًا وسيرد عليك. فهذا سيجعل من الصعب على كل من بجماعته أو وسائل الإعلام أن يعرف من أين تأتي بمعلوماتك بالضبط. هذا طبعًا لو ظهرت معلومات أصلاً.

-

إنه محقٌّ تمامًا.

-

لكن يجب أن تتم الأمور من خلالي بسريةٍ تامة.

-

موافق.

قلت لنفسي إن هذا سيعطي محرر الأخبار السابق شعورًا باحترام الذات والنفوذ. يمكنني السماح له بذلك طالما سأحصل على الأخبار.

أضفت قبل أن أنهي المحادثة:

- مهلاً قبل أن أنسى يا "أوسبيورن". هل ما زلت تتلقى تلك الاتصالات الغامضة؟

ردَّ:

-

لا. من الغريب أنها توقفت بعدما أخبرتك بشأنها.

-

جيد. هذا يعني أن تدخُّلي نجح.

سأل بحيرة:

-

أي تدخُّل؟

-

فقط أخبرني إن عادت الاتصالات.

-

أخبرني عن هذا التدخُّل اللعين!

-

آسف، لكن هذا سري تمامًا. يجب أن يتم الأمر من خلالي.

ثم أغلقت الاتصال بضحكةٍ مغرورة سخيفة.

انتظرت نصف ساعةٍ على التليفون مع محرر الأخبار في الجنوب وهو يتعجلني بشأن موعد التسليم النهائي. بعد ذلك تسلمت معلوماتٍ من مصدري السري، وكتبت المقال التالي:

"ظهور جثةٍ في مكب نفايات "أكوريري"، ومن المحتمل أنها لـ"سكارفيدين فالياردسون".

"تم اكتشاف جثةٍ صباح السبت في "كروسانيس" بالقرب من "أكوريري" في منطقة الخردة. أغلب الظن أنها لـ"سكارفيدين فالياردسون"، وهو طالبٌ في التاسعة عشرة من العمر يدرس في مدرسة "أكوريري" الثانوية. إنه مفقودٌ منذ مساء الأربعاء. كان يُفترض أن يقدِّم طلاَّب الثانوية بفريق المسرح العرض الأول لمسرحية "الساحر لوفتر" في "هولار"، مع "سكارفيدين" بدور البطولة. نظمت شرطة "أكوريري" بحثًا مكثفًا عنه بدأ منذ ظهيرة الخميس، وانتهى باكتشاف الجثة بعد قرابة يومين. وفقًا لمصادر جريدة "أفتر نون نيوز"، تشير الدلائل الأولى إلى أن ظروف وفاة الشاب مريبة. على الأرجح تم نقل الجثة بعد قتل صاحبها. ما زالت جوانب المسألة حاليًا...".

حذفت الكلمات الأخيرة، وكتبت بدلاً منها:

"ما زالت جوانب القضية غامضة حتى طباعة هذا العدد من جريدة أفتر نون نيوز".

11 الثلاثاء

"ماذا حدث في جمعة الآلام؟". إنه سؤال اليوم من "أكوريري".

وقفنا أنا و"يوا" وسط الرياح الباردة في ميدان البلدية. كنا نحاول الحصول على إجاباتٍ من الناس لفقرة "سؤال اليوم" من "أكوريري" بعد يوم من الموعد الأصلي. السماء غائمة، والجبال رمادية ووعرة، ومياه المضيق متقلبة. كان المارَّة يشعرون بما نشعر به أنا و"يوا".

استغرقنا نصف ساعةٍ للحصول على خمس إجابات.

قال ولدٌ صغيرٌ:

- مات المسيح.

قالت فتاة مُراهقة:

- لا شيء محددًا. شاهدت فيديو.

قال رجلٌ بالغٌ:

- إنه مذكورٌ في الإنجيل، لكنني لا أذكر.

قالت سيدةٌ عجوزٌ:

- تم صلب المسيح.

قال صبي:

- ذهبت إلى حفلة، ثم إلى ديسكو "سياتلين". إنه لم يفتح إلا بعد منتصف الليل، ما مشكلة المواعيد الغريبة في الإجازات؟

نعم، ما مشكلتها؟

لا أعرف. لكن ما أعرفه هو أن الأحداث التي وقعت منذ ألفي عام في أسبوع الآلام لم تساعدنا على فهم المعاناة في حياتنا. وما إلى ذلك من كلام القس. أرسلت إجابات "سؤال اليوم"، ثم بذلت جهدي لتجميع بعض الأخبار المحلية الصغيرة؛ انزعاج أصحاب المحلات في وسط البلدة من بناء مول جديد في الضواحي، القبض على الباعة الجائلين متلبسين، عشرة اعتقالات يوم إثنين الفصح.

يتصدر مقالي عن جثة مكب النفايات الصفحة الأولى، وفقرتي عن التطور في "ريتارجيرتي" معلن عنها في الصفحة الخلفية، أمَّا المقال الأساسي فداخل الصحيفة. من المرضي أن يحصل المرء على سبقٍ صحفي، لكنني أشعر بالاكتئاب. لا بد أنه تأثير الجو الغائم والإرهاق الناتج عن ساعات العمل الطويلة.

اتصلت بـ"يانيس" بحثًا عن شيءٍ لأفعله. أو ربما أردت فقط أن أسمع صوته. رد على

التليفون قائلاً:

- يا لها من تغطيةٍ إخبارية ممتازة أيها السيد.

اعترضتُ قائلاً:

-

لكنني تعبت من السفر من وإلى "ريتارجيرتي". بدا "تراوستي" مهووسًا بالأوضاع هناك.

-

مهما كان السبب، لقد كتبت عددًا رائعًا. الأوضاع مشتعلةٌ هناك.

اعترفت:

-

نعم. الأوضاع مشتعلةٌ هناك. لكن أليس دافع "تراوستي" الوحيد هو السياسة؟

-

دافعه ليس مشكلتك. فقط اذهب إلى هناك، واكتب مقالاتك غير السياسية.

أردت اختبار "هانس". فمنذ الاندماج أصبحت جريدة "أفتر نون نيوز" جزءًا من "مؤسسة الإعلام الأيسلندية". وانتشرت الادعاءات القائلة إن "هانس" والجريدة أصبحا كالدمية في يد الاتحاد الاجتماعي الديمقراطي المعارض للبرلمان حاليًا. لم أسأل "يانيس" من قبل على الرغم من أنني أردت ذلك لوقتٍ طويل. لذلك قررت انتهاز الفرصة وسؤاله:

- أخبرني يا "هانس"، هل اخترت "تراوستي" بنفسك ليكون محرر الأخبار؟ هل ضغطت عليه؟

أشعل سيجارةً ليعطي نفسه وقتًا للتفكير، ثم قال:

- حين يعمل مساهمون جدد في مؤسسةٍ إعلامية لا بد أن تحدث هذه التعيينات من باب التنازلات. هناك كثير من الآراء التي يجب أن تتفق معًا بوسيلةٍ ما.

يبدو أنه لن يجيبني فقلت:

-

لماذا لا تجيب سؤالي يا "هانس"؟ هل اقترحت "تراوستي"؟

-

أنت تعرف يا "إينار" أنه لا يمكننا إطلاعك على ما يدور في اجتماعات مجلس الإدارة بين رئيس التحرير والمالكين.

-

هل من الخطأ الافتراض بأنك كنت ستخبرني لو أنها فكرتك؟

-

في الواقع...

-

وهل أراد المالك الرئيسي تعيين "تراوستي"؟

-

لحسن الحظ لدى الشركة كثير من المالكين العاديين، وعندما يتعاونون يتمتعون بالنفوذ.

-

لكنهم ليسوا بسلطة المالك الرئيسي؟

-

كما قلت، يجب أن تتوافق بعض الآراء لاتخاذ القرارات المهمة في إدارة أي جريدة. الشخص الذي ينفذ رأيه مرَّة عليه أن يتراجع في مرَّةٍ أخرى. هكذا تسير الأمور. وبصفتي أحد المساهمين الصغار، أمارس سلطتي لصالح الجريدة. هكذا تسير الأمور ببساطة أيها السيد المحترم.

-

حسنًا، إن كانت الأمور تسير هكذا فأنا أحثك على ممارسة سلطتك بأسرع ما يمكن لطرد ذلك المهرج من منصب محرر الأخبار. يمكنك أن تكلف "تراوستي لوق" بالكتابة عن موضة الرجال أو المطاعم أو النبيذ.

زفر دخان سيجارته، وقال:

- سنناقش الأمر. لنعطه فرصةً مثل الآخرين. أنت نفسك ارتكبت أخطاءً على مدى سنين، كلنا فعلنا. وأعطيناك فرصًا كثيرة.

أدركت حينها أن كرهي وسخطي تجاه "تراوستي" خرجا عن السيطرة. لقد وصلت إلى المرحلة التي أريد فيها تدميره. يقول "الساحر لوفتر" في المسرحية: "رغباتي قوية وبلا حدود. وقد بدأت برغبةٍ واحدة. إن الرغبات هي جوهر الرجال".

* * *

يقع مقر جريدة "أكوريري بوست" في مبنى خرساني أبيض في شارع "سكيباجاتا" على بعد خمس دقائق سيرًا من مبنى جريدة "أفتر نون نيوز". مكاتبهم في الطابق الثاني فوق محل نظاراتٍ بصرية. تبدو مكاتبهم شبيهة بمكاتبنا، لكنها تعكس هوسًا غريبًا بالتصميم الحديث. فلا حواجز بين المكاتب، وهذا من أجل توفير بيئة عملٍ مفتوحة وواسعة ومشرقة وحيوية. بمعنى آخر، يعمل الجميع في المساحة نفسها. لا يمكنك التَّحدُّث في التليفون بحرية. في الواقع.. لا يمكنك حتى التنفس دون إثارة الفوضى في المكتب كله، فما بالك بالعطس. لا يمكنك التدخين أيضًا. لا بد أنهم يطبقون هذا في البلاد المجاورة. أفضِّل مكتبي الصغير وشكرًا على ذلك.

دخلت مقر الجريدة، وهي كلمة مبالغة لوصف تلك الغرفة التي دخلتها. وجدت "يوا" جالسة وساقاها مرفوعتان على مكتب "هايتا"، بينما يجلس موظفان على مكتبين آخرين. المكاتب زجاجية وأضلاعها من الحديد، أمَّا المقاعد فجلدية. ستبدو أفضل لو كانت موجودة في نادٍ ليلي. كل شيءٍ نظيف ومرتَّب.

همستُ قائلاً وكأنني في مكتبة عامَّة:

- مرحبًا. كيف الأحوال؟

أجابت "هايتا" بنبرةٍ عاديةٍ:

-

بخير.

-

يمكنني الاعتياد على الجلوس في مكانٍ كهذا، على ما أظن.

قالت "يوا" بهدوءٍ:

- لنشرب بعض القهوة.

ثم أشارت إلى بابٍ خلفي. مهلاً، يبدو أن هناك غرفةً واحدة من عملية تحطيم الحواجز.

غرفة القهوة في جريدة "أكوريري بوست" يبلغ حجمها خمسة أضعاف مكتبي. إنها مطلية

تمامًا باللون الأبيض ومليئة بالأثاث المكون من الزجاج والفولاذ.

سألتُ "هايتا":

- هل قمت بصفقةٍ دعائية مع متجر الأثاث؟ أعني هل أخذت الأثاث مقابل مساحة إعلانية له في الجريدة؟

ردَّت بينما تبدأ في صنع القهوة:

-

بصراحة، هذا بالضبط ما فعلته.

-

الحاجة أم الاختراع، أو بالأحرى "أم الديكور الداخلي".

جلسنا على المقاعد الجلدية والفولاذية وناقشنا الأخبار المحلية.

ثم سألتُ "هايتا":

- هل عرفتِ أي جديدٍ عن قضية "سكارفيدين فالياردسون"؟ ماذا تقول مصادرك؟

نظرت إليَّ مباشرةً، وقالت:

-

هل تظنني سأخبرك وأدعك تسرق سبقي الصحفي؟

-

آسف. لكنني ظننت أن جريدة "أكوريري وبوست" لا تنشر الأخبار السلبية، بل تخفيها مثلما نفعل في الجنوب.

-

أنت محقٌّ إلى حدٍ ما. نريد تقديم صورةٍ إيجابية عن الحياة في "أكوريري". هذا ما يحبه قراؤنا. لكننا ننشر ما يحدث هنا بالطبع. وسننشر مقالًا عن القضية في عدد يوم الخميس.

-

الأمر قابل للنقاش، سواء كان توليّ المسؤولية دون تزييف الحقيقة تصرفًا مسؤولًا أم لا.

-

إممم.

-

لكن لا مانع من تخفيفها قليلاً؟

ابتسمت قائلة:

-

عليك أن تمسك وظيفتي لبضعة أشهر. ستتغير تمامًا بعدها.

-

هل سأكون أفضل؟

-

بل مختلف.

قاطعتنا "يوا":

- "إينار" لا يريد أن يتغير. إنه يظن أن التغيير من عمل الشيطان.

عارضتها قائلاً:

- هراء! انظري إليّ، لم أتناول قطرة خمرٍ منذ شهرين.

واصلت "يوا":

- حسنًا، ربما من الأحرى القول إنك تعتبر التغيير تضحية بالحقوق الشرعية لشخصيتك.

أردتُ الضحك على كلامها. قلتُ:

- هناك خطأٌ في تحليلك يا "يوا"، الكثير من الأخطاء في الواقع.

قالت "هايتا":

- لكن قضية "سكارفيدين" بدأت مؤخرًا بالطبع. وبما أننا جريدة أسبوعية، ليس لدينا فرصة كبيرة في الحصول على سبقٍ صحفي أو في المنافسة معكم بصفتكم جريدة يومية. دون ذكر التليفزيون والراديو.

علقت "يوا":

-

يبدو أنك تقوم بعملك المعتاد يا "إينار". لقد بدأت بسبقٍ صحفي عن الجرائم بمجرد وصولك إلى هذه البلدة المملة. أينما تذهب تتبعك المشكلات.

-

على حد علمي هناك مشكلات في كل مكان، لكن ما لا يُعقل هو أن أكون أنا في كل مكان.

قالت "هايتا":

- لكن دعني أخبرك أمرًا. أخبرني كثير من المصادر بوجود صلة بين اختفاء "سكارفيدين" وعصابة "ريتارجيرتي".

سألت بدهشة:

-

اختفاؤه؟ لكن ماذا عن موته؟ هل قتلوه؟

-

لم يقل أحدٌ هذا بعد. لكنهم كانوا في البلدة هنا خلال عيد الفصح.

أجبتُ:

- نعم، أعلم. سمعت هذا بالأمس في "ريتارجيرتي". بعدما تناولنا العشاء مساء الأربعاء لمحت قائدهم "أكنار هانسين" يتجول بسيارته في شارع "ستراندجاتا".

سألت "يوا":

-

حقًّا؟ هل رأيت من كان معه؟

-

لا، للأسف لا. كان في الكنبة، هذا كل ما رأيته.

سألت "هايتا":

- هل أخبرت الشرطة بهذا؟

أجبتها مندهشًا:

- لا، لم أفعل بصراحة. لم يتم التعرف على الجثة حتى مساء أمس، وقيل إن ظروف موته مريبة. يقولون هذا دومًا عندما لا يرغبون بتوريط أنفسهم في قضية قتل أو مذبحة أو جميع أنواع المجازر الأخرى.

التزمنا الصمت قليلاً.

-

في الواقع، لم يقترح أحدٌ الصلة بين عصابة "ريتارجيرتي" وجريمة القتل. لم يخبرني أي شخصٍ بهذا حتى ذكرت الأمر الآن يا "هايتا".

-

أنا لم اقترح شيئًا، بل أخبرك بما سمعته.

-

إذًا، لم تعرفي هذا من الشرطة؟

-

لا، على الإطلاق. إنها مجرد إشاعاتٍ منتشرة.

الإشاعات المنتشرة ليست مصدرًا موثوقًا، ولا يمكن الاعتماد عليها. من السهل دومًا إلقاء اللوم على الأجانب عندما يقع حدث سيئ أو غريب.

من الأفضل ألا يسمع "تراوستي لوڤ" هذه الإشاعة من "أكوريري". فالأمور ستزيد سوءًا حين نسلم القط مفتاح القرار.

تركت "هايتا" كوب قهوتها، ثم وقفت لتواصل عملها.

علّقتُ:

- نعم. عندما تكون الأخبار مبهمة يعجز كثيرون عن مقاومة التخمينات.

ثم أضافت بابتسامة:

- لكننا لا نفعل ذلك أبدًا في "أكوريري بوست". نحن نتولى المسؤولية دون تزييف الحقيقة.

* * *

خرجت في الظهيرة، وتتجول حول قسم الشرطة. لا أتوقع الحصول على الكثير، لكنني ذهبت لأظهر نفسي للجميع. وبذلك أصرف الانتباه عن مصدر أخباري الحقيقي، وأجعل الجميع يعتقد أنني أتحدث إلى كثير من الضباط. أنا أشتّت أفكارهم.

لم أحصل على كثير مقابل جهودي. الأجواء مضطربة للغاية في قسم الشرطة. لم تتعامل الشرطة هناك مع قضيةٍ كهذه منذ وقتٍ طويل جدًّا. بعض الضباط مهذبون، لكنهم متحفظون. بينما البعض الآخر يتصرف بفظاظةٍ وارتيابٍ نحوي ونحو جريدة "أفتر نون نيوز" كلها. ظللت أتسكّع في منطقة الاستقبال لأُخاطب الضباط المارّين، ثم أدركت أنه عليّ المغادرة.

لم يمر المأمور "أولافيور جيسلي" من منطقة الاستقبال أثناء وجودي هناك. لذلك قررت الاستعانة بـ"أوسبيورن" مجددًا.

قال "أولافيور" مجيبًا عن سؤالي الأول:

- لا، ليس لدينا مشتبه بهم حاليًا.

سألته موضحًا دون الإشارة إلى الإشاعة الخاصة بعصابة "ريتارجيرتي":

-

هل يوجد أي خيوط؟

-

هناك دومًا خيوط. سنحقق في كل المعلومات المتاحة لدينا، لكن هذا سيستغرق وقتًا. يجب أن يتفهم الناس، وخاصة الإعلام أن التحقيق في قضيةٍ جنائية خطيرة يستغرق وقتًا طويلاً.

لم أكن مستعدًا بعد للتراجع، فسألته:

-

ألا تعج المدينة بالإشاعات؟

-

بالطبع. لكننا لن نشغل أنفسنا بها.

-

لا، لا. حاشا لله.

لم يرد فأدركت أن عملي قد انتهى.

قلتُ:

-

هل كان مقالي في جريدة اليوم جيدًا؟

-

جيدًا؟! لا. دعني أخبرك أنه لم يكن كذلك أبدًا!

سألته بعصبية:

-

تبًّا. فيم أخطأت الآن؟ ما مشكلتك؟

-

لم يكن هناك أي أخطاءٍ به! هذه هي المشكلة! كدت أجنُّ وأنا أحاول اكتشاف من سرَّب المعلومات. هذا لا يغتفر أبدًا!

حتمًا سمعه أحدهم الآن.

- لا يمكن أن تعجز الشرطة عن أداء عملها بسبب التسريبات التي قد تعرقل التحقيق. يجب أن يهتم الإعلام بأمورٍ أخرى عدا...

انتظرته حتى انتهى من ثورته.

وضع يده قليلاً على سماعة التليفون، وسمعته يقول لشخصٍ دخل مكتبه للتَّوِّ:

- نعم.. حسنًا.. نعم.. افعل ذلك.. حسنًا.. لا، سأكون معك في لحظات... سأنهي المكالمة

وحسب...

ما زلت أنتظر.

سألني:

-

أما زلت على الخط أيها الوغد؟

-

نعم.

-

ما نحاول فعله الآن هو تعقُّب الساعات الأخيرة من حياة "سكارفيدين فالياردسون". لكن لن أخبرك شيئًا الآن. بكل بساطة، نحن نحقق في القضية حاليًا.

-

إذًا، لا توجد أخبار الآن؟ لا جديد؟

-

مثل ماذا؟ فيم تفكر؟

-

إممم.

حاولتُ التفكير في شيء.

-

اسألني أي سؤال، وإلا سأنهي الاتصال.

-

نشرنا اليوم أن أحدهم ربما نقل جثة "سكارفيدين" بعد قتله.

-

نعم. هل تُسمّي هذه صحافة؟

أظن أن المأمور يضحك.

- أين تظنه مات؟

ضحك "أولافيور جيسلي" قائلاً:

- سؤال لا بأس به.

بدا أشبه بسياسي يحاول كسب الوقت ليتفادى السؤال ويجيب عن سؤالٍ آخر بدلاً عنه، فسألته:

-

هل ستجيب عنه؟

-

لا، لن أفعل. ليس الآن. السؤال التالي.

-

هل تعرف مزيدًا عن أسباب الوفاة؟

-

لا أحب هذا السؤال. تشير الدلائل.. وأكرر.. تشير الدلائل إلى أنه مات بسبب صدمةٍ في الرأس نتجت عن السقوط. لكن تقرير الطب الشرعي لن يظهر قبل يومين.

-

إذًا، هو سقط على رأسه، ولم يتلقَّ ضربةً عليها؟

-

كما سمعتني تمامًا. لقد أصيب بارتجاجٍ في المخ في الجهة المعاكسة لإصابته الأمامية. هذا يعني أن رأسه اصطدم بسرعةٍ عالية. مما يعني أن رأسه لم يكن ثابتًا كما في حالة تلقي ضربة أثناء الوقوف. في حالة تلقي ضربة تكون إصابة المخ الداخلية في مكان الإصابة الخارجية نفسه.

-

هل هناك عظام مكسورة أو أي إصاباتٍ أخرى؟

-

لا كسور. ما زال التحقيق جاريًا.

-

هل هناك احتمالٌ بأنه سقط ولم يتم دفعه؟

-

إما أنه سقط أو تم دفعه.

-

إذًا، يمكن أن تكون حادثة أو انتحارًا.

-

ماذا يقول مقالك اللعين في عدد اليوم من جريدة "أفتر نون نيوز"؟

مهلاً، ما الذي يتحدث عنه؟ تذكرت.

-

هل تعني أن هذا مستحيل لأن هناك من نقل الجثة؟

-

هل سمعت قط عن شخصٍ مات من السقوط، سواءً في حادثة أو بسبب الانتحار، ثم نهض وانتقل إلى مكانٍ آخرٍ، وبعد ذلك أشعل النار في نفسه؟

أجبت مبتسمًا دون داعٍ:

- لا، لم أسمع بذلك.

* * *

ليس سهلاً أبداً كتابة ملحقٍ عن التحقيق في اختفاء وموت "سكارفيدين فالياردسون".

أخبرني مصدري أن عددًا من رجال الشرطة والطب الشرعي وخبراء المعمل الجنائي مدركون للحقائق التي أعرفها الآن. هذا بالإضافة إلى عائلة المتوفى وأناسٍ آخرين بلا شك. لكن من الصعب كتابة مقالٍ دون مواجهة متاعب. فحصولي الدائم على المعلومات يعتمد على كتابة هذا المقال بطريقةٍ لا تكشف مصدر معلوماتي، بينما أراعي مشاعر أسرة "سكارفيدين".

قضيت ساعة أمام الكمبيوتر وأظن أنني أتممت المهمة كما يجب، ثم أرسلت المقال. بعد ذلك فتحت النافذة وأشعلت سيجارة على الرغم من أن الجو ليس باردًا. ثم رنَّ التليفون.

توقعت أن يكون اتصالاً مزعجًا آخر من "تراوستي لوڤ"، فرفعت السماعة بهدوء، وقلت مقلدًا جهاز الرد الآلي:

-

هنا مكتب "إينار" في مقر "أفتر نون نيوز". أنا مشغولٌ بإعداد تقاريرٍ مهمة حول عروض الموضة وحفلات الزفاف من أجل محرر الأخبار "تراوستي لوڤ". لكنْ إن تركت رسالة...

-

مرحبًا يا أبي. كف عن العبث.

-

"جونسا"، ابنتي الحبيبة! أهلاً بعودتكِ. هل هبطت طائرتكِ؟

-

نعم، أتحدث من موبايلي الآن. نحن في طريقنا من المطار إلى البلدة.

-

كيف كانت الرحلة؟

-

مذهلة تمامًا!

-

حقًّا!

-

في غاية الروعة!

-

أنا سعيدٌ من أجلك. خشيت أن تملي.

-

رأيت كثيرًا من المنازل الدنماركية!

-

حسنًا، حسنًا.

أستطيع سماع دردشةٍ مكتومةٍ بين "رينا" و"راجي" ورجلٍ لعين آخر.

-

سأخبرك المزيد غدًا. كيف حالك؟

-

بأفضل حال كالعادة. سأخبركِ بالمزيد لاحقًا.

-

حسنًا. سأتصل بك غدًا.

أصبحت "أكوريري" وأيسلندا كلها أكثر إشراقًا. حتى إسكندنافيا وأوروبا والعالم والكون بأكمله.

استلقيت لأنام من التعب وبجواري "بولي". كانت الساعة الحادية عشرة. لسببٍ ما جال بخاطري ابنة أخرى ووالدة أخرى؛ "جونهيلتور بيارجمونتستوتير" و"أوستيس بيورك جوتمونتستوتير".

12 الأربعاء

الساعات الأخيرة من حياة "سكارفيدين"؟

سرت في البلدة في صباحٍ ماطر وعاصف. لا يمكنني التفكير في شيءٍ أفعله أفضل من تتبع تحريات الشرطة.

سألت "أوسبيورن"، بينما نجلس لتناول القهوة في مقر الجريدة:

- ما رأيك؟

شرب قهوته السادة وعبس قائلاً:

-

لا أعرف لماذا تسألني. لم تعد لي علاقة بالأخبار.

-

أعلم لكنني أسألك لأن صلتك بـ"أولافيور جيسلي" هي ما تبقينا متقدمين على الجميع في تغطية القضية. أعني، هل تظنه سيشعر بالإهانة إن حصلت على معلوماتي من مصدرٍ آخر؟ هل تظن أنه يتوقع مِنّي الجلوس بصبر في انتظار فتات الأخبار التي يلقيها إليَّ؟

-

إنه يعرف تمامًا من أنت وكيف تعمل.

-

إذًا؟

-

إذًا، عليك أن تفعل ما تظنه صوابًا.

تردَّد قليلاً، ثم واصل:

-

لكن عليك إخباري بكل ما تعرفه حتى أنقل هذه المعلومات إلى "أولافيور جيسلي" عند الضرورة. من الأفضل أن تتبادلا المعلومات.

-

لكنني لستُ واثقًا من إيجاد شيءٍ لا تعرفه الشرطة بالفعل. أنا متأكد من أنهم متقدمون عني بخطوةٍ أو عدة خطوات. هذا حتمي.

قال "أوسبيورن" الذي بدا مرحًا على غير العادة اليوم:

- سنرى بهذا الشأن.

ملت للأمام وأخرجت سيجارة دون أن أشعلها، ثم قلتُ:

- هل تفتقد عملك كمحرر أخبارٍ يا "أوسبيورن"؟

أشار إلى سيجارتي بغضب قائلاً:

- إياك وإشعال هذا الشيء هنا! أعلم أنك تدخن دومًا في مكتبك. وأنت تعلم أنني أرفض هذا، لكنني سئمت من جدالك حول تدمير صحتك. والآن لا تدمر صحتنا نحن!

قلت وأنا أعيد السيجارة إلى جيبي:

-

حسنًا، حسنًا، حسنًا. أنسى نفسي أحيانًا.

-

ليس لديَّ ما أقوله عن وظيفة تحرير الأخبار. أنت تعلم أن هذه المسألة تمت بلا ضمير.

-

لم تعد هناك أخلاق في العمل في العصر الحديث يا "أوسبيورن". حتمًا تعرف ذلك.

أخرج صوت شخير ساخرًا، ثم قال:

-

سأريك كم كان الأمر ظالمًا وغير مبررٍ. سأثبت قدراتي هنا في الشمال.

-

أخبرني "هانس" أنهم يرون بالفعل نتيجة جهودنا. لقد زادت المبيعات في الشمال، سواء بالتجزئة أو الاشتراكات. كما زادت زاد الطلب على الإعلانات من أصحاب العمل المحلي.

تحرك "أوسبيورن" في جلسته، وقال:

- أنا مدركٌ تمامًا لذلك.

ثم نظر إليّ بثباتٍ، وأضاف:

- وعلينا الاستمرار بالعمل الجاد.

أدركت أن "أوسبيورن جريمسون" يتصف ببعض المكر. إنه يساعدني لكي يساعد نفسه. والمأمور "أولافيور جيسلي" يرد معروفًا قديمًا للأسباب نفسها. إنه يساعدني لمساعدة "أوسبيورن" الذي ساعده.

اشتعل عقلي بالتفكير في غرفتي الصغيرة المليئة بدخان السجائر. كيف أحصل على أحداث الساعات الأخيرة من حياة "سكارفيدين"؟ ليس لائقًا أن أتصل بعائلته بعد وفاة ابنهم مباشرةً. كما أنهم لن يخبروني بالكثير طالما كان يعيش في مكانٍ مستقل. ليس لدي أفضل من سؤال "أويوستا"، رئيسة فريق المسرح. لكنني مضطرٌ للاتصال بشخصٍ ما أولًا.

-

معك "تراوستي".

-

أهلاً. أنا "إينار". أتحدث من "أكوريري".

-

صاحبي!

-

أذكرك باتفاقنا بأنني سأعمل على قضية "سكارفيدين" للأيام القلائل التالية، وسأتجاهل المسائل التافهة حاليًا.

-

هذا يتوقف على مفهومك للتفاهة. لكن القضية ستزيد المبيعات، لذلك يمكنك العمل عليها طالما لم يطرأ شيءٌ أكثر أهمية.

-

اتفقنا.

-

ماذا لديك لعدد الغد؟

-

لا أعرف. سأحاول اكتشاف ما فعله "سكارفيدين" قبل اختفائه مساء الأربعاء.

-

جيد.

-

لكن قد لا يكفي هذا لعمل مقالٍ كامل في عدد الغد.

-

يمكنك فعلها. ولا تنسى تحقيقات الشرطة ونتيجة التشريح ومسرح الجريمة، وكل هذا.

أيها الأحمق التافه الوضيع.

* * *

بدت "أويوستا" الصغيرة أقل نشاطًا عمَّا كانت عليه في البروفة في "هولار". إنها تعيش مع والديها في منزلٍ متهدمٍ ومنهار في إحدى التفريعات الضيقة من شارع "ستراندجاتا". جلست مقابلي على مائدة المطبخ وأمامها كوب ماء. بدت في الإضاءة الخافتة أكبر عمرًا بكثير عمَّا رأيتها من قبل. أمَّا النمش الذي زيَّن وجهها اختفى وسط شحوبها الشديد.

سألتها أول سؤالٍ يطرأ على بالي:

- كيف حالك؟

أجابت بخفوت:

-

لستُ بخير، شكرًا جزيلاً على سؤالك. لم أنم منذ ثلاث ليالٍ.

-

ألا يوفرون لكم استشاراتٍ نفسية لتخطي هذه المحنة في المدرسة الثانوية؟

-

بلى، إذا أردنا. هناك أخصائيون اجتماعيون للطلبة.

-

ألا يفيدكم هذا؟

-

لم أطلبه بعد. لست واثقة من أن الاستشارات يمكنها السيطرة على الصدمة الفعلية.

-

سيطرة؟ ألا يفترض بها مساعدتك على التخلص من الصدمة بدلاً من السيطرة عليها؟

أحنت رأسها قصير الشعر فوق المائدة، وقالت:

- لا أعرف. أفكر أحيانًا أن الصدمات النفسية تحدث لأنها مقدرة، وأنها تجربة حياتية مهمة وقيمة، وعلينا ألا نحاول تحجيمها أو تخفيفها. لا أعرف.

نظرتُ حولي، وقلتُ:

- أنت تعيشين مع والديكِ، صحيح؟

أومأت برأسها.

-

هل يعملان؟

-

أبي صيَّاد سمك وأمي تعمل في وظيفتين.. تعمل صباحًا في أحد المخابز، وتعمل منظفة ليلاً.

-

علمت أن الحفل تم في منزلك مساء الأربعاء، هذا يعني أن والديكِ لم يكونا في المنزل. صحيح؟

-

بلى.

-

هل أنتِ طفلة وحيدة؟

-

لديَّ أختٌ صغيرة. إنها في المدرسة الداخلية دائمًا.

بدت "أويوستا" تعيسة لدرجة أنني كنت أُخرِج الكلام من فمها بصعوبة. سألتها:

- هل تريدين أن أغادر؟

رفعت نظرها وأجابت:

- لا. سأبذل جهدي لأجيب عن أسئلتك. هل معك سيجارة؟

أخرجت علبة سجائري وأعطيتها واحدة، ثم أمسكت بواحدة.

دخنَّا قليلاً في صمت. هدرت الرياح خارج النافذة حول الأغصان العارية، وعصفت بالغسيل المنشور.

اتفقت على الحديث معي بشرط ألا أذكر اسمها، لكنها لم تعترض عندما قمتُ بتشغيل المسجِّل الخاص بي. سألتها:

-

كيف خططتم للحفل؟

-

بكل بساطة. بذلنا جميعًا جهدًا شديدًا. لذلك أردنا الاسترخاء قليلاً لننسى مخاوف ليلة العرض الأولى. عرفت أن والديَّ لن يكونا بالمنزل، لهذا أخبرت الرفاق أن المنزل سيكون متاحًا.

-

عندما قلتِ "منزلاً متاحًا"، هل عنيتِ أن المدعوين لم يكونوا فقط فريق المسرح وفريق المسرحية؟

نظرت "أويوستا" إليَّ بحدةٍ، وقالت:

-

ألم تُقِم حفلاً قط؟

-

ليس منذ أربعة عشر أو خمسة عشر عامًا. لماذا تسألين؟

-

أحيانًا يذهب الناس إلى الحفلات دون دعوة. وأحيانًا يحضر المدعوون أشخاصًا معهم. وأحيانًا يدخل أشخاصٌ من الشارع.

-

هل هذا ما حدث تلك الليلة؟

أطفأت سيجارتها، وقالت:

-

لم تكن هناك تذاكر لدخول الحفل. ظل الناس يدخلون ويخرجون. وبعد فترةٍ لم نعد نلاحظهم.

-

إذًا، انتشر الناس في المنزل دون أن تلاحظيهم أو تعرفيهم.

-

أظن ذلك. كنت في المطبخ أدردش مع رفاقي معظم الأمسية.

-

كم عدد الأشخاص الذين كانوا هناك برأيك؟

هزَّت رأسها نفيًا، وقالت:

-

لا أعرف. نحو ثلاثين شخصًا مثلاً. لكنني لم أعدهم أو ألاحظهم كما أخبرتك.

-

ماذا عن "سكارفيدين"؟ متى وصل؟

فكرت قليلاً، ثم قالت:

-

سألتني الشرطة عن كل هذا بالفعل، وسأخبرك ما أخبرتهم. لستُ واثقة، ربما في الحادية عشرة.

-

ومتى رحل؟

-

لا أعرف. تأتي مرحلةٌ ما في الحفلات تنسى فيها الوقت وكل شيءٍ آخر.

لا أعرف ماذا سأستفيد من إجاباتها الناقصة. ربما هكذا هي الحفلات بالفعل. تفتقر للتوقيت والنظام ودقة العدد ولا يمكن توقعها. غامرت بسؤالها:

- هل كان الضيوف سكارى جدًا؟

ظهر شبح ابتسامةٍ في عينيها الخضراوين، لكن ابتسامتها لم تصل لشفتيها وقالت:

- ربما.

ابتسمت، وسألت:

-

ماذا عنكِ يا مضيفة الحفلة؟

-

كنت أستمتع بوقتي وحسب.

-

من أتى مع "سكارفيدين"؟

-

لم ألحظ.

-

مع من غادر؟

-

لم ألحظ أيضًا.

-

هل كنتما صديقين مقربين؟

نظرت من النافذة، وقالت:

-

عرفنا بعضنا معرفةً وثيقةً.

-

من أصدقاؤه المقربون؟ مع من عليَّ أن أتحدث؟

-

"سكارفيدين" لديه...

توقفت لتصحح كلامها:

-

"سكارفيدين" كان لديه كثير من الأصدقاء. وكان يتمتع بشعبيةٍ كبيرة. لم أعرف أبدًا شخصًا بمثل عمري على صلة بهذا العدد من الناس.

-

لكن من يعرفه بشكلٍ أفضل؟

فكرت، ثم قالت:

-

لا يمكنني إجابة هذا السؤال. "سكارفيدين" كان لديه مجموعات كثيرة من الأصدقاء، وكلهم مختلفون.

-

كيف تعامل مع المخرج "أورفار باوتل"؟

لم تجب "أويوستا" على الفور، بل ترددت قبل أن تقول:

-

لا بأس. لكنه كان يهتم بالمسرحية أكثر من المخرج نفسه.

-

هل ثار على "أورفار"؟

-

حسنًا.. "أورفار" كان يتوتر حوله. أظن أن "سكارفيدين" كان يفاجئه أحيانًا.

-

لماذا حصل "أورفار" على الوظيفة؟

-

اتصلنا بعددٍ من الناس. لكن أظن أن "سكارفيدين" هو من اقترحه. قال إنه لن يسبب مشكلات.

-

لن يسبب مشكلات؟

-

نعم. وانقضَّ "أورفار" على الفرصة.

-

أخبرني أنه لم يوافق على إقامة حفلٍ في المساء السابق لليلة العرض الأول. هل هذا صحيح؟

-

نعم، لقد أخبر "سكارفيدين" بانزعاج، لكنه سرعان ما تراجع.

-

هل كانت علاقة "سكارفيدين" بأهله سيئة؟

قالت بدهشة:

-

ليس على حد علمي. لماذا تظن ذلك؟

-

ربما لأنه لم يعش في المنزل منذ بدأ دراسته الثانوية. في البداية عاش في سكن الطلبة، ثم انتقل إلى شقته الخاصة في الخريف الماضي.

-

هذا لأنه يحب الاستقلالية. هذه هي شخصيته.

-

أريد سؤالك عن أمرٍ آخر. عندما تحدثتُ إليكِ في التليفون أخبرتني أنكِ لم تلحظي شيئًا غريبًا أو غير معتاد في "سكارفيدين" تلك الليلة.

-

وماذا في ذلك؟

-

قيل لي إنه وصل في العاشرة...

-

العاشرة أو الحادية عشرة. ما الفارق؟

-

ليست مسألة وقت. لقد قيل لي إنه كان يرتدي فستانًا.

تحولت ملامح الحزن على وجه "أويوستا" إلى ضحكٍ هستيري حتى دمعت عيناها وكادت تختنق وهي تقول:

-

إن كنت تظن أن هذا غريب أو غير معتاد فهذا يدل على جهلك بـ"سكارفيدين".

-

حقًّا؟ هل كان معتادًا على ارتداء الفساتين؟

أمسكت بمناديل المطبخ لتجفف عينيها، وقالت:

-

لقد كان يتمتع بحياته بكل بساطة. أراد دومًا أن يحصل على كل ما هو غير متوقع من الحياة والناس. لهذا كان يفعل دائمًا أغرب الأشياء.

-

لم يكن متحولا جنسيًّا إذًا؟

قاومت "أويوستا" حتى لا تنفجر ضحكًا مجددًا، وأجابت:

-

لا. لا تفكر بذلك. كان يبحث عن المرح فقط.

-

ولم يكن مثليًا أيضًا؟

-

لماذا تظن ذلك؟

أجبت بينما أشعر أنني عتيق التفكير ومتعصب:

- حسنًا.. لأنه كان يرتدي فستانًا.

أدارت وجهها الشاحب المبتل بدموع الضحك نحو المائدة. بدأت تمسحها وتجمع الأوساخ عند الحافة وهي تقول:

-

على ما أذكر لم يكن مجرد فستانٍ قديمٍ.

-

ماذا كان إذًا؟

-

كان يرتدي عباءةً سوداء بحزامٍ عند الخصر.

-

مثل الرهبان؟

-

لا، بل مثل السحرة.

عُدتُ للمكتب، واتصلت بـ"تراوستي لوق" لأخبره أنني بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الوقت لأعرف تفاصيل الساعات الأخيرة من حياة "سكارفيدين". أنا واثقٌ من أن "أويوستا" تخفي شيئًا. لقد أعطتني أسماءً وأرقام تليفونات لأعضاء فريق المسرح المهمين، وهم نفسهم كانوا الأكثر نشاطًا في الحفل. لكن ليس سهلاً تجميع المعلومات البسيطة معًا لمعرفة ما حدث. رد "تراوستي" بكلماتٍ مشجعة: "اثبت قدراتك يا صاحبي".

اتصلت بـ"جونسا" وتبادلنا الأحاديث حول ما فعله كلانا في عيد الفصح. وعدتني أن تمضي

معي إجازة أسبوعية قريبًا عندما تسمح ظروفها. اتصلتُ بوالديَّ وأخبراني أنهما سعيدان لسماع صوتي مرحًا في "أكوريري".

بفضل وساطة "أوسبيورن" تحدثت إلى "أولافيور جيسلي" بحلول وقت العشاء. سألته:

-

هل اتضحت الصورة في عقلك؟

-

بعضها اتضح، والبعض الآخر لا. ماذا عنك؟

-

فهمتُ بعض النقاط، لكن معظمها لا.

-

بعض الأيام أصعب في العمل من غيرها.

-

نعم، أنت محق. هل تسمح لي بسؤالك بعض الأسئلة؟

-

كما تحب. هل تفضل أن أسألك أنا؟

-

فقط إن أردت أنت. هل حددتم زمن الوفاة؟

-

ليس بدقة، لكنه تُوفي ما بين الثالثة والسادسة صباح خميس العهد، على ما يبدو.

-

هل تمكنت من معرفة وقت مغادرته الحفل؟

-

بشأن الحفل، ليس لدينا معلومات يعتمد عليها. وكأنها لم تحدث قط أو على الأدق لا يوجد أي شخصٍ يمكنه تأكيد ما حدث.

-

هل تحدثت إليهم جميعًا؟

-

هل تعني من كان بالحفل؟ كم عددهم؟ من هم؟ لا أحد يعرف.

-

هل تعرف شيئًا عن وجهة "سكارفيدين" بعد الحفل؟

-

ليس بعد.

-

هل تعرف من كان معه؟

-

ليس بعد.

-

إذًا، لم تنفعك خيوط الأدلة بشيء؟

-

حتى الآن لا. عليَّ الاعتراف بذلك.

-

تعني "حاليًا" كما تقول دومًا.

-

ما كنت لأقولها بشكلٍ أفضل.

-

ماذا عن تقرير المعمل الجنائي حول الجثة والمكان الذي وجدتموها به؟

-

من المبكر جدًّا معرفة ذلك. لن تظهر نتيجة المعمل الجنائي إلا بعد بضعة أيامٍ على الأقل. هل ذهبت إلى مكب نفاياتٍ مؤخرًا.

-

ليس منذ وصولي إلى "أكوريري" عندما انتقلت من شقتي الوضيعة في "ريكيافيك".

-

فلتعد بذاكرتك إلى شقتك القذرة وتخيل أدلة التتبع التي يمكن وجودها في المكب وعلى الجثة وسط الحديد الخردة والنفايات.

-

لكن أين قُتِل "سكارفيدين" برأيك؟ في مكانٍ بعيد عن المكب؟

-

لا. نظن أنه تُوفي هناك.

-

ماذا لديك؟

-

وجدنا دليلاً، دماءً وبعض الآثار. الاستنتاج البديهي هو أن أحدهم قد دفعه من فوق حاويةٍ ضخمة هناك فسقط وارتطم بالصخور التي بالأسفل. يبدو أنه مات فورًا.

-

وماذا حدث للجثة؟

-

تم جرها من مسرح الجريمة ثم غطاها أحدهم بكثير من الإطارات المنتشرة في المكان.

-

حسنًا، حسنًا.

-

نعم.

-

حتمًا، كانت مهمةً شاقة. هل تظن أن الفاعل أكثر من شخص؟

-

ليس بالضرورة. هذا يعتمد على قوة مرتكب الجريمة مثلاً.

-

لو أن الجريمة وقعت خلال الليل أو الفجر، كيف لم يلحظ الحارس الليلي الدخان باكرًا؟

-

لم يلحظ شيئًا يوم خميس العهد. ولم يكن في العمل يوم جمعة الآلام. لذلك لاحظ الدخان في صباح السبت.

-

ما معنى هذا؟

-

يعني أن النار لم تشتعل في الإطارات قبل يوم جمعة الآلام. ليس قبل المساء على الأرجح بالنظر إلى شدة احتراقها في الصباح التالي.

-

هذا غريب. لماذا لم يشعل الفاعل النار في الجثة فورًا؟ لماذا انتظر يومًا؟

-

لا نعرف حاليًا.

-

هل يمكن أن القاتل أو القتلة، أيًّا كانوا، قد غيرّوا رأيهم وقرروا حرق الجثة حتى يصعب التعرف عليها أو ما شابه؟

-

سؤال سيئ. التالي.

خطرت لي فكرة فقلت:

-

ربما أرادوا أن يتم إيجاد الجثة؟ فالإطارات تظل مشتعلة لفترةٍ طويلة وتبعث الكثير من الدخان، صحيح؟ يمكنها أن تنفث دخانًا كثيفًا لأيام، أليس كذلك؟

-

هذا أيضًا سؤال سيئ. لكن الإطارات تظل مشتعلة لوقتٍ طويل بالفعل.

فكرت قليلاً، ثم قلت:

- حسنًا، لا يسعني التفكير في أسئلةٍ أخرى.

علّق "أولافيور جيسلي":

-

خسارة. أنا أستمتع كثيرًا بمحادثاتنا القصيرة في التليفون.

-

أنا و"أوسبيورن" نقدر تعاونك أكثر مما تتصور.

-

هذا هو المهم. أبلغ "أوسبيورن" أرق تحياتي.

-

مهلاً قبل أن أنسى. هل حصلت على تقرير الطب الشرعي لجثة المرأة التي سقطت في نهر

"يوكولساو"؟ اسمها "بيورج جوتمونتستوتير".

-

تعني تلك القضية. نعم، انتظر. إنه هنا في مكانٍ ما.

سمعت صوته وهو يبحث وسط الأوراق، ثم قال:

-

كما أخبرتك من قبل. لقد سقطت من القارب واصطدم وجهها بالصخور مما تسبب في ارتجاجٍ خطير.

-

مثلما حدث لـ"سكارفيدين"؟

-

أظن ذلك، كما قلت تمامًا. لكنها قضية مختلفة تمامًا. إنها حادثة منفصلة. تناولت المرأة جرعة كبيرة من الأدوية الموصوفة والبيرة حتى ثملت عندما ركبت القارب. المرأة كانت مدمنة. ما حدث كان شيئًا ما بين الحادثة وأذية النفس.

في طريق عودتي للمنزل توقفت عند محل الفيديو واشتريت الفيلم الشبابي الأيسلندي "ستريت رايدر".

13 الخميس

"لا تحاول خداعي...".

إنها أغنية النهاية في الفيلم، وهي تعبرٌ عن أفكار البطلة الشابة.

"... أنا معجبةٌ بشابٍ مثلك.

ينطلق بدراجته،

بلا أدنى خوف...".

شعرت أن الأغنية لخصت الفيلم تمامًا. شاهدته وأنا أستلقي على الكنبة أتناول الفشار والصودا، بينما تدور "بولي" حول ياقتي وتتبول. كانت أمسية شاعرية مع صوت العندليب الذي يغني على السطح وحفيف الغسيل المنشور في الحديقة.

اتضح لي أن فيلم "ستريت رايدر" قصةٌ رومانسية للصغار، تدور حول حبٍ بريء بين فتاة جميلة من عائلةٍ ثرية من الضواحي وفتى متمردٍ وفقير. أتى مع والدته من بلدةٍ صغيرة ليعيشا في أحد مشاريع الإسكان في ضواحي "ريكيافيك". فشل في الدراسة ثم تأنق وتعجرف وركب دراجته النارية بصفته زعيمًا لعصابةٍ قوية تتواصل بشفرةٍ خاصة، تمامًا كما يحدث في قصص مغامرات الأطفال. بذل والد الفتاة قصارى جهده ليفصل بين الحبيبين الصغيرين. لكن عندما وقع الأب الثري تحت تهديد مجرمين حقيقيين، أسرع الفتى المشاغب لنجدته مع عصابته وأظهر معدنه الطيب. وهكذا عاشوا جميعًا في سعادةٍ إلى الأبد.

فكرت في الفيلم، بينما أشرب أول كوب قهوة في اليوم. ليس سيئًا بالنسبة لرومانسية خفيفة بلا دراما عصيبة. لكنت استمتعت به لو شاهدته وأنا في عمر الأبطال. أحببت موسيقى الـ"روك أند رول" التي أوضحت أن الأحداث تدور في بداية الثمانينيات.

بدا "سكارفيدين" شابًا وسيمًا وبريئًا. بذل قصارى جهده لتمثيل الدور بصوته المؤثر وجسده المتناسق القوي، بينما يجوب الشوارع بدراجته النارية. لمحت "أورفار باوتل سيورتارسون" في دورٍ صغير. كان ضابط شرطة بدينًا. ولاحظت وجهًا مألوفًا بين الشباب، لكنني نمت قبل أن أتذكر أين رأيته من قبل.

عندما ذهبت إلى المكتب وجدت "يوا" هناك تتحدث مع "أوسبيورن"، بينما يشربان القهوة. لم تكن "كارولينا" هناك. لم أرها في المكتب منذ فترة، و"أوسبيورن" يركض بين المكتب والاستقبال ليرد على المكالمات ويستلم الطلبيات ويتعامل مع تجّار التجزئة، ويعلم الله ماذا أيضًا. لا يبدو بخيرٍ اليوم. شعره مبعثر ومزيت، وعيناه حمراوان ومتورمتان.

قالت "يوا" التي لم تعد إلى المنزل منذ أيام:

- حصلت على إذنٍ بالبقاء هنا لفترة.

قلتُ:

- عظيم. لم أرغب في رحيلكِ بعد. إلى متى ستبقين؟

قال "أوسبيورن":

- طلبت من "يوا" مساعدتي في المكتب هذه الفترة. "كارو" ليست بخير، ولا يمكنني تولي كل شيءٍ وحدي.

أكملت "يوا":

- لحسن الحظ لستُ منشغلةً كثيرًا بالتقاط الصور. كما أريد البقاء هنا بعض الوقت.

ابتسمت قائلاً:

- بالطبع. لم نعد نراكِ أنا و"بولي" في المنزل. تجتهدين في العمل على ما يبدو.

ابتسمت "يوا"، وقالت:

- هذا سيعطيك الفرصة لتطور علاقتك مع "بولي"، وتكتشفان مزيدًا عن بعضكما.

ضحك "أوسبيورن" قليلاً معنا، ثم نهض وعاد لمكتبه.

سألت "يوا" هامسًا:

-

هل هناك مشكلةٌ جادة مع "كارو"؟

-

لا أعرف. يقول "أوسبيورن" إن زوجته متوترة. لا أعرف ماذا يقصد. لم أسأله، فأنا سعيدة بالوضع الجديد.

قلت معلقًا:

- كنت سأصاب بالتوتر لو أنني متزوجٌ من "أوسبيورن".

ثم ذهبت إلى مكتبي الصغير بعدما طلبت من "يوا" التقاط صورٍ لمنزل "أويوستا ماكنوستوتير" والمبنى الذي عاش به "سكارفيدين"، ثم المدرسة الثانوية. سأذهب إلى هناك ظهرًا وأحاول التَّحدُّث مع المدير.

عندما جلست على مكتبي أول ما جال بخاطري هو البحث في دليل التليفونات. وجدت المخرج "فريتيبرت سومارليتاسون" مسجَّلاً في "ريكيافيك" مع رقم تليفون أرضي ورقم موبايل. لم يجب على تليفون منزله لكنه ردَّ على الموبايل.

شرحت له سبب اتصالي.

قال "فريتبرت" الذي بدا من صوته أنه في مثل عمري:

-

"ستريت رايدر"، يا للذكريات. إنه أول فيلم كامل أخرجه، وهو الوحيد أيضًا. لم أحصل على فرصةٍ مثله حتى الآن. كسبت رزقي منً إخراج الإعلانات والأعمال التليفزيونية.

-

آسف لسماع ذلك.

-

لا داعي. أنا أفضل حالاً الآن. فالأفلام في أيسلندا لا يصنعها سوى الحمقى أو هواة تعذيب الذات. إنهم يرغبون في الإفلاس باستمرار.

-

كنت أتمنى أن تحدثني عن "سكارفيدين". كيف اشترك في الفيلم؟

-

لقد أعلنَّا عن طلب مُراهقين لتمثيل فيلم ثم أجرينا تجارب أداء. تقدَّم كثير من الشباب لدرجة أننا استغرقنا ثلاثة أيامٍ لاختبارهم جميعًا.

-

لماذا اخترت "سكارفيدين" لدور البطولة؟

-

أولاً، لديه المظهر المناسب لراكب دراجة نارية يقوم بدور نقيض البطل. ثانيًا، لديه اللكنة الشمالية الريفية المطلوبة لبطلٍ الفيلم. كان غريبًا بين الطبقة المتوسطة الثرية في "ريكيافيك". ثالثًا، كان موهوبًا حقًا في التمثيل على الرغم من كونه مبتدئًا تمامًا. رابعًا، كان حريصًا على لعب الدور. لقد أقنعني أنه سيبذل قصارى جهده. وهذا ما فعله، ربما أكثر من اللازم.

-

أكثر من اللازم؟

-

نعم، أحيانًا كان يتدخل في أمورٍ لا تخصه. إنه ليس مستبدًا، لكنه شغوفٌ بعمله وحسب. الصبي قائد بالفطرة. هذا ما أدركه باقي الصبية منذ البداية.

-

خاصةً الفتيات؟

فكَّر "فريتبرت" قليلاً، ثم قال:

-

جميع الفتيات أعجبن به. كلهن بلا استثناء.

-

وهل تطورت علاقته بهن؟

-

لن تنشر ذلك على لساني؟

-

لن أفعل. سأقتبس ما قلته عن موهبته في التمثيل وحسب.

-

كل ما أذكره هو أنه ترك بعض القلوب المفطورة.

-

ألا تعرف المزيد؟

-

لا.

-

لعب "أورفار باوتل سيورتارسون" دورًا صغيرًا. ثم أصبح مخرجًا لمسرحية "الساحر لوفتر" التي يقوم ببطولتها "سكارفيدين" في "أكوريري". صدفة غريبة، صحيح؟

-

أتظن هذا؟ حسنًا، عالم التمثيل في أيسلندا صغيرٌ جدًّا.

-

إذًا، هي محض صدفةٍ حقًّا؟

-

لا أتخيلها شيئًا آخر.

-

لكن وفاة "سكارفيدين" الوحشية.. لا بد أنك صُدِمت حين عرفت؟

-

بالطبع. كنت واثقًا من أن هذا الفتى سيصل للنجومية.

-

حسنًا، شكرًا جزيلاً...

-

لكنها صدفةٌ غريبة...

بدا وكأنه يفكر بصوتٍ عالٍ فسألته:

-

ما هي الصدفة الغريبة؟

-

تذكرت أمرًا سمعته منذ بضعة سنوات. "إنيا لينا" التي لعبت دور حبيبة "سكارفيدين" في الفيلم، تعرضت لكثير من المشكلات بعد ذلك وتوفيت بعمر السادسة عشرة فقط.

هل يمكن أن تكون هي صاحبة الوجه المألوف؟ ربما رأيتها في الصحف؟ سألته:

-

كيف ماتت؟

-

لست واثقًا. أظنها أدمنت المخدرات، أو عانت من الاكتئاب، أو ما شابه.

-

إذًا، توفى بطلا فيلم "ستريت رايدر" قبل عامهما العشرين. يا لها من صدفةٍ غريبة كما قلت.

قال "فريتبرت سومارليتاسون":

- صدفة؟ تبدو أشبه بلعنة.

* * *

تتكون مدرسة "أكوريري" الثانوية من مجموعة مبانٍ متنوعة الأحجام والتصاميم، وتعود لفتراتٍ زمنية مختلفة. تقع المدرسة في شارع "إيرارلاندسفيور" بعد وسط المدينة والكنيسة. افترضت أن مكتب المدير سيكون في أقدم مبنى في المدرسة. إنه مبنى خشبي أنيق يطل على المضيق، سطحه مثلث، وحوافه منقوشة، ويرفرف علمٌ أعلاه. ذكَّرني تصميمه بكوخ تزلج. تم إضافة ملحقات وتوسيعات تدريجيًا للمدرسة القديمة على مدى المائة عام الأخيرة. تجولت في الممرات، ورأيت الجدران الزرقاء المليئة برموزٍ لتاريخ المدرسة؛ لوحات شخصية للمديرين السابقين، وصور تخرج الطلاب في مراحل عمرهم بالترتيب حتى أصبحوا شبابًا ببذلات وشاباتٍ بفساتين جميلة. هناك قرنٌ من الموضة محفوظٌ هنا؛ مثل الشعر خفيف الجوانب، والشعر اللمع والمثبت بالفازلين، والشعر المكوم بضخامةٍ فوق الرأس مثل خلية النحل، وتسريحة فرقة ال"بيتلز" التي تغطي الجبين، والشعر الطويل مثل ال"هيبيز"، والشعر الأشعث، وصولاً إلى زمننا بكل ما فيه. هناك صورٌ لعروض فريق المسرح، حيث يظهر الطلاب تعابير الفرح والحزن، الفرح كان غالبًا كما أرى. هل ستصل صورة مسرحية "الساحر لوفتر" إلى هنا يومًا ما؟

بعد التجول في الممرات ومشاهدة تاريخ المكان، حان وقت الربع ساعة التي خصصها لي المدير من جدوله المزدحم. ذكرته بحادثة "سؤال اليوم" بخصوص ما نشرناه عن المدرس "كيارتان أرنارسون" والطالبة "سولرون بياركاتوتير". كررت له التوضيح الذي كتبه "تراوستي" في الاعتذار المنشور في الصفحة الأولى. أنقذتني هذه البادرة من محاضرةٍ طويلة ومتوقعة عن الصحافة الصفراء والإعلام غير المسؤول. لكني تلقيت النسخة المختصرة منها.

"ستيفان ماور جوتورمسون" في الأربعينيات من عمره، طويل ونحيف وخفيف الشعر وحليق الذقن. كان يرتدي نظارة قديمة الطراز تستند على أنفه الضخم. نهض بعظمةٍ ودعاني للجلوس.

قال بتلعثم:

-

يا لها من مأساة. جميعنا مصدومون. لقد ألغينا جميع الحصص في اليوم الدراسي الأول، ونبذل جهدنا لمساعدة الطلاب على تخطي هذه الأزمة العصيبة، وخاصة من يعانون بشدة.

-

هل كنت تعرف "سكارفيدين" بشكلٍ شخصي؟

-

لا، ليس حقًّا. لم يكن مشاغبًا. نحن نلتزم بالانضباط الشديدة في المدرسة، فلدينا تاريخ طويل نحافظ عليه. تم بناء هذه المدرسة القديمة في إقطاعية "إيرارلاند" التي يرجع تاريخها إلى بداية استيطان الأيسلنديين منذ ألف عام. نحن فخورون جدًّا بتاريخنا الطويل والمشرف. جميع الاحتفالات الاجتماعية للطلاب ممنوع فيها الكحول والمخدرات. كما أننا لا نقدّم الخمور في عشائنا السنوي، ونمنع التدخين. فالتدخين ممنوع في المدرسة أو أي مكان تابع لها.

عجبًا! أتساءل إن كانت الصورة الأنيقة للمدرسة تتناسب مع تطور الناس هذا العصر. الطريقة التي يصف بها المدير المدرسة تجعلها متعارضة تمامًا مع أي تجربة مرحة في حياة الطلاب الاجتماعية في المدرسة الثانوية في "ريكيافيك". ممنوع الكحول والتدخين وتجربة أي مواد نصادفها في حياتنا.

لا أعرف إن ظهر شكي واضحًا على وجهي أم لا، لكن المدير نظر إليَّ نظرةً مخيفة، وقال:

-

هل هذا يدهشك؟

-

نعم، أعترف بذلك. فالقناعة لم تكن قاعدة في حياتي الثانوية.

استرخى قليلاً، وقال:

- لا أتحدث عن القناعة، بل عن الانضباط والاعتدال. نحن نناشد حس المسؤولية لدى الطلاب. ليس وكأننا لدينا شرطة أخلاقية في المدينة لنجبر الطلاب على طاعة سياستنا.

أومأت، لكنني ما زلت مرتابًا. أمّا هو فواصل كلامه:

-

يجب على إدارة المدرسة بذل جهدها لمكافحة الآثار السلبية على شباب مجتمعنا اليوم ولحمايتهم منها. ألا توافقني؟

-

نعم، أتفق معك. لكنني واثقٌ من أن الشباب لا يمكن حمايتهم من فضولهم نحو كل ما هو جديد. جميعنا نرتكب الأخطاء قبل اكتشاف الصواب.

رد "ستيفان ماور" مفكرًا:

- ربما تكون محقًّا إلى حدٍ ما. لكنه واجبنا أن نجذب انتباه الشباب الذين في رعايتنا إلى الجوانب الإيجابية في حياتهم، وفي الوقت نفسه علينا مواجهة الجوانب السلبية والخطيرة والفتاكة. إن مدرسة "أكوريري" الثانوية هي أول مدرسة تقدّم للطلاب جلسات نفسية للتعافي من الكحول والمخدرات.

لو كان هناك أخصائي نفسي للتعافي من الكحول لكنا طردناه من المدينة إلى الجبال. قلتُ:

- لكن كما تعلم، لم يكن "سكارفيدين" بحاجةٍ إلى تلك الجلسات، صحيح؟

هزّ المدير رأسه قائلًا:

-

على حد علمي مطلقًا. يمكنك التأكد من الأخصائي الاجتماعي إن أردت، على الرغم من أننا نحافظ على سرية الأمور الشخصية لطلابنا. "سكارفيدين" كان قدوةً حسنة للشباب، وهذا ما يجعل وفاته المروعة أكثر مأساوية.

-

هل كان طالبًا ملتزمًا؟

-

على حد علمي نعم. كان يدرس علم الاجتماع ويحصل على درجاتٍ عالية باستمرار. لكن مدرسيه والأخصائيين الاجتماعيين يعرفونه بشكلٍ أفضل. أود الإشارة إلى أن مدرسة "أكوريري" الثانوية أول مدرسة تقدم أخصائيين اجتماعيين للطلاب. لسوء الحظ مركزي كمدير لم يسمح لي بمتابعة أحوال كل تلميذٍ على حدة، فعددهم يزيد على الخمسمائة. أنتبه فقط للحالات الاستثنائية، الطلاب الذين يعانون من بعض المشكلات. نفتخر بأن

معدل الرسوب في مدرسة "أكيويريري" الثانوية يعد من أقل المعدلات في البلاد. إنه يعادل 2.5% على ما أتذكر.

بدأ المدير يفقد صبره. سألته:

-

عرفت أن "سكارفيدين" كان من أهل البلدة، لكنه لم يعش مع والديه بعد عامه الأول في الثانوية. لقد انتقل إلى سكن الطلبة، ثم إلى شقته الخاصة في الخريف الماضي. هل لديك أدنى فكرة عن السبب؟

-

سبب ماذا؟ سبب انتقاله إلى سكن الطلبة أم سبب انتقاله من الأساس؟

-

إممم.. كلاهما.

-

لا. ليس من شأني التدخل في حياة الطلاب الشخصية. مدرسة "أكوريري" الثانوية هي أكبر مدرسة ثانوية داخلية في البلاد. نصف الطلاب من سكان البلدة، أمَّا النصف الآخر فمن أنحاءٍ أخرى في البلاد. من حقهم اختيار مكان سكنهم، بالإضافة إلى معرفتهم بقوانين المدرسة وانضباطها.

-

هل من المنطقي افتراض أن الطالب الذي يختار العيش خارج سكن المدرسة يبحث عن حريةٍ أكثر وانضباطٍ أقل؟

أجاب "ستيفان ماور" باختصار:

- كما تريد.

أعطتني سكرتيرة المدير قائمة بطاقم عمل المدرسة. لاحظت أن "كيارتان أرنارسون" يدرِّس علم الاجتماع. حاولت الاتصال برقمه في المدرسة، لكن ما من مجيب. راجعت السكرتيرة جدوله وأخبرتني أنه سيتفرغ بعد نصف ساعة. يتم تدريس علم الاجتماع في أحدث مبنى بالمدرسة، والمسمى "هولار" تيمنًا بأقدم أسقفية، أسقفية "هولار" في "هيالتاتالور".

علقت السكرتيرة:

- تأسست أول مؤسسة تعليمية أيسلندية في "هولار" منذ ثمانية قرون. تسمى "مدرسة المتعلمين"، وكانت ملحقة بالكاتدرائية.

أكملت تجوالي في الممرات. هناك طريقٌ طويل يقود من المبنى القديم إلى مبنى "هولار" الذي تتمحور حوله حياة التلاميذ. تقسيمات المبنى الجديد مختلفة؛ فالفصول وورش النشاط أكبر، والمكتبة أضخم. هناك صالة واسعة في الطابق الأرضي، أمَّا منطقة الاستقبال فموجودة في الطابق العلوي، حيث يملك الطلاب دواليب خاصة وشمَّاعات للمعاطف.

يتجول الطلاب في المدرسة أو يجلسون لشرب العصير وتناول وجبة خفيفة. جميعهم متفردون في ثيابهم وقصة شعرهم، فهذا الزمن يصح فيه كل شيء. لكنني مندهش لرؤية كثير من الطلاب يرتدون شباشب. في رأيي أن الناس الذين يرتدون شباشب في العمل عليهم البقاء في المنزل وحسب. لا يهم، إنها مشكلتي.

انتظرت خارج فصل "كيارتان" حتى انفتح الباب وخرج الطلاب جميعًا بمزاجٍ جاد. انتظرت حتى خرجوا جميعًا ثم دخلت الفصل ووجدت المدرس يمسح السبورة.

يبدو "كيارتان" مختلفًا عمَّا تخيلته استنادًا إلى صوته الشاب والفضيحة التي سببتها الفتاة. إنه في الخامسة والأربعين، وطوله أقل من المتوسط. يرتدي بذلة قطنية قديمة بنية اللون، وربطة عنقٍ رفيعة جدًّا حول الياقة البالية لقميصه الرمادي. وجهه زهري وملامحه صغيرة، ولحيته قصيرة، شعره أحمر وخشن.

يبدو "كيارتان أرنارسون" أشبه برجلٍ في منتصف العمر منه إلى رمز للإثارة الحسية للمُراهقات. نظر إليَّ بتساؤل، فذكرته بالفضيحة المحرجة كما فعلت مع المدير. ابتسم "كيارتان" بغرابة، وقال:

- لقد نفذت وعدك ولن أطالب بالمزيد.

ناقشنا باختصارٍ صدمة وفاة "سكارفيدين" بالنسبة للمدرسة والطلاب. بعد ذلك سألته إن كان يعرف الصبي المتوفى جيدًا، فأجاب:

-

كان في فصلي العام الماضي. إنه طالب مثالي. كان ناضجًا وذكيًّا فوق العادة. يمكنني وصفه بأنه متحضِّر. أظنه كان يعطي علوم الكمبيوتر الاهتمام نفسه الذي أعطاه للأدب وللعلوم الإنسانية.

-

لكن ماذا عنه شخصيًّا؟ كيف تصف شخصيته؟

ردَّ "كيارتان":

- لم أتعامل معه كثيرًا خارج الفصل. لكنه أعطاني انطباعًا أنه كان شخصًا روحانيًا أو روحًا شريدة. أعلم أنها مصطلحات غامضة، لكنني لا أجد وصفًا مناسبًا أكثر. كان مهتمًا بالماضي وبتاريخ أيسلندا...

استند على حافة مكتبه، ثم واصل:

- كان "سكارفيدين" أحيانًا يفكر مثل شخصٍ من الماضي البعيد. كان مسحورًا بـ"هولار" وتاريخها وموقعها في مركز شمال أيسلندا على مدى القرون، كما أنها منارة التعليم المتقدمة علي جامعات اليوم. لاحظ صلةً عجيبة وقوية بين المعرفة والقوة والتقدم. ما قصدته هو أن معظم زملائه يطمحون للدراسة الثانوية وما بعدها بسبب آمال آبائهم وضغطهم عليهم، أو لأن هذا ما سيفعله أصدقاؤهم ولا يوجد ما يفعلونه غير هذا.

صمت ونظر إلى ساعته، ثم قال:

-

أخشى أني تأخرت على اجتماع. هل انتهينا؟

-

حسنًا، لستُ واثقًا. هل يمكنني العودة إليك إن خطر على بالي شيء؟

أخذ "كيارتان" حقيبته من على مكتبه واتجه إلى الباب بعرجٍ خفيف:

- يمكنك ذلك. لكن إن أردت معرفة المزيد عن تفكير "سكارفيدين" في الحياة، تصفح الأرشيف الإلكتروني لجريدة "مورنينج نيوز". أظنه أرسل لهم مقالتين في الشتاء الماضي. واحدة عن التطور المحلي والأخرى عن الوطنية.

خرجت معه إلى الممر وقلت مودعًا:

- أتمنى أن ما تم نشره في الجريدة لم يضرك كثيرًا.

ابتسم لي بغرابةٍ مجددًا، وقال:

- بيني وبينك.. بعد كل هذه الضجة والطريقة التي حللتها بها، لاحظت أن هناك من يعتبرني جذابًا في عمري هذا.

في نهاية اليوم لم أرسل أي مقالٍ إلى مقر جريدة "أفتر نون نيوز" الرئيسي. بالطبع محرر الأخبار "تراوستي لوڤ" زمجر وعوى كقطٍ متوحش. وفي الوقت الراهن في "أكوريري" سمعت صوت "بال" وهو يعوي بإحباط في الطابق العلوي. نزلت السلالم لأغادر المبنى ثم سمعت صوت تحطيم آنية فخارية وصراخ.

وسمعت "أوسبيورن" يقول:

- عزيزتي "كارو"، "كارو" العزيزة.. اهدئي أرجوكِ.

14 الجمعة

"أريد التفكير في مفهوم الوطنية لكي تصحو في قلبي مشاعر نبيلة نحو وطني، ورغبة في المساهمة بما أستطيع عن إيمانٍ تام. وذلك لصالح بلادي وشعبها".

هذه هي مقدمة مقال "سكارفيدين" في جريدة "مورنينج نيوز". باقي المقال:

"الوطنية الحقيقية يجب أن تؤدي إلى التضحية. نحن نضحي بجهدنا وصحتنا وأملاكنا وراحتنا، وكل ما هو عزيزٌ علينا في سبيل الوطن، حتى لو كان الثمن حياتنا. الهدف هو تعليم شعبنا أن يعرف الحقيقة ويحبها، وأن يتصرف وفقًا لهذه المعرفة دائمًا. يجب ألا نعمل لمصالحنا الفردية إلا إذا كانت لصالح الأمة كلها ولوطننا. يجب أن نعطي الأولوية للعدالة والحب في جميع علاقاتنا الشخصية. علينا تكريس جهودنا لجعل أيسلندا موطن السعادة الحقيقية، والتطور الشخصي والاجتماعي، والمساواة، وللمؤاخاة، وعلى رأسها الحرية.

إن كانت هذه الفكرة عن الوطنية صحيحة، فمن الواضح أن شباب جيلي لا يمضون حياتهم في خدمتها. وأنا لست أي استثناء. أشك في أن الوطنية تدخل قلوب الشباب الأيسلندي إلا عندما تتفوق الفرق الرياضية في البطولات العالمية، أو عندما يقوم أحد المستثمرين الأيسلنديين بالسيطرة على عملٍ أجنبي. في هذه الحالات تظهر الوطنية بشكلٍ سلبي، أي في صورة قومية عدائية. وهذا بسبب العدوانية والغطرسة تجاه الدول الأخرى، وليس بسبب ولائنا الصادق نحو أمتنا. توصلت إلى أن العدائية نقيض الوطنية، كما الأنانية نقيض الحب.

يجب ألا نستمر بقبول العطايا التي يغمرنا بها الوطن، بل يجب أن نعطيه كما نأخذ منه. يجب أن نكرس حياتنا بأكملها لنصبح مواطنين ذوي انتماء".

قلت لنفسي إنه يتحدث مثل "جون كينيدي" في شبابه.

يتعلق المقال الثاني بالأقاليم والهجرة إلى المدن الكبيرة:

"من المؤلم لشباب الأقاليم رؤية ما يعتبرونهم أبطالهم من التكتلات التجارية والخدمات والصناعة ومصائد السمك يشترون كل ما هو ذو قيمة في المناطق الريفية بثمنٍ بخس ويتظاهرون أنهم سيستمرون بالعمل هناك ثم يجنون الأرباح كلها ويغلقون أعمالهم أو ينقلونها إلى مكانٍ آخر، حيث ينضمون إلى شركاتٍ أكبر، أو إلى السوق، حيث يربحون مكاسب أكبر. هل يمكن لهذا التصرف أن يجعل الشباب يأملون في الحصول على حياةٍ كريمةٍ بالبقاء في الريف؟ بالطبع لا. وهذا ليس هدفهم أصلاً. إنهم يريدون أن يزداد الغنى ثراءً، ويعاني الفقراء والمساكين ليتدبروا أمرهم. إنها الغاية التي تبرر الوسيلة. في الواقع، من المفاجئ أن الشباب ما زالوا يرغبون في البقاء في الريف وقرى الصيد. السبب الذي نأمله هو يقينهم من أن الاقتراب من المدن يعني الابتعاد عن الأقاليم وعن أصولنا وعن جوهرنا كأيسلنديين".

مكتوبٌ تحت المقالين:

"الكاتب هو طالبٌ بمدرسة "أكوريري" الثانوية، وهو مهتمٌ بصدق بمستقبل الشعب الأيسلندي".

نشر المقالان منذ عامٍ واحدٍ. دعوته للتضحية بالذات لا تتوافق مع الفردية التي دافع عنها

"سكارفيدين" بشدة في مقابلتي معه بشأن مسرحية "الساحر لوفتر". هذا الشاب المفكر المهتم حقًّا بالبلاد والأقاليم يبدو للوهلة الأولى شابًا يفضّل الحرية على الانضباط، كما أنه يظهر في الحفلات مرتديًا مثل السحرة. لكنني أذكر بالطبع مدى السرعة التي تتغير بها الآراء وأساليب الحياة والفلسفة هذه الأيام.

ربما كان "سكارفيدين" ببساطة يحب المرح كما قالت زميلته. ربما شعر بضرورة تجربة أمورٍ جديدة طوال الوقت. أو ربما قد عنى كل كلمةٍ بصدقٍ وإخلاص. ربما لم ألحظ بعد الصلة بين الكلام.

لكنني أتذكر أنه، بينما كنت أقود مع "يوا" عائدين إلى "أكوريري" بعد عملنا في "هولار"، كان هناك أغنية في الراديو مهداة لـ"سكارفيدين" وفريق المسرح. غنها أغنية "موسم الساحرة" التي تدور حول حتمية أن يتمتع الإنسان.

"وجدتني مزيجًا من الشخصيات

هذا غريب، حقًّا غريب...".

شيءٌ واحد مؤكد، وهو ألا شيء مؤكدًا.

فتحت أرشيف جريدة "مورنينج نيوز" وكتبت اسم "إنيا بينا" في محرك البحث. لا أتذكر لقب عائلتها. واسم "إنيا لينا" قد يكون تصغيرًا. بأي حال، لم أجد نتائج للبحث. يبدو أنه عليَّ استئجار فيلم "ستريت رايدر" مجددًا وأتفحصه جيدًا.

اليوم جنازة "أوستيس بيورك جوتمونتستوتير"، وهناك ثلاثة مقالات تأبين عنها في الجريدة. قرأتها باهتمام، لكنني لم أستفد شيئًا. إنها مجرد نعي عادي.

كانت "أوستيس بيورك" امرأة صالحة، احتضنت زوجها وابنها. كما لعبت دورًا فعالاً في إدارة عمل العائلة، مصنع "يام" للحلوى. دونتُ بسرعة اسم الابن؛ "جوتمونتور أوسجيرسون"، 25 عامًا، خبير اقتصادي.

تولت "يوا" كل الأعمال في المكتب اليوم. يأتي "أوسبيورن" ليتفقد الوضع بوجهٍ غاضب. بالكاد يتكلم قبل أن يعود مجددًا للطابق العلوي.

استغليت الفرصة لأدخن كما يحلو لي في المكتب.

لكن هذا لم يصفِ ذهني.

ما زلت مترددًا بشأن الاقتراب من عائلة "سكارفيدين". نظرت مجددًا إلى قائمة أعضاء فريق المسرح وأرقامهم التي أعطتني إياها "أويوستا". رد البريد الصوتي على أول رقم، لكنني لم أترك رسالة. أما الرقم الثاني فما من مجيب. والرقم الثالث رفض صاحبه التَّحدُّث إليَّ. صاحب الرقم الرابع هو "فريدريك إينارسون". ظهر في المسرحية بشخصية "أولافيور" صديق طفولة "لوفتر" ومساعد كبير الخدم في "هولار". لم يرغب في مقابلتي، لكنه وافق على إجابة بعض الأسئلة على التليفون. أخبرته أنني سأكتب مقالاً عن الفتى المتوفى والساعات الأخيرة من حياته.

قال بصوتٍ أجشَّ:

"سكارفيدين" كان صديقي. لن أرفض المساعدة على كشف ملابسات ما حدث له إن كنت أستطيع. لكنني أخبرت الشرطة بما أعرفه بالفعل.

-

ربما سيفيد المقال عندما يُنشر، قد يعيد بعض الذكريات أو يظهر بعض الأدلة. من يعلم؟

ردَّ:

-

من يعلم؟ لا أحد يعلم شيئًا.

-

إلى حدٍ ما. كيف تصف "سكارفيدين"؟

-

كان صبيًّا غريبًا...

صمت قليلاً، ثم قال:

- مهلاً، انتظر. يجب أن لا أصيغها هكذا ما دمت ستنشر كلامي. سأبدأ من جديد. كان شخصًا استثنائيًّا، يحسن معاملة أصدقائه بشدة، ولا يسبب للمتاعب. كان عبقريًّا ومثقفًا. أحب قراءة كل شيء. الفتى كان موسوعة بشرية لعينة...

توقَّف ليقول:

-

لا تكتب "لعينة".

-

كيف التقيتما؟

-

ذهبنا إلى المدرسة الابتدائية معًا.

-

هل كانت "أكوريري" مسقط رأسه؟

-

لا فكرة لديَّ. لم يتحدث "سكارفيدين" عن ماضيه قط. كان يعيش الحاضر فقط. نعم، هذا أنسب وصفٍ له.

-

هل تمتع بشعبية كبيرة؟

-

نعم، كان الزعيم. هل تفهم قصدي؟

-

هل تعني القائد المسيطر؟

-

نعم. عندما يقرر فعل شيء، يجب أن يتم. وإن رفض شخصٌ الانضمام له، تبًّا له إذًا!

-

"تبًّا له"؟ هل هذا ما يقوله لمن يرفض اتباعه؟

-

لا، لا. لا تكتب "تبًّا له". لكنه لم يهتم بالضعفاء والحمقى. هل فهمت؟

-

هل جعلك "سكارفيدين" تنضم إلى فريق المسرح؟

-

نعم، بالطبع. لم أكن لأفكر أبدًا في الانضمام. سحقًا، لقد أصبح الأمر كارثيًا يا رجل!

-

هل كان لديه حبيبة؟

-

لم تنقصه الفتيات يومًا. كان يمكنه اختيار من يريد. جميعهن تهافتن عليه من فتياتٍ وشابات. حتى النساء في الأربعين من عمرهن كن يدعونه للنوم معهن.

-

لكن هل كانت لديه حبيبة معينة عندما تُوفي؟

-

لماذا يختار "سكارفيدين" لنفسه فتاة واحدة فقط؟ كان يواعد عدة فتيات في الوقت ذاته. أي شخصٍ في مكانه كان سيفعل.

-

هل هذا ما قاله؟ هل تقتبس كلماته؟

-

أظن ذلك. كان يتعامل مع الأمر بطبيعية.

-

هل لاحظت شيئًا غير عادي في اليوم أو المساء الذي سبق اختفاءه؟

-

لا. لكنه كان متألقًا في الحفل.

-

وهل هذا غريب؟

-

هل أنت مجنون؟ بالطبع لا، لقد كان دومًا رجل الحفلات.

-

هل كان سكرانَ في حفلة "أويوستا"؟

-

كان يمرح فقط.

-

هل تعاطى المخدرات؟

ارتبك "فريدريك" لأول مرَّة، وقال:

-

إن فعل فلن أخبرك أبدًا. أبدًا.

-

ماذا عن الفستان الذي ارتداه؟

-

هل تعني عباءة السحرة؟

-

نعم. لماذا ارتداه؟

-

أراد ذلك وحسب. سألته فقال لي: "شعرت الليلة بأنني ساحر، لهذا ارتديت مثل السحرة". كان يتصرف بتلقائية يا رجل!

-

إذًا، لقد رقص وسكر، صحيح؟

لم يُجِب عن السؤال، لكنه قال:

-

قفز على المائدة وصاح في الجميع: "سأرتدي خوذة الرعب أمامكم جميعًا"! لم أفهم ماذا يقصد بكلامه. ما هي "خوذة الرعب" أصلاً؟

-

لا أعرف. هل فعل شيئًا آخر تلك الليلة لم تفهمه أيضًا؟

-

لا أذكر. كنت منتشيًا تمامًا ومندمجًا في الحفل. تفهم ما أعني طبعًا.

-

إذًا...

قاطعني "فريدريك" قائلاً:

- مهلاً، تذكرت شيئًا. أتذكر أنه مد يده تحت العباءة وجذب شعرةً من حوضه.

انفجر ضاحكًا وهو يقول:

-

تبًّا يا رجل! لقد مد يده تحت العباءة وسحب شعرةً من حوضه! يا له من فتى!

-

ماذا؟ عن ماذا تتحدث؟

-

كما أخبرتك. كان "سكارفيدين" شابًا لا يُصدق. سحقًا، كان غير معقول.

-

نعم، يبدو هذا. لكن لماذا فعل ذلك؟

-

لا أعرف. لقد فعلها وحسب.

-

إذًا، لم يكن يرتدي شيئًا تحت العباءة؟

-

إما أنه كان عاريًا أو يرتدي ملابس داخلية، كيف لي أن أعرف؟! لم أخلع ثيابه تلك الليلة.

"تلك الليلة"؟ ربما فعلها في ليلةٍ أخرى. سألته:

-

وماذا فعل بشعرة حوضه؟

-

ذهبنا إلى الحمام. جذب "سكارفيدين" رمشًا، ثم وضع الشعرتين في وعاءٍ صغير وأشعل فيهما النار. بعد ذلك أخذ الرماد في يده وعاد إلى الحفل. ثم ذهب إلى إحدى الفتيات ونثر الرماد في مشروبها. هاهاها!

-

و؟

-

إنها لم تلحظ حتى. لم يكن لديها أدنى فكرة لعينة!

-

من تلك الفتاة؟

-

لا أتذكر. مجرد فتاة، كلهن عاهرات.

-

هل أخبرت الشرطة؟

-

لا. ماذا أخبرهم؟ "سكارفيدين" كان يمزح وحسب. لطالما فعل أشياء غريبة.

-

هل نسيت وحسب؟

-

سحقًا! نعم، نسيت.

-

هل تعرفت على جميع من بالحفل؟

-

لا أذكر. كان هناك أعضاء المسرحية وذلك المخرج الحقير. لم أتذكر اسمه قط.

-

"أورفار باوتل".

-

نعم، "أورافر باوتل". كنا يتجادلان كالعادة.

-

"أورفار باوتل" و"سكارفيدين"؟

-

وحسم "سكارفيدين" الجدال كالعادة.

-

لماذا تجادلا؟

-

بسبب المسرحية كما أظن. المخرج الحقير كان يصر على أن نرتاح من أجل اليوم التالي وليلة العرض الأول. كان يحاول إنهاء الحفل.

أتذكر قول المخرج بإنه رأى "سكارفيدين" يصل أثناء مغادرته. شعرت بالفتى يتوتر عندما طالت المحادثة فسألته:

-

هل أنت واثقٌ من أن "سكارفيدين" وصل قبل مغادرة "أورفار باوتل"؟

-

تقابلا عند الباب وتجادلا مباشرةً.

-

هل طال الجدال؟

-

"سكارفيدين" كان يستطيع إخراس ذلك الأحمق العجوز دومًا. لا مشكلة.

-

هل تجادل مع شخصٍ آخر تلك الليلة؟

-

كيف لي أن أعرف؟ لم أكن ملتصقًا به طوال الليل.

-

إذًا، سارت الأمور بهدوءٍ وسلام؟

-

مهلاً، ظهر بعض الفتيان الذين لا أعرفهم. لكن "سكارفيدين" كان يعرفهم وطردهم.

-

"سكارفيدين" طردهم؟

-

نعم، سحقًا! ركلهم خارجًا.

-

كيف كان شكلهم؟

-

شكلهم؟ كيف لي أن أعرف يا رجل؟ أحدهم كان يربط شعره الأشقر ذيل حصالن. جسده مليءً بالجروح والكدمات لدرجة أنه كان يسير بصعوبة. وأسنانه الأمامية كبيرة كأسنان الأرنب.

-

هل أخبرت الشرطة عنهم؟

-

نعم.

-

متى غادر "سكارفيدين" الحفل؟

-

وما أدراني بحق الجحيم؟! كنت في إحدى الغرف أضاجع عاهرة. كل الغرف كانت مشغولة يا رجل. "أويوستا" كانت تضاجع شابًا بجموحٍ تام على سرير والديها.

-

من الشاب الذي ضاجعته؟

-

هل تظنني سأخبرك لو أنني أعرف؟ في أحلامك.

-

كيف عرفت أنها ضاجعت شابًا في غرفة والديها؟

-

سمعت أصواتهما.

-

ربما كانت تضاجع "سكارفيدين"؟ فأنت لا تعرف متى غادر.

لم يرد "فريدريك". في تلك اللحظة بدأت أشك في مصداقيته، فقلت:

- حسنًا، كان حديثًا لطيفًا. شكرًا جزيلاً.

سمعته يتنشق شيئًا. لا أعرف ما هو.

بدا عصبيًّا فجأة، وقال:

- لا تقل إنني أخبرتك بشيءٍ أبدًا. مفهوم؟

أكدت له:

- لا مشكلة.

ثم سألت هذا الطالب الذي بدا مختلفًا تمامًا عمَّا وصفه المدير:

-

ما أخبار الدراسة؟

-

لا تحدثني عن المدرسة الثانوية اللعينة. كان "سكارفيدين" ينقذني دومًا في الامتحانات والواجبات.

صمت قليلاً ليتنشق شيئًا ثم واصل:

- لا أعرف ماذا سأفعل دونه الآن.

من كان "سكارفيدين فالياردسون"؟ كلما سمعت عنه ابتعدت عن الحقيقة. وكلما عرفت عنه قل فهمي له.

حاولت إخبار "تراوستي لوق" بهذا. أخبرته أنني لم أستعد بعد لنشر مقال عن "سكارفيدين"، ولا فكرة لديَّ متى يمكنني ذلك. كان رد فعل "تراوستي" متوقعًا بالطبع.

سئمت من المشاحنة معه، لذلك اتصلت بـ"هانس". ليس لأشتكي من "تراوستي"، بل

لأحصل على الإذن من سلطةٍ عليا كي أواصل عملي على أساسٍ متين وليس اتفاقًا شفويًا.

سمعت "هانس" يتنهد من الإرهاق أو ضغط العمل، ثم قال:

- سأتحدث إلى "تراوستي". يمكنك التركيز على القضية وحدها الآن إلى أن يجد جديد.

نظرًا لمزاج "أوسبيورن" اليوم، لم أجرؤ على مكالمته أو الصعود إليه لأطلب منه الوساطة المعتادة مع "أولافيور جيسلي". فكرت في هذا المأزق بينما أدخن، وفجأة سمعت نحيبًا من صالة الاستقبال. ظهر "أوسبيورن" على الباب ومعه "بال". بدا منهكًا أما الكلب فبدا عصبيًا.

قال:

- "إينار"، هل يمكنك الحد من التدخين؟ إنه يثير جنون "كارو". تقول إنها تعجز عن فتح الدواليب أو الاستلقاء على السرير دون أن تغمرها رائحة الدخان. إنها تراه يتسرب من بين ألواح الأرضية.

لا أعرف هل أضحك أم أصرخ في وجهه غاضبًا. قلتُ:

- آسف. هل رأيت سحب الدخان بنفسك؟

هزَّ رأسه، وقال:

- لستُ واثقًا. لكنها في حالة بائسة للغاية يا "إينار". أي شيءٍ يزعجها.

ألقيت سيجارتي من النافذة فاصطدمت بالجدار المقابل لها، وقلتُ:

-

هل يزعجها أمرٌ محدد؟ ما عدا تلوث الهواء الذي أسببه أنا.

-

نعم، هناك شيء. لكنني لا أعرف ما هو. "كارو" حساسة جدًا.

-

لذلك سأحرم من متعتي الأخيرة والوحيدة؟

ردَّ "أوسبيورن" معترضًا:

-

لا، لا.

-

حسنًا، لا مشكلة. إنه إزعاجٌ آخر وحسب.

-

فقط حاول أن تكون حذرًا مع متعتك اللعينة. فأنت لست وحدك في هذا العالم يا "إينار".

-

هل أنت واثق؟

-

بالنسبة لشخص يثرثر دومًا عن إساءة الإنسان إلى البيئة وتلويثه للطبيعة، يجب أن تستطيع مراعاةً البشر من حولك.

عليَّ الاعتراف بأنني لم أفكر في الأمر هكذا. لكن "أوسبيورن" كان يفكر في شيءٍ آخر بالإضافة إلى تعنيفي الشديد.

ربت على الكلب المضطرب ليهدأ، وقال:

- أتذكر "بيورج"؟ إنها الفتاة التي وجدت "بال". إنها تأتي كثيرًا لتراه وهو يحبها جدًّا. هذا يزعج "كارو" تمامًا. كاد يغمى عليها من الضغط العصبي بعدما رحلت الفتاة. لا أعرف حقًا...

كنت أتساءل عن سبب الغضب المشتعل بالطابق العلوي. كنت واثقًا من أنها بعض المشكلات العاطفية. لقد بدأت بعد وفاة "سكارفيدين" مباشرةً. عرفت أن الفتى لعوب وزيرٌ للنساء من جميع الأعمار. هل يعقل أن "كارو" كانت على علاقةٍ به؟! من الأفضل تغيير الموضوع. قلتُ:

- "أوسبيورن"، أحتاج إلى الاتصال بـ"أولافيور جيسلي" لأسأله عن شيءٍ سمعته اليوم.

أخبرته عن محادثتي مع "فريدريك"، دون ذكر الجزء الخاص بشعرة الحوض.

تمكنت أخيرًا من التَّحدُّث إلى المأمور في العاشرة مساءً، لكنني لم أجد أخبارًا عن التحقيق في وفاة "سكارفيدين فالياردسون". كان "أولافيور جيسلي" في المنزل. قال:

- إنها المرة الأولى التي أعود فيها إلى المنزل قبل منتصف الليل منذ أسبوع.

تنهَّد وأخبرني عن كرات اللحم الشهية التي أعدتها له زوجته على العشاء، وهو يهضمها

تمامًا الآن.

أجبته ساخرًا:

- أعدَّت لي زميلتي بالغرفة طعامًا نباتيًا من البذور. رائع، هذا الطبخ الأيسلندي القديم غني بالألياف ويحافظ على توازن الجسم.

لم يرد، مؤكد يحمد الله على طعامه. ثم قال:

-

أخبرني "أوسبيورن" عن محادثتك مع الفتى الذي قام بدور "أولافيور". ما رأيك به؟

-

إنه ليس الزعيم، لكنني أشعر بأنه متورطٌ بالمخدرات.

قال "أولافيور جيسلي" معلقًا:

-

أوافقك. كنا نحقق بجديةٍ بشأن هؤلاء البلطجية من "ريتارجيرتي". نعرف من شهودٍ آخرين غير هذا الشاب أنهم كانوا في الحفل وتشاجروا مع "سكارفيدين".

-

هل لديك فكرة عن السبب؟

-

لا، لا يزال الأمر غامضًا. إياك أن تذكر حرفًا عن الأمر وإلا عرفوا أننا نشتبه بهم.

-

هل أوشكت على اعتقالهم؟

-

ليس بعد. ربما نستدعيهم للاستجواب. سنرى بهذا الشأن. لا تنشر شيئًا بعد. لا تنشر شيئًا ممَّا أخبرتك به هذا المساء.

تعليقه الأخير لم يكن أمرًا، بل حقيقة مطلقة.

أجبته:

-

سيدي، سأطيعك في السرَّاء والضرَّاء. هل يمكنني أن أسألك سؤالاً؟

-

إياك أن يكون سؤالاً سخيفًا لعينًا.

-

هل تعرف إن كان "سكارفيدين" قد تعاطى شيئًا قبل موته؟ خمور أو مخدرات؟

-

مطلقًا. كان جسده نظيفًا تمامًا. السؤال التالي.

-

ألا تعرف إن كان قد نام مع فتاة قبل وفاته أم لا؟

-

لا يمكن معرفة ذلك، ليس من خلال الطب الشرعي بأي حال. فالجثة محترقة تمامًا.

-

ماذا كان يرتدي قبل وفاته؟

-

يرتدي؟ هل نسيت أن الجثة كانت مشتعلة؟

-

هل احترقت ملابسه عن آخرها إذًا؟

-

ليس تمامًا. وجدنا قطعًا من نسيجٍ أسود خشن.

-

هل يمكن أن يكون فستانًا أو عباءة، أو ما شابه؟

-

محتمل جدًّا.

-

هل وجدتم شيئًا آخر؟

-

محتمل جدًّا أيضًا. وجدنا شريطًا لاصقًا أبيضَ ملتصقًا بالنسيج على شكل رمز. رمحان ثلاثيان متقاطعان.

-

ما هذا بحق الجحيم؟

-

اتصل رجال المعمل الجنائي بخبيرٍ في الرموز القديمة وتحدث إليه هذا المساء. قال إنها علامة سحرية على الأرجح. أرسلت إليه الرمز بالفاكس ثم رد عليَّ.

-

وماذا قال؟

-

قال إنها حتمًا علامةٌ سحرية معروفة باسم "خوذة الرعب".

سألته قبل إنهاء المكالمة:

-

هل من شيءٍ آخر؟

-

لا شيء. تلقينا بلاغًا اليوم بشأن انتحارٍ آخر اليوم.

-

ما السبب؟

-

الاكتئاب والمخدرات.. المخدرات والاكتئاب. المأساة التقليدية المعتادة.

-

من المنتحر؟

-

طالبة في الثانوية تدعى "سولفيج" أو "سولرون"، أو ما شابه.

15 السبت

قبل دخولي المدرسة الثانوية تعلّمت درسًا لستُ واثقًا منه. وهو ضرورة بذل الجهد للوصول إلى النتائج وعدم الانخداع بظواهر الأمور. لذلك بدأت يومي بالاتصال بقسم الشرطة، وسألت عن الضابط المسؤول عن قضية انتحار "سولرون بياركاتوتير". إنها الفتاة التي أجابت على "سؤال اليوم" في ميدان البلدية. قابلت الشرطية التي التقيت بها حين أتيت إلى قسم الشرطة من قبل.

أوضحت لي:

-

تعاطت جرعةً زائدةً. بدأت في التعاطي منذ سنة كما عرفنا.

-

ماذا تعاطت؟

-

لم نحصل على نتائج التحاليل بعد، لكننا وجدنا علبًا فارغة لمهدئات ولحبوب السعادة.

-

هل هذه الحبوب موصوفة من الطبيب؟

-

بعضها.

-

ماذا عن الأدوية غير الموصوفة؟ من أين أتت؟

-

هناك كمية كبيرة من العقاقير الموصوفة في السوق. ليست أقل من المهربة. بعض الأطباء مهملون في وصف كمياتٍ كبيرة للمدمنين. وكثير من العقاقير الموصوفة تدخل إلى السوق بطرق غير مشروعة. فمثلاً منذ بضعة أسابيع تمت سرقة كمية ضخمة من الأدوية من صيدلية في البلدة. واختفت عقاقير من المستشفى. وهناك أيضًا المواد المهربة. إساءة استخدام العقاقير الموصوفة أصبحت طريقة شائعة الآن لتعاطي المواد غير المشروعة.

-

ألم تجدوا علاماتٍ لاستخدام العنف؟ ألا توجد دلائل على أي شيءٍ عدا الانتحار؟

-

في حالة "سولرون"؟ لا، مطلقًا.

-

أين وجدتموها؟

-

في غرفتها بسكن الطلاب.

-

هل هي من مواليد "أكوريري"؟

-

لا، من "ريكيافيك".

لا يمكنني التفكير في أسئلةٍ أخرى، لذلك شكرتها على المساعدة:

- لن أكتب شيئًا عن الانتحار بطبيعة الحال. أنا أحقق فقط في أزمة تجارة المخدرات هنا في الشمال.

أجابت الشرطية:

- ابدأ فورًا إذًا، فلديك كثير من العمل.

تساءلت ماذا أفعل الآن، وفكرت في ثلاثة احتمالات.

هل أتصل بـ"كيارتان أرنارسون" مدرس الثانوية؟ أم "بيورج جوترونارتوتير" التي تعرف القليل فقط عن "سولرون"؟ هل أحاول تتبع الفتاتين اللتين كانتا مع "سولرون" يوم فقرة "سؤال اليوم" في الميدان؟

لا أرى فائدة حاليًا في متابعة هذا الطريق. المخدرات والانتحار.. الانتحار والمخدرات. إنه روتين ممل ومضيعة للوقت، كما كان ليقول "فريديك" المنتشي. لكنني أشعر بالحزن لأن الفتاة الشابة التي اقترفت غلطة سخيفة اقتنعت بتفاهة حياتها وقضت عليها.

في النهاية اتصلت بالأستاذ الفخري العجوز المتخصص في الرموز الأيسلندية القديمة.

حصلت على اسمه بعدما اتصلت كثيرًا بأعضاء المجتمع الأكاديمي.

قال:

- "خوذة الرعب"؟ لماذا بحق السماء تهتم الصحافة الصفراء فجأة بالرموز القديمة؟ ألا تملكون أخبارًا فعلية تنشرونها؟

سئمت حقًّا من تسميتنا الصحافة الصفراء. أجبته:

- أنا أبحث فقط عن بعض المعلومات.

طالب الأستاذ "إنكيمونتور كيارتان":

-

لماذا؟ هل يهتم أحدٌ بأي شيءٍ عدا المال هذه الأيام؟

-

حسنًا، لا أعلم إن كان السحر يتضمن المال. ليس في هذه الأيام. لكنني أسأل لأن بعض طلاب الثانوية هنا في "أكوريري" ظهروا وهم يضعون رمز "جمجمة الرعب". وبعد إظهار اهتمامهم ذلك بقليل قُتِل أحدهم.

صمت "إنكيمونتور"، ثم قال:

-

هل تعني الشاب الذي وجدوه في مقلب القمامة أثناء عيد الفصح؟

-

هذا صحيح.

-

يا إلهي.

نعم، تبًّا. سألته:

- ماذا يمكنك إخباري عن هذا الرمز؟ "خوذة الرعب"؟

تحدث "إنكيمونتور" ببطء:

-

الكثير إن كنت مهتمًا. أولاً، "خوذة الرعب" ليس رمزًا سحريًّا بالضرورة. فالكلمة يمكنك استخدامها بالمعنى الحرفي، أي خوذة أو قناع يبث الرعب في قلب العدو. لكن تم ذكر هذا الرمز في كثير من المصادر، خاصةً في القرن السابع عشر. ارتبط به عديد من القوى والصفات المختلفة. يتكون رمز "خوذة الرعب" من رمحين ثلاثيين متقاطعين. ماذا فعل هذا الطالب بـ"خوذة الرعب"؟

-

لا أعرف بالضبط للأسف. لكنه قال في حفلٍ إنه سيرتدي "خوذة الرعب" أمام الجميع.

قال وهو يكتم ضحكته:

- هل قال ذلك حقًّا؟ هذه الجملة لا تتعلق بالرمز السحري. معنى "ارتداء خوذة الرعب أمام الآخرين" هو التفوق والرئاسة عليهم. هل هذا كل شيء؟ هل هذا ما أردت معرفته مني؟

أجبته:

-

أعرف الجملة، وأعلم ماذا تعني. لكن لديَّ مزيد من الأسئلة. كان يرتدي عباءة أو فستانًا ألصق عليه الرمز السحري.

-

ما هذا الهراء؟ إنه مجرد فتى ارتدى زيًّا للمزاح!

-

لا، هناك مزيد. فهو لم يرتدي زي "بابا نويل" أو "سوبرمان".

لم يرد. لست واثقًا إن كان يعرف من "سوبرمان" أصلاً. أكملت:

- لقد مد يده تحت العباءة وجذب شعرةً من حوضه.

اضطرب تنفُّس الأستاذ فيما أواصل:

- ثم جذب رمشًا وأشعل النار في الشعرتين. بعد ذلك وضع الرماد في كوب فتاة.

حلَّ صمتٌ تام، فأضفت:

- دون أن تلاحظ.

صمت الأستاذ مفكرًا، ثم قال:

-

هذا مثيرٌ للاهتمام. يبدو أن الشاب كان يستخدم بعض المعرفة السطحية للرموز السحرية كلعبةٍ في الحفل لأغراضه الخاصة. على حد علمي قد يكون ما فعله الصبي نوعًا من تعاويذ الشهوة الحسية لجذب أو إغواء فتاة.

-

مثلما نضع مخدرات أو عقاقير في الشراب؟

تنشق "إنكيمونتور" الذي ظن أن السؤال يتعلق بالأعراف الاجتماعية ثم قال:

-

لا أعرف، فأنا لا أنضم إلى هذه الدوائر الاجتماعية. وهكذا يستخدم مصطلح "خوذة الرعب" في سياقٍ مختلف ومعقد. الشخص الذي يرغب في استخدام السحر لإغواء امرأة يجب أن يكون صائمًا. ثم عليه أن يرسم دائرة بلعابه على كفه. بعد ذلك يصافح كف الفتاة اليمنى. من المفترض أن تعمل قوة الرمز من خلال انتقال سوائل الجسم. قيل إن اللعاب يمثّل السائل المنوي، وبذلك تمثل المصافحة المضاجعة. يمكنك الملاحظة أن الفتى ليس خبيرًا، بل اختار التباهي. على الأرجح ظن أن الأمر سيجعله "مدهشًا" أمام أصدقائه كما يقولون هذه الأيام. لكن نية الطقس الأصلي كما هي.

-

تعني أن "يلتقط" فتاة يضاجعها؟

-

سمها هكذا إن أردت. لحظة سأحقق في الأمر.

انتظرت بضع دقائق، بينما يبحث "إنكيمونتور".

-

ها هو ذا. "كتاب السحر" هو مخطوطة من القرن السابع عشر، ويقول عن "خوذة

الرعب": "يجب أن تصوم ثم تصنع بلعابك هذا الرمز على كفك قبل مصافحة المرأة التي ترغب بها. يجب أن تكون اليد اليمنى". نعم، كما أتذكر تمامًا. لكن ذلك الشاب لم ينفذ الطقس بحذافيره، صحيح؟

-

ليس على حد علمي.

-

هناك كثير من تعاويذ الشهوة القديمة، لا داعي لذكرها. لكن "خوذة الرعب" كان رمزًا سحريًا له قوة فريدة. ليس بسبب تأثيره الشهواني، بل لأنه يحطم مقاومة من يسيطر عليه لصالح المشعوذ. قد تكون مقاومة قوة شريرة أو عدو، وأقلها مقاومة امرأة يشتهيها. وهكذا رمز "خوذة الرعب" لم يكن مجرد سبيلٍ لإشباع الرغبة فقط. قيل إنه استُخدم لأغراضٍ طبية. أتذكر أن رجلاً ادعى استخدامه لشفاء الماشية من الأمراض. في الواقع، لقد قاموا بحرقه بسبب ممارسته لما سمُّوه "الطب المحرم" في القرن السابع عشر. يا له من شابٍ مسكين. هذه الأيام يسمونه "الطب البديل" ويربحون ثروة.

-

هل أحرقوه وهو مربوطٌ على الوتد؟

-

نعم، أحرقوه على الوتد. هكذا كانوا يقتلون السحرة والساحرات.

قال الأستاذ بضحكةٍ مكتوبةٍ:

-

لا أظن ذلك سيساعدك في حل قضية القتل، لكن...

-

نعم؟

-

من المثير للاهتمام أن ذلك الشاب آمن حقًّا بقدرة السحر عمومًا، وبـ"خوذة الرعب" خصوصًا. إنها علامة سحرية ذات قدراتٍ متناقضة لبث الرهبة أو الرغبة أو لشفاء المرضى. لكنه كان يتسلى على الأرجح، كما يقولون.

-

في الواقع، كان من المفترض أن يلعب دور البطولة في مسرحية "الساحر لوفتر" مع فريق المسرح بالمدرسة الثانوية.

-

فهمت. هذا يفسر اهتمامه بالسحر القديم. هذا منطقي.

لكنني لستُ واثقًا أبدًا.

أخيرًا سألني:

- من باب الفضول فقط، كيف سار الأمر مع الفتى؟ هل نال غرضه مع الفتاة؟

* * *

نشرت الشرطة خبرًا هذه الظهيرة مفاده أن رجلاً في العشرين من عمره من سكان "ريتارجيرتي" تم استدعاؤه لاستجوابه بشأن مقتل "سكارفيدين فالياردسون". إنه "أكنار هانسين".

قال "أولافيور جيسلي":

-

إنه ينكر كل شيءٍ بطبيعة الحال.

-

لكنه لا ينكر وجوده في "أكوريري" أو الحفل بالطبع، صحيح؟

-

لا، لا يمكنه إنكار ذلك. لكنه ينكر أي تورطٍ في اختفاء أو وفاة "سكارفيدين".

-

كيف تعرف "أكنار" إلى "سكارفيدين"؟

-

لم يقل شيئًا عن معرفته به. زعم أنه واثنين آخرين سمعوا بوجود حفلٍ في منزل "أويوستا ماكنوستوتير" فذهبوا دون دعوة.

-

إذًا، لقد ذهبوا من تلقاء أنفسهم؟

-

بالضبط.

-

ماذا عن الاثنين الآخرين؟

-

ما زال "أكنار" يرفض إخبارنا عن هويتهما. يزعم أنه نسي.

-

إذًا، هو الوحيد الذي نعرف هويته؟ أعني بصفته مفسدًا للحفل.

-

حتى الآن. لكن لدينا بعض الخيوط التي تقودنا إلى الاثنين الآخرين. سنحضرهما خلال بضع ساعات.

-

هل هم من "ريكيافيك" أيضًا؟

-

نعم، بالطبع. إنهم عُصبة "أكنار" الصغيرة. عصابة مزيفة تقلد المجرمين.

-

هل ستعتقل "أكنار"؟

-

نحن نعمل على ذلك. يفترض أن نستعد لذلك هذا المساء. وإياك والتفوه بكلمةٍ قبل ذلك.

-

لا، بالطبع لا. ماذا تذكَّر "أكنار" عن الحفل؟

-

قال إنه غنى أغنية لضيوف الحفل الآخرين. اسمها "من وضع شظايا الزجاج في الفازلين؟".

-

"من وضع شظايا الزجاج في الفازلين؟".

-

نعم، سؤال لا بأس به. من وضع شظايا الزجاج في الفازلين بحق الجحيم؟!

أطلقنا ضحكة جافة على الدعابة، ثم تابعنا كلامنا.

- هل هذا كل ما يتذكره؟

أجاب ساخرًا، وهو يضحك:

-

يسمونه "فقدان الذاكرة الانتقائي" على ما أظن. لكنه ذكر مواجهته مع "سكارفيدين" وسخريته منه بشأن العباءة أو الفستان أو أيًا كان ما يرتديه.

-

هل حدث هذا بعدما غنى؟

-

نعم، ولهذا السبب طرده "سكارفيدين".

-

هل تظنه يقول الحقيقة؟

-

لا أصدق حرفًا منه. لكن إن حالفنا الحظ سنعرف للمزيد إذا ضغطنا عليه وعلى عصابته.

-

يبدو "سكارفيدين فالياردسون" شخصًا معقدًا. كلما حاولت فهم شخصيته بالكامل أجد نفسي مشتتًا.

-

وأنا أيضًا.

-

ماذا عن والديه؟ ترددت في الاتصال بهما. لم يحن الوقت بعد، صحيح؟

-

نعم، أظن ذلك. إنهما في حداد، ولم يدفنا جثة ابنهما بعد. من الواضح أنهما لم يتصلا بأحدٍ مؤخرًا. يا لها من صدمةٍ رهيبةٍ.

-

والأصعب أنهما كانا منفصلين عنه، صحيح؟

-

نعم، ربما تكون محقًّا. إنهما شخصان في منتصف العمر لا يستوعبان ما حدث لابنهما. لا يدركان نوع العنف الذي تعرض له ابنهما قبل وفاته.

-

ماذا يعملان؟

-

الوالد معاق. لا أذكر ماذا كان يعمل في السابق، لكن الأسرة تعرضت لصعوباتٍ منذ عشر أو خمس عشرة سنة، وأفلسوا تمامًا. الوالدة ممرضة مجتهدة كما سمعت. وهي تعيل العائلة بأكملها بالطبع.

-

هل كان "سكارفيدين" طفلاً وحيدًا؟

-

لا، لديهما ولدٌ أصغر منه. في السادسة عشرة كما أظن.

صمتنا لفترةٍ، ثم سألته:

-

هل يمكنني أن أسألك سؤالاً سخيفًا؟

-

بالتأكيد.

-

هل تحققت من أمر "أورفار باوتل"؟

-

مخرج المسرحية؟

-

نعم. لقد تشاجر مع "سكارفيدين" في الحفل.

-

أعرف. قال "أورفار" إنه حاول إقناع فريق المسرح بعدم السكر قبل العرض الأول لكي لا يسببوا كوارث على خشبة المسرح أو يتقيأوا على الجمهور. إنه محق، ألا تظن؟

-

نعم. هل لديك شهودٌ يؤكدون أنه غادر الحفل في العاشرة، كما يدَّعي؟ وأنه عاد للفندق سريعًا بعد ذلك؟

-

لا يمكننا الاعتماد على شهادة من كانوا بالحفل كما تعلم. أمَّا في الفندق فلم يلحظه أحدهم في صالة الاستقبال. كانوا جميعًا مشغولين بكل الناس الذين جاؤوا للتزلج ولم يجدوا ثلوجًا. يقول إن مفتاح الغرفة كان في جيبه لذلك لم يحتاج إلى الذهاب إلى مكتب

الاستقبال. هذا منطقي، أليس كذلك؟

-

أظن هذا.

-

قل ما لديك!

-

لقد اكتشفت أن "سكارفيدين" و"أورفار باوتل" قد تقابلا منذ خمس سنوات. لعب "سكارفيدين" دور البطولة في فيلم للمُراهقين يُسمَّى "ستريت رايدر". شارك "أورفار باوتل" بدورٍ صغير. كان شرطيًّا في الوَاقع.

كرر "أولافيور جيسلي":

- "ستريت رايدر"؟

ثم غنَّى فجأة أغنية الفيلم:

-

"يشق الطريق بسيارته الـ"هوندا" الجديدة، وتلمع خوذته كالنيران...".

-

هذا هو.

-

"يسحق الأسفلت، ويزلزل ويوقظ الحي...".

-

يا إلهي، أنت خبيرٌ في الأفلام الكلاسيكية.

-

أنا خبيرٌ في كل شيءٍ مهم. لكن مع احترامي الشديد، ما علاقة هذا بما نحن فيه؟

-

على الأرجح لا علاقة. تحدثت مع مخرج الفيلم، وأخبرني أن "إنيا لينا" بطلة الفيلم الشابة توفيت منذ بضع سنين.

-

كيف ماتت؟

-

لا يتذكر بالضبط. لكنه سمع أنها ماتت بسبب الاكتئاب أو المخدرات.

-

ليست أول ولا آخر ضحايا هذين الأمرين.

-

لا. أحاول فقط فهم الأمر. تُوفى بطلا الفيلم، و"أورفار باوتل" هو الوحيد المتورط في هذه القضية ويعرفهما.

-

أنت محقّ في هذه القضية. لكن وفاة الفتاة منذ بضع سنوات هي مسألةٌ مستقلة. لنفصل بين القضيتين. لا أرى رابطًا ملموسًا.

تمتمت بعناد:

- لا، لا يمكنني.

* * *

مددت جسدي خارج نافذة مكتبي قدر المستطاع، بينما أنفث دخان سيجارتي الضار كي أكون محافظًا جيدًا على البيئة، لكن السبب الأعظم هو لكي لا أزعج "كارو" في الطابق العلوي. توصلت إلى أن خياري الوحيد هو انتظار التأكد من اعتقال "أكنار هانسين". تفحصت الأوراق التي على مكتبي، ورتبت ملاحظاتي. لمحت اسم "جوتمونتور أوسجيرسون"، خبير اقتصادي.

إنه حفيد "جونهيلتور"، وابن المرحومة "أوستيس بيورك"، وزوجها "أوسجير إفينتارسون". أردت فعل شيء ما، فبحثت عنه في دليل التليفونات. إنه ليس مسجلاً في "أكوريري" بل في "ريكيافيك".

اتصلت وأجابني طفلٌ صغير، فقلتُ:

-

مرحبًا، هل والدك موجود؟

-

نعم! أبي! رجلٌ يسأل عنك في التليفون!

سمعت كثيرًا من أصوات الارتطام المختلفة، يبدو أن الطفل أسقط التليفون على الأرض. ثم رد عليَّ رجلٌ يقول:

-

معك "جوتمونتور".

-

أهلاً. اسمي "إينار". أنا صحفي بجريدة "أفتر نون نيوز" في "أكوريري".

-

حقًّا؟

-

نعم. آسف للإزعاج، وتعازيَّ الحارة لوفاة والدتك.

رد بدهشة أو حذر، أو كلاهما:

-

أشكرك.

-

لقد اتصلت بي جدتك "جونهيلتور" منذ بضعة أيام.

قال مجددًا:

-

حقًّا؟

-

وزرتها حسب رغبتها في دار الرعاية، حيث تعيش.

كرر:

-

حقًّا؟

-

نعم. إمممم.. لا أعرف كيف أقول ذلك، لكنها أخبرتني أنها واثقة من أن وفاة ابنتها، والدتك، ليست حادثة، بل جريمة قتل.

لم يرد، فواصلت:

- لا أعرف ماذا أفعل، لكنني عجزت عن تجاهل كلامها. لذلك قررت الاتصال بك.

لم ينطق بحرفٍ لمدة ثلاثين ثانية. ثم قال:

-

هل هذا تحقيقٌ صحفي؟ هل ستنشر ما أقول؟

-

لا. أنا فقط أحاول فهم ما يحدث هنا، أو بالأحرى التأكد من حدوث شيءٍ أساسًا.

-

اسمع، ما يحدث هو أن جدتي العزيزة فقدت عقلها لأنها عاجزة عن مواجهة الحقيقة.

-

أي حقيقة؟

-

الحقيقة هي أن والدتي كانت مصابة بالتوهم المرضي.

-

ماذا...؟

تدخل صوت الصغير في التليفون: "أبي! أبي! أريد الذهاب إلى الحمَّام!"، فتمتم الوالد على عجل:

-

عذرًا، عليَّ الاهتمام بأمرٍ مهم. لكن هذا كل ما عليك معرفته عن جدتي.

-

هل تعني أن "جونهيلتور" تعاني من وسواس توهم المرض أيضًا؟

-

لا... ليس بالضبط. أنا لست واثقًا...

تدخل صوت الصغير مجددًا: "أبي! لقد سقط البراز على الأرض!".

-

عذرًا، عليَّ الذهاب. هل قالت جدتي إن أبي قتل أمي؟

-

لقد لمحت بذلك في الواقع.

-

يا إلهي، لا تهتم لكلامها. إنها عجوزٌ مسكينة حزينة على فقدان ابنتها.

-

حسنًا...

تردد صوت الصغير: "براز مسكين".

قال الخبير الاقتصادي:

- وداعًا، لديَّ عملٌ قذر لأتولاه.

"انظر يا أبي! أنا أرسم بالبراز...".

للأعمال القذرة أنواع.

في المساء حاولت إقناع "تراوستي لوق" بألا يطبع الصفحة الأولى وأن يعيد تصميمها ليفسح مجالاً لمقالٍ عن شابٍ في العشرين من العمر يتم اعتقاله خلال التحقيق في قضية مقتل "سكارفيدين فالياردسون" في "أكوريري". أوضح لي بلطفٍ أننا مساء السبت، وما من جريدةٍ غدًا.

16 الأحد

بعد الجمعة يأتي السبت، ثم يتبعه الأحد. تعلَّمت هذا ذات يوم قبل دخولي المدرسة الثانوية. لكن يبدو أني انشغلت بالعمل في حياتي الجديدة وعلاقاتي الشخصية وحياتي الاجتماعية النشطة. في الماضي القريب أصبحت الإجازات والعطلات هي أكثر ما أتشوق إليه. وأحيانًا كانت كل ما أتطلع إليه. أما الآن لم أعد أهتم.

بدأت يوم الأحد بتغيير الصحف في أرضية قفص "بولي"، وأعطيتها بعض المقرمشات لتأكلها كتحلية يوم الأحد. ثم وقفت عند نافذة المطبخ لوقتٍ طويلٍ جدًّا ممسكًا بكوب قهوةٍ وسيجارة في يديَّ، بينما أفكر فيما يجب عليَّ فعله تاليًا. ما زال الجو شتويًّا في الخارج، وأظنني لمحت ندف الثلج تتساقط لتذكرنا أنه رغم الازدهار والتفاؤل ما زلنا في أيسلندا القديمة الباردة. قد يتغير الزمن، لكن يبقى المكان كما هو. لم يلعب الأطفال الكرة في الحدائق المجاورة اليوم. بحثت في أسطوانات الموسيقى التي تركها المالك السابق. لم أفكر في إحضار أسطواناتي معي. وجدت كثيرًا من السيمفونيات والأوبرا. ثم لمحت اسطوانة لفرقة الـ"روك" "R.E.M." لأغنية "رجل على القمر". شعرت بالألفة أخيرًا عندما ملأت الأنغام الغرفة. وكأنني على قمري الخاص:

"هل سمعت عن هذا يا "آندي"؟

أخبرني، هل ما زلت تتلقى الضربات؟

مهلاً يا "أندي"، هل تسخر من "إلفيس"؟

مرحى يا عزيزي، هل تستمتع بوقتك؟".

عندئذٍ رنَّ التليفون، وقال المتصل بصوتٍ ذكوريٍّ مزعجٍ:

-

معك "أوسجير إفينتارسون"، إلى من أتحدث؟

-

"إينار".

شعرت أنه يحاول تمالك أعصابه بصعوبةٍ بالغةٍ، وبلا فائدة، وهو يقول:

-

أخبرني ابني "جوتمونتور" عمَّا قلته له بالأمس من ادعاءاتٍ سخيفة ومشينة ضدي.

-

مطلقًا. إنه سوء تفاهم.

-

أنت تنشر تخاريف امرأةٍ عجوز. كيف تجرؤ على معاملة عائلةٍ في حداد هكذا؟

-

كل ما فعلته هو إخبار ابنك بما قالته حماتك لي. وهي أيضًا في حدادٍ بالطبع...

ترك فورًا مسألة الحداد، وبدأ يهددني بالقانون:

- بالتأكيد تدرك فداحة هذه الادعاءات. إنها مشينة!

الآن يصرخ في عبر التليفون حتى أثار أعصابي، فقلت:

-

ألم تقل إن "جونهيلتور" خرفة ولن يصدق أحدٌ ادعاءاتها؟

-

إنها كذلك بالفعل. تلك المشعوذة الشريرة المسنة تحقد عليَّ منذ أن تزوجت "أوستيس بيورك".

قلت له بنصر:

-

حقًّا؟ إذًا، هذا ليس شعورًا جديدًا بسبب خرفها أو شيخوختها أو أيًّا كان ما تقول؟

-

الآن تزيد الأمور سوءًا!

-

لم أنشر شيئًا من هذا، ولا أنوي أبدًا أن أفعل. لا أفهم سبب انفعالك. شعرت فقط أن من حق "جونهيلتور" التعبير عن رأيها حتى لو كانت مسنة. أريد فقط اكتشاف الحقيقة وفهمها. هذا كل الموضوع.

قال "أوسجير إفنتارسون" بحدة:

-

أنا أحذرك.

-

من ماذا؟

-

أحذرك من أن تتدخل في مأساةٍ عائلية لأشخاصٍ لم يخطؤوا في أي شيء. أحذرك من نشر الشائعات...

ها قد عدنا مجددًا لموضوع الشائعات والصحافة الصفراء!

-... حول حياة الناس الخاصة لمجرد أن تلك الصحيفة القذرة التي تظنون أنها جريدة. إياك...

أجبت بهدوء:

- لا أحب التهديدات.

-... لنفترض أنني لا أمتلك أي نفوذ. مع ذلك لا يمكنك معاملتي، مثل أي وضيع تهينه. رئيسك "أولفير مارجريتارسون ستينسون" مجرد حقير وتافه. يظن أنه يستطيع استخدام ثروته الملوثة في الإعلام لشراء السلطة السياسية والاحترام. إنه مجرم يرشو الجميع ويجبرهم على الخضوع له. إنه...

- ما علاقة وفاة زوجتك بأحد ملاك جريدة "أفتر نون نيوز" أو الشؤون السياسية؟

أغلق "أوسجير إفينتارسون" الخط في وجهي بغضب.

يا لها من نقلةٍ ضخمة من الابن المهذب المريح إلى الأب الهستيري المهدد. قبل محادثتي التليفونية مع الزوج المكلوم كنت أتساءل عن علاقة وسواس التوهم المرضي، كما وصفه "جوتمونتور أوسجيرسون" لوفاة أمه التي سقطت من القارب إلى نهر "يوكولساو". لقد ماتت المرأة بالفعل. ما علاقة هذا بالتوهم المرضي؟

لم أنسَ محادثتي مع "جونهيلتور"، لكنها ظلت مختبئةً في عقلي حتى هاجمتني فجأة عندما هدأت الأمور قليلاً.

* * *

-

يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!

-

يمكنكِ قولها مجددًا.

-

أشكرك. يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!

حركت "جونهيلتور" خصلةً من شعرها الرمادي، وقالت:

- لا أعرف كيف يشاهدون هذا الهراء.

جلسنا في الممر، لكننا مع ذلك سمعنا المسلسل الأمريكي "The Guiding Light Mafia".

جلبت لـ"جونهيلتور" علبة شوكولاتة، وناولتها واحدة، بينما أقول:

- ربما لم يجدوا شيئًا أفضل يفعلونه.

حامت سبابتها الخشنة المتجعدة على الصينية مثل هليكوبتر صغيرة. ثم وجدت ما تبحث عنه. التقطت شوكولاتة على شكل زجاجة ومحشوة بالكحول.

قالت:

- كلما شاخ الكبار صغروا. يعجزون عن القراءة أو الكلام. فقط يجلسون ويشاهدون المثلين الأمريكيين الحمقى يتصرفون ببلاهةٍ مقابل مليون دولار، أو أيًا كان أجرهم.

كشف وجهها المجعد عن ابتسامة، بينما تذوب الشوكولاتة في فمها، ويسيل منها الكحول. قالت:

- إنها لذيذة يا فتى، على الرغم من أنها ليست من مصنع "يام" للحلوى.

أنا أحسدها حقًا. تدبرت أمري بقطعة من الكراميل صعبة المضغ وتلتصق بالفم. شعرت بأنه لن يبق لي أسنان عندما أغادر دار رعاية "هوتل".

قالت "جونهيلتور"، بينما تنظر إليَّ بعينيها الزرقاوين الصافيتين:

-

إذًا، أنت لم تتجاهل امرأة عجوز. لقد أتيت مجددًا.

-

نعم. أردت لقاءك مجددًا والتَّحدُّث معكِ.

أخبرتها عن محادثتي مع حفيدها وزوج ابنتها. لكنني لم أخبرها بما قالاه عنها.
قالت:

-

هذا هو "أوسجير" بالضبط. إنه مليءٌ بـ...

-

الشر، والحقد، والخبث؟

-

نعم، هذا صحيح. كيف عرفت؟

قلت ساخرًا:

- سمعت ذلك من قبل. بالإضافة إلى أنني حظيت بشرفٍ مزيف بالتَّحدُّث إليه بنفسي.
التقطت قطعة شوكولاتة أخرى على شكل زجاجة، وقالت:

- الشر، والحقد، والخبث. هكذا هو "أوسجير". ربما لست أحمقَ يا فتى. فهناك ما يكفي من الحماقة في هذا المسلسل.
وتحركت خصلة من شعرها وهي تشير برأسها نحو مسلسل "The Guiding Light Mafia".

سألتني:

-

لماذا بحق السماء سألت "أوسجير" عن الأمر؟ لم تظن بالتأكيد أنه سيعترف بهذه السهولة، وسيسلم نفسه للشرطة! لم لم تحضر لي هذه الشوكولاتة اللذيذة لظننتك أحمقَ.

-

أنتِ على حق.

-

ألم تشاهد المحقق "مورس"، و"المحقق "تاجرت" في المسلسل؟

-

بالطبع فعلت.

-

إنهما يستغرقان حلقةً كاملةً، وأحيانًا أكثر لتحطيم مقاومة المجرم وجمع الأدلة وإجباره على الاعتراف.

-

لكن...

-

بالطبع أعرف أنهم في المسلسل يختصرون الأحداث في ساعة. إنهم يقومون بالمونتاج عدد من الأيام مع هذين المحققين المجتهدين ليصنعوا ساعةً واحدة. بالطبع عليهم النوم والأكل ودخول الحمام مثلنا. لكن لا داعي لأن نرى ذلك يا بني. أليس كذلك؟

-

نعم، نعم.

-

وأنت تحدثت مع حفيدي "جوتمونتور"؟ إنه ليس سيئًا على الرغم من هوسه الشديد بأن يصبح أكثر ثراءً من الآخرين، ومن أبيه المخادع. الجشع يجري في دمهما. إنه يسري في الخلايا، كما يقولون هذه الأيام.

-

في الخلايا...

-

إنه لم يحصل على صفة الجشع من ابنتي "أوستيس بيورك". هذا الجشع أتى من دمٍ باردٍ، أكثر برودة من دماء جميع البشر.

-

أنا واثق.

كانت عينا "جونهيلتور" تجول في المكان، لكنها الآن ثبتت نظرها عليَّ، وقالت:

-

إذًا، لقد تحدثت إلى "جوتمونتور" لتتأكد إن كنت مسنة مجنونة أم لا؟

-

حسنًا.. لا يمكنني افتراض أن "أوستيس بيورك" قُتِلت لمجرد أنكِ قلتِ ذلك.

لمعت عيناها بغرابةٍ، فقلتُ:

- هل ستصدقينني لو أخبرتكِ أن عاهرة مجنونة قتلت البابا؟

هزّت "جونهيلتور" رأسها قائلةً بمرح:

-

أنت حقًّا أحمق يا بني. الفاتيكان لن يسمح بدخول عاهرة، فما بالك لو كانت مجنونة! مزحة مضحكة! هاهاها!

-

قصدي هو أنه لا يمكننا تصديق شيء دون دليل.

-

واستخدمت في مقالك البابا العجوز المسكين الشاحب كالشبح! حقًّا!

-

كان مجرد مثل.

حاولت كتم ضحكاتها، وهي تقول:

-

يمكنك أن تكون مسليًا حتى عندما تتحامق قليلاً.

-

يسرني ظنكِ هذا.

سألتني فجأة دون ضحك:

- هل معك موبايل؟

كررت بدهشةٍ، بينما أتساءل في داخلي عمَّا أفعله في هذا المكان:

-

موبايل؟

-

نعم، موبايل.

-

نعم.

-

هل يمكنني استعارته؟

-

تستعيرين الموبايل؟

-

نعم، سأتصل بشخص يمكنه إجابتك عن كل أسئلتك. لا فائدة من الاتصال بالقاتل وسؤاله إن كان هو الفاعل. هذا لن يوصلك لشيء.

-

تقصدين موبايل؟

نعم، ماذا عساي أريد غيره يا فتى؟

أخرجت موبايلي من جيبي وناولتها إيَّاه.

حاولت "جونهيلتور" عبثًا ضغط الأزرار بيدها المجعدة، ثم قالت:

- هذه الأشياء مخصصة للعناكب حتمًا! الأزرار أصغر من أن يراها الناس الطبيعية، ومن الصعب الضغط على الصحيحة منها.

أعادت التليفون لي، وقالت:

- اطلب الرقم من أجلي.

أملتني الرقم وطلبته، ثم أعدتُ الموبايل إليها لتتحدث:

- مرحبًا؟ عزيزتي "راكنا". أنا "جونهيلتور".

انتظرت قليلاً، ثم أخذت تحرك الموبايل وتنظر إليه بغضب، وهي تقول:

- مرحبًا؟ مرحبًا؟ هذا الشيء اللعين لا يعمل.

أمسكت الموبايل وأدرته للوضع الصحيح، ثم حاولت التَّحدُّث مجددًا:

- مرحبًا؟ "راكنا"، عزيزتي؟ أنا "جونهيلتور".. كيف حالكِ؟ هل الألم في أعلى عمودكِ الفقري أم أسفله؟ في منتصف ظهرك؟ نعم.. مثلما أصابني في العام الماضي.. إنه العام نفسه الذي انعقد فيه مؤتمر قمة "ريجان - جورباتشوف" في "ريكيافيك".. أظنه الشيء الوحيد الذي نتج عن القمة.. نعم، أنا واثقة من أن ألم ظهري كان بسبب جلوسي لمدة ساعة أمام التليفزيون في انتظار حدوث شيءٍ في المؤتمر...

وقفت، وتمطأت، ثم تناولت شوكولاتة، بينما واصلت هي:

- اسمعي يا عزيزتي "راكنا"، هناك شابٌ معي.. لا، لا، لا علاقة بيننا.. لاااا.. إنه صغيرٌ ولطيف.. عزيزتي "راكنا"، سأرسله لمقابلتكِ.. لا، لا، لا شيء من هذا.. لا تفعلي شيئًا معه.. أريدكِ فقط أن تجيبيه عن بعض الأسئلة.. بشأن ابنتي "أوستيس بيورك".. وجولة البراري اللعينة.. لا، لا تنفري منه. إنه أحمقُ قليلاً، لكنه طيب.. شكرًا عزيزتي.. لا، يا إلهي، لا تسببي له المتاعب. لقد أحضر لي علبة شوكولاتة.. لا، هؤلاء الفتيان مدللون تمامًا.. سأخبره أن يحضر لكِ الشوكولاتة، وإلا لن تحدثيه.. لا بأس بذلك يا عزيزتي، لا بأس بذلك.. إنه في طريقه إليكِ...

نعم، أنا في طريقي إليها. في طريقي مجددًا. والآن بعد زيارتي الثانية اليوم إلى حلواني مرتفع الأسعار، توجهت إلى منزلٍ خرساني صغير من طابق واحد، سقفه أحمر ولا يبعد

كثيرًا عن المدرسة الثانوية. ظننت أن "راكنا أورمانتوتير" في عمر "جونهيلتور". لكنني وجدت امرأة في الستينيات، شعرها طويل وأسود، بالتأكيد مصبوغ. ترتدي فستانًا أخضر بنقوش زهور، ومريلة مطبخ مخططة بالأزرق. كانت متوسطة الطول والوزن مع بعض الدهون المترهلة عند ذقنها أسفل وجهها العريض المبتسم. شممت رائحة الفطائر المحلاة من المطبخ. قدمت لها علبة الشوكولاتة باحترام، ثم جلسنا على المائدة القديمة المطلية حديثًا لتناول القهوة والفطائر المحلاة. راقبتني أدخن سيجارة رفيعة، بينما تروي لي كم تحب الجدة "جونهيلتور":

-

بدأتُ العمل في مصنع "يام" ساعيةً. كان "جوتمونتور" زوج "جونهيلتور" لا يزال حيًّا. عاملتني "جونهيلتور" كفردٍ من العائلة. ظللت أعمل هناك منذ ذلك الوقت. في البداية عملت بدوامٍ جزئي في الإجازة الصيفية. ثم عملت بدوامٍ كامل بعدما تخرجت في كلية التجارة. أقومُ بدور المدير فعليًّا دون الحصول على اللقب رسميًّا.

-

وهل أحببت العمل تحت إدارة "أوسجير"؟

-

لا أريد التَّحدُّث بسوءٍ عن السيد "أوسجير". لقد أتى إلى مصنع العائلة القديم الذي يركز على "العائلة" وليس "العمل". أراد تقديم أساليب جديدة في إدارة الأعمال والتسويق وهكذا. صرفنا مبالغ طائلة على التقييمات والتحليل الإداري وحملات التسويق والخطط الاستراتيجية، لكنه لم يتمكن من النهوض بالعمل. هذا كل ما يمكنني قوله عن "أوسجير". أفكاره ضخمة لكن خططه فاشلة.

-

"جونهيلتور" لا تظن خيرًا به.

-

عندما مات "جوتمونتور"، أرادت "جونهيلتور" أن تتولى "أوستيس بيورك" إدارة الأعمال لكنها رفضت. أرادت أن يتولى زوجها العمل. أوضحت أن لديه مؤهلاتٍ خاصة في إدارة الأعمال، وهذا صحيح. استسلمت "جونهيلتور" إلا أنها لم تسامح "أوستيس" على ما فعله بالعمل. لكن من الظلم وضع اللوم كله على "أوسجير". هناك منافسة شرسة في سوق الحلوى في أيسلندا منذ سنوات. ليس فقط بين الشركات الأيسلندية، بل أيضًا مع الحلوى المستوردة من الشركات العالمية الضخمة والقوية. ابتعد الناس عن المنتجات القديمة والشهيرة والتفتوا إلى المنتجات الجديدة. هكذا تسير الأمور.

-

أخبريني عن رحلة البراري تلك؟

-

ذهبنا في رحلاتٍ كثيرة كهذه خلال العشاء السنوي للشركة في السنوات الثلاث الماضية. لا أحبها شخصيًّا، لكنه تقليدٌ منتشر في الشركات. إنها آخر صيحة في الإدارة وسياسة الموارد البشرية. سياسة الموارد البشرية! ما معنى هذا؟ ألا يكفي أن تحسن معاملة موظفيك؟ ذهبنا في رحلاتٍ إلى الأنهار المتجمدة، وقدنا زلاجات الجليد الآلية والزلاجات التي تجرها الكلاب، ولعبنا ألعاب الثلوج، وركبنا الدراجات على الجبال، وجدفنا بالقوارب الفردية الصغيرة. أمَّا هذه المرة فأبحرنا في النهر المندفع، لكنها انتهت بمأساة. يُفترض أن يكون الهدف هو تعزيز التعاون والتقريب بين الموظفين والتشجيع على المغامرة. لكن الطريقة التي يتم بها الأمر تحث على المنافسة والعداء. هذه المرة كنا سنتسلق جرفًا بطول خمسة عشر قدمًا، ثم سنقفز إلى مسبحٍ عميق. لديهم إجراءات للسلامة بالطبع، لكن الفكرة تقوم على إثبات الشخص لذاته وقوته. وإن لم تكن مستعدًا فستتعرض للإذلال. رأيت اثنين من أكفأ الموظفين القدامى استسلما بعد رحلاتٍ كهذا. شعرا أنهما ليسا مؤهلين للعمل بعد الآن.

شبعت تمامًا بعدما تناولت الفطائر المحلاة، وأصبحت مستعدًا لمشاركة "راكنا" الحديث. قلت:

-

أفترض أن الرحلات كانت فكرة "أوسجير"؟

-

نعم. المسائل الأخرى متعلقة بالمكان والزمان وكيفية انتهاء حفلة الشرب.

-

هل تشربون كثيرًا من الكحول؟

-

لا يفترض ذلك. لكن الأعضاء يحضرون بعض البيرة معهم ويشربون حين يغفل عنهم المشرف. وحين يعودون للبلدة يفعلون كما يحلو لهم. يذهب الجميع لعشاءٍ فاخرٍ متعبين ومفعمين بالأدرينالين والإثارة والكبت، عندها يطلقون لأنفسهم العنان حقًّا. وبذلك ينفلت زمام الأمور.

-

ما عدا هذه المرَّة؟

أطفأت "راكنا" سيجارتها في المنفضة، وقالت:

-

نعم، ما عدا هذه المرَّة.

-

قالت "جونهيلتور" إن "أوسجير" حضر العشاء، بينما كانت زوجته ترقد فاقدة الوعي في المستشفى. هل هذا صحيح؟

-

بقي ساعةً أو اثنتين. شعر الجميع بالاضطراب بعد الحادثة وقرر معظمنا ألا يحضر. لكن أراد "أوسجير" أن يستمر برنامج الرحلة. لم يشأ الإلغاء. شعر أن هذا ما كانت ستريده "أوستيس بيورك". وهذا صحيح. لقد عرفتها جيدًا. وأيضًا في ذلك الوقت لم نكن نعرف مدى إصابتها.

-

كيف كان زواجهما؟

-

لا يحق لي التَّحدُّث عن هذا. أستطيع أن أخمِّن ما قالته "جونهيلتور" لك. لكن ما من دخيل يمكنه معرفة أحوال زواج شخص آخر. الزوجان فقط من يمكنهما ذلك. أحدثك عن خبرة. عندما حصلت على الطلاق منذ عشر سنين لم يفهم أحدٌ السبب. ولا حتى أقرب أفراد عائلتي وأصدقائي. بعضهم لم يدرك حتى كيف تركت رجلاً طيبًا كهذا بعد ثلاثين عامًا من الزواج. وآخرون لم يستوعبوا كيف تحملت هذا الفظ الممل تلك المدة الطويلة. ثم هناك من شعر أن زوجي محظوظ للتخلص مِنِّي.

ابتسمت بطيبةٍ، وواصلت:

-

سأخبرك أنه طوال الأعوام الخمسة أو الستة السابقة ابتعدت "أوستيس بيورك" كثيرًا عن العمل. أصبحت رؤيتها في المكتب نادرة، فما بالك بالمصنع. ظلت في المنزل معظم الوقت. لم يقل "أوسجير" شيئًا عن حياتهما الخاصة، لكنني فهمت من كلام "أوستيس بيورك" القليل أنها كانت مريضة جدًّا.

-

ماذا كانت مشكلتها؟

-

الكثير. أصابها أكثر من مرض. كانت سيدة جميلة، لكن ازداد وزنها في السنوات الأخيرة. ربما بسبب سوء صحتها.

-

هل رأيتها وهي تسقط في النهر؟

-

لا، كنت في مقدمة القارب. سمعت الصياح والصراخ. تحدثنا كثيرًا عن الأمر، خصوصًا ذلك المساء في المطعم. عرفت أنه لم يرها أحدٌ وهي تسقط. كانت جالسة في مؤخرة القارب، ويبدو أنها وقفت وفقدت توازنها فسقطت. كان "أوسجير" جالسًا أمامها، وقفز وراءها مباشرةً. كان بطلاً بالفعل.

نهضت لأغادر منزل "راكنا"، بينما يحل الظلام، لكنني تذكرت سؤالاً آخر:

- أخبرتني "جونهيلتور" أن "أوستيس بيورك" و"أوسجير" اختلفا بشأن إدارة المصنع. هل تعرفين شيئًا عن الأمر؟

ترددت وهي تقول:

-

ليس بالضبط. لكنني لاحظت على مدى الأعوام الأخيرة أن "أوستيس" كان أحيانًا يجري اجتماعاتٍ في مكتبه مع رجالٍ مخيفين يحملون حقائب أوراق ويريهم المصنع. لا أعرف ما معنى ذلك.

-

سمعت أن "أوستيس بيورك" كانت تعاني من الإدمان.

نظرت إليّ "راكنا" بدهشة، وقالت:

- لم أسمع بشيءٍ كهذا قط. لكن كما أخبرتك، لا يمكننا معرفة كثير عن حياة الناس

الخاصة، ولا نفهم سوى أقل القليل.

* * *

كما قلت مسبقًا، يجب عدم استسهال الأمور. أخبرني للأمور "هوسكولتور بيترسون" في "ريكيافيك" بصورةٍ غير رسمية:

-

هناك بعض الناس هنا يظنون أن هذه الاعتقالات سياسية تمامًا.

-

هل تعني أن شرطة "أكوريري" تحقق مع "أكنار هانسين" وعصابته لأهدافٍ سياسية؟

-

لا، لا أقترح شيئًا، والشرطة لا تتدخل بالسياسة. أنا فقط سمعت إشاعةً تقول إن الناس يظنون أن الخصوم السياسيين للزعماء هنا في "ريتارجيرتي" يستغلون الفرصة لإحاطة هؤلاء الفتيان بالشك.

-

لماذا قد يفعلون هذا أصلاً؟

-

للتشويش على الاضطراب والنزاع اللذين يحدثان هنا نتيجة التطور الصناعي. قد ينفعهم هذا الآن قبل الانتخابات مباشرةً.

-

يبدو هذا الاحتمال مستبعدًا بالنسبة إليَّ.

-

ربما. لكن لماذا ركزوا على هؤلاء الفتيان وتركوا باقي المدعوين؟

سألتها:

- لأن هؤلاء الفتيان مفسدو حفلاتٍ ومشاغبون؟

ردت عليَّ:

- أو لأن أحدهم ابن رئيس مجلس البلدية وأحدهم أجنبي مثلاً؟

لم أنشر أيًّا من هذا في مقالتي ليوم الإثنين الخاصة بقضية "سكارفيدين". انتهت مقالتي بـ: "ستقام جنازة "سكارفيدين" اليوم في كنيسة "أكوريري".

17 الإثنين

قال "تراوستي لوڤ":

- هراء. إنه الهراء المعتاد.

اعترضت، بينما كنت جالسًا في مكتبي في الظهيرة:

- أنا فقط أقول ما أخبرني به مأمور شرطة "ريتارجيرتي".

صاح "تراوستي" بغضب:

-

والفتى هو شقيق "أوسيريمور بيترسون". إنها محاولةٌ بائسة لتشتيت الشعب والإعلام عن الأزمة الحقيقية. تبًّا للمؤامرات السياسية! هل عرفت الآن لماذا من المهم أن نغطي أخبار "ريتارجيرتي" بشكلٍ مناسب؟

-

ربما تكون محقًّا.

-

ربما؟ كن نبيلاً، واعترف بأنني على حقٍ يا صاحبي. لقد تحليت أنا بالشجاعة وأصلحت خطئي سابقًا مع فقرة "سؤال اليوم"...

-

فقط لأنك كنت مجبرًا.

-... وعليك أن تتحلى أنت أيضًا بالشجاعة لفعل المثل بشأن "ريتارجيرتي".

ها قد عدنا للمشاحنات المعتادة.

-

حسنًا. أنت محق. لكنني أحذرك، من الأفضل أن لا تنشر جريدة "أفتر نون نيوز" سبقًا صحفيًّا عن كون عصابة "ريتارجيرتي" مذنبة. وأعني بذلك "أكنار هانسين" ورفاقه. لم يعترفوا بشيء، ولا يوجد دليلٌ ضدهم. كل ما تعرفه الشرطة هو أنهم كانوا في الحفل مثل كثير من الناس. لا يمكننا التسرع في الاستنتاجات، وإلا ستكون العواقب وخيمة.

-

علينا نشر ما يحدث. الثلاثة رهن الاعتقال، صحيح؟

-

نعم، تم اعتقال اثنين منهم هذا الصباح. لكن تستطيع الشرطة حجزهم لأربعة أيامٍ فقط.

-

إذًا، عليك الحصول على مزيد من المعلومات منهم لعدد الغد.

-

هل يجب أن ننشر أسماء ومعلومات شخصية عن أناسٍ لم تثبت عليهم الجريمة بعد؟

-

أكرر كلامي، نحن ننشر ما يحدث. الفتيان في الحجز. علينا نشر هويتهم.

لم أحب هذا. قلت:

-

أنت بالتأكيد لا تظن أنني سأذكر والد "أكنار هانسين" عندما أنشر هويته؟

-

بالطبع ستفعل.. "يوهان هانسين" شخصية عامة. لقرائنا الحق في معرفة الصلة بينهما.

-

لكن "يوهان" ليس شخصية عامة في هذه القضية. إنه رئيس المجلس المحلي في "ريتارجيرتي"، كما أنه والد الشاب المحتجز في "أكوريري". هل يجب أن أوضح لك أكثر يا محرر الأخبار؟

ثار "تراوستي":

- لا داعي لتوضيح أي شيء. فقط نفذ كلامي.

أجبته بحزم:

-

لن أفعل. إن فعلنا ذلك سنشجع ونؤكد فكرة أن أحدهم يريد صنع أزمةٍ سياسية من قضيةٍ لا علاقة لها بالسياسة أصلاً. إنها قضية خطيرة، تحقيق في جريمة قتل. هل جُننت مجددًا يا "تراوستي"؟

-

فقط افعل ذلك. أنت تبحث في خلفية "سكارفيدين" وشخصيته لأيامٍ دون أن تنشر عنه طبعةٍ واحدةٍ. ولا حتى سطرٍ واحدٍ.

-

إنها قضيةٌ معقدة.

-

سأخبرك أمرًا ليس معقدًا حتى تستطيع فهمه. لدى قرائنا الحق في معرفة معلوماتٍ عن قضيةٍ تشغل عقول وألسنة الجميع. هكذا هو الأمر. تبًّا لك!

بدأت أشعر بأنني طفلٌ صغير يسرع إلى والده ليخبره بما فعله أخوه الأكبر. وهذا لأني اتصلت بـ"هانس" وشرحت له الموقف ثم قلتُ:

- "هانس"، لقد تمادى "تراوستي" كثيرًا. وأنا لن أطيعه.

قال رئيس التحرير:

- عزيزي "إينار".

هذا لا يبشر بخير.

-

عزيزي "إينار"، يجب أن ترى الأمور من منظورٍ أوضح. الفتيان محتجزون لأنهم مشتبه بتورطهم في القضية. واعتقالهم سبب اضطرابًا سياسيًا في "ريتارجيرتي". لا علاقة لجريدة "أفتر نون نيوز" بهذا. نحن ملزمون بنشر ما يحدث.

-

لستُ واثقًا أبدًا من أن القضية تسببت في أي اضطرابٍ سياسي في "ريتارجيرتي". ربما يكون هذا تخمينًا فرديًا من بعض الأشخاص، ربما واحد أو اثنين. ألا يمكن أن أحدهم لديه

بعض الأسرار الخبيثة ويريد توريط جريدة "أفتر نون نيوز" ليجعل من هؤلاء الفتيات ضحايا سياسيين ويربك القراء؟ ألا يجب علينا الالتزام بوقائع القضية بدلاً من نشر الإشاعات والأكاذيب التي يقولها أناسٌ لا علاقة لهم بالقضية؟

-

الإشاعات والأكاذيب قد تستحق النشر أيضًا أيها السيد.

قررت تغيير أسلوبي، فقلتُ:

- لو كان لديك ابن، أو لو كان "تراوستي لوڤ" لديه ابن - معاذ الله - وهذا الابن قُبض عليه لتورطه في قضيةٍ جنائية خطيرة، هل ستعتبره طبيعيًّا وصائبًا أن يقوم الإعلام أو جريدة "أفتر نون نيوز" نفسها بنشر اسمه وإضافة أنه ابن رئيس التحرير أو محرر الأخبار للجريدة، علمًا بأن هذه المعلومة لا علاقة لها بالقضية؟ هل أنت مرتاحٌ لهذا الاحتمال؟

لم يتردد لحظة ليفكر في الأمر، وأجاب:

- الحقائق تظل حقائق، بغض النظر عن ارتياحنا لها. عملنا هو فصل الحقائق المريحة عن المزعجة. إنه عالمٌ سيئ يا "إينار"، هل تظن أن علينا تجميله؟

سألته بإحباطٍ وانزعاج:

- إذًا، أنت في صف محرر الأخبار الأحمق؟

رد "هانس":

-

أوافق على مبدئه. لكن لا يمكن تطبيق المبدأ نفسه بالطريقة نفسها.

-

ما معنى هذا بالضبط؟

-

اسمعني أيها السيد. لو حصلنا على أسماء الشبان الثلاثة، يجب أن ننشرها. لو وجدنا بعض سكان "ريتارجيرتي" يوافقون على ذكر أسمائهم ويقولون إن هناك مسائل سياسية خبيثة تتعلق بالقضية، إذًا، سننشر ما يقولون. ومن الأفضل لو كانوا أكثر من اثنين.

فكرت في كلامه قليلاً.

قال رئيس التحرير:

-

تلقيتُ اتصالاً بالأمس قطع حبل أفكاري. اسم المتصل هو "أوسجير إفينتارسون". أظنك تعرفه، صحيح؟

-

نعم.

أخبرت "هانس" عن محادثتي مع "أوسجير"، وسبب اتصاله بي.

-

الرجل كان غاضبًا. أخبرته أنك صحفي لا تهتم بالتشهير أو نشر الإشاعات، وأن التهديدات لا تخيفك ولا تخيف "أفتر نون نيوز".

-

ثم؟

-

خف غضبه في نهاية المكالمة.

علَّقتُ:

-

من الغريب أنه وسكان "ريتارجيرتي" يلومون الاضطهاد السياسي. ما هذا الهراء؟

-

حسنًا، أليس الحال هكذا دومًا؟ الأشخاص الذين يواجهون موقفًا صعبًا بسبب أخطائهم يزعمون أنهم ضحايا مشكلات شخصية أو سياسية. من طبيعة الإنسان أن يلوم الآخرين على مآسيه.

-

حسنًا. لكن ماذا عن هراء "ريتارجيرتي" هذا؟ أليس هذا بالضبط ما كنت تتحدث عنه؟ ماذا

عليَّ أن أفعل بشأن ذلك؟

-

لقد أخبرتك برأيي أيها السيد.

-

يبدو أن مستوى ذكاء "تراوستي" في الحضيض. إنه يعتبر الادعاءات السياسية هراءً، حسب كلامه، لكننا سننشرها بأي حال. أي أننا سننشر ما نعتبره هراءً؟

رد "هانس":

-

لا يمكن الجزم. علينا نشر ما يظنه الناس، بغض النظر عن رأينا الشخصي فيه.

-

بدأت أشك بحقٍ يا "هانس" إذا ما كنت أنتمي لهذه الجريدة أم لا.

-

ربما تكون شكوكك في النهاية تدور حول انتمائنا لهذا المجتمع أم لا. أحيانًا أشك في الأمر بنفسي أيها السيد. تنتابني شكوكٌ جدية. لا يمكننا التظاهر بأن شيئًا لم يكن. لكن أين عسانا ننتمي إن لم يكن له؟

* * *

تقع الكنيسة الأنيقة أعلى التل المطل على مركز المدينة. وجدتها مليئة بالناس عندما وصلت متأخرًا بعشر دقائق على جنازة "سكارفيدين". ظللت أصعد وأنزل السلالم، ثم أسير ذهابًا وإيابًا في الرياح الباردة، ثم استسلمت ونزلت عن التل إلى منطقة "ليستايل" الفنية والثقافية. جلست في المقهى مدة نصف ساعةٍ لأفكر، بينما أشرب ال"كابوتشينو". بعد ذلك أخرجت تليفوني من جيبي، واتصلت بأربعة أرقام. الاتصال الأول لقسم شرطة "أكوريري"، أخبروني أن أسماء المحتجزين الثلاثة لن تُنشر في الصحافة.

جيد.

أمَّا باقي الاتصالات فكانت لـ"ريتارجيرتي"؛ قسم الشرطة، والفندق، وبار "رايتين". لا أحد يرغب في اقتباس كلامه عن مسائل سياسية.

جيد.

أمَّا ما لم يكن جيدًا هو أنني حصلت على ثلاثة أسماء من مدير الفندق ومن "إيلين" ومن

الجرسونة في بار "رايتين". كما أن المأمور "هوسكولتور" أكد لي المعلومة بشكل غير رسمي. أسماؤهم هي: "أكنار هانسين" و"جارتار يونسون" و"إيفو باتوراك" كرواتي الأصل.

ماذا سأفعل بهذه الأسماء بحق الجحيم؟

لا يمكنني الجلوس هنا وحسب. صعدت التل إلى الكنيسة، وانتظرت خمس دقائق حتى انفتحت الأبواب. كان حاملو النعش ستة من الشباب؛ ثلاثة فتيان، وثلاث فتيات. تعرفت على أحدهم وهي "أويوستا ماكنوستوتير" رئيسة فريق المسرح. كان وجهها شديد الشحوب ومتجمد الملامح. أمَّا الآخرون فبالتأكيد زملاء الفتى المتوفى. ربما أحدهم هو "فريدريك". سار خلف النعش ثلاثة أشخاصٍ مصدومين؛ زوجين في منتصف العمر مع مُراهق. وجه الرجل هزيل وضعيف، وكان يرتدي بذلةً كبيرة القياس مع قميصٍ أبيضَ وربطة عنقٍ سوداء. شعره الأسود الكثيف ممشطٌ للوراء مع شيبٍ في جانبيه. وجهه حليق، لكنّ منابت ذقنه داكنة، ويرتدي نظارة وأنفه، وأنفه مستقيم. المرأة طويلة وقوية البنيان وترتدي معطفًا أسودَ. وجهها البيضاوي مغطى بطبقةٍ كثيفة من المكياج وأحمر الشفاه، مما جعل وجهها أشبه بالقناع. كانت ترتدي حذاءً أسودَ بكعبٍ عالٍ، وتسير بغير اتزان. ربما ليست معتادة على الكعوب الطويلة. أمَّا المراهق فشعره طويل، وحواجبه سميكة مثل أخيه، لكنه ليس طويلاً مثله. كان يرتدي نظارةً دائرية يظهر خلفها وجهه الوسيم. بدا منزعجًا وهو يسير بغير ارتياحٍ بجانب والديه ورأسه محني. بالتأكيد يتمنى لو كان في أي مكانٍ آخر عدا هذا.

بينما يتوارى النعش في التراب راقبت المعزِّين وهم يغادرون الكنيسة.

جاءت "يوا" مع الكاميرا لالتقاط صور الجنازة. بالكاد سُمِح لي بإخراجها من المكتب، حيث كانت تقوم بمهام "أوسبيورن" بالنيابة عنه.

جاء جميع طلاب المدرسة الثانوية، بالإضافة إلى نصف سكان البلدة. كان "سكارفيدين" شابًا معروفًا للغاية.

لكن هل المحتجزون هم من قتلوه؟

أم الذين جاءوا لتوديعه؟

تعرفت على بعض الوجوه وسط الزحام.

ها هو مدير المدرسة الثانوية.

رآني "أورفار باوتل"، لكنه تظاهر بالعكس.

أومأ "كيارتان أرنارسون" بحزنٍ إليَّ.

تحدثت معه قليلاً قبل أن يبتعد في الجو البارد. سألته إن كان هناك عزاء فأجاب:

-

نعم، تقيم المدرسة عزاءً في "كفوسين".

-

أين؟

إنها قاعة مؤتمرات مبنى "هولار" بالمدرسة.

لم أستوعب أبدًا طقوس تعاملنا مع الموت. أتفهم الجنازة والتأبين والنعي. وهناك أيضًا إظهار احترامنا وتكريمنا للمتوفى في الساعة الأخيرة قبل الدفن، سواء يستحق أم لا. لكن توديعه والنعش مفتوح؟! أليس رؤية ميتٍ في نعشه يعطي شعورًا بالذنب؟ أو تعذيب الذات؟ ألا يوحي بنقص في الخيال؟ ألا يكفي أن نودعه في عقولنا؟ نفكر بالشخص ونشكره على الأوقات السعيدة أو غير السعيدة؟ لا أعرف. لكن ما أعرفه هو أنني لم أقابل قط شخصًا أسعده أو أفاده توديع الميت ونعشه مفتوح. ولم يسأل أحدهم الميت عن رأيه.

العزاء لا يختلف كثيرًا. لكن بعكس توديع الميت، فالعزاء حدث عام يشبه الاحتفال بالمتوفى. على أهل الميت التظاهر بالتماسك وشكر الضيوف على تعاطفهم والتحدث عن قريبهم المتوفى وعن حالهم ومشاركة أحزانهم. يتم تقديم القهوة والكيك والساندويتشات. كل شخصٍ من الحضور يفكر في الهرب باستماتة.

لا أعرف. لكن ما أعرفه هو أن العواء يجعلني أشعر وكأنني محبوسٌ في النعش مع المتوفى ومع كل من يعرفه في الحياة. لا توجد مساحة كافية للتنفُّس هناك.

تمشَّيتُ بانزعاج في مؤخرة القاعة الواسعة. ما الذي أفعله هنا بأي حال؟ أنا مفسد مناسبات. لم أعرف الصبي على الإطلاق، لكنني أنازع لأكتب عنه وعن وفاته. هذا هو ما أفعله هنا على الأرجح.

لستُ سعيدًا بهذا أبدًا.

لمحت شقيق "سكارفيدين" يقف بعيدًا عن الحشد. بجواره "أويوستا" رئيسة فريق المسرح تحدثه. بدا غير مهتم بما تقوله. يجلس والده بين الضيوف جامدًا وشاحبًا. بدا إما شاردًا أو نائمًا. من الصعبَ الجزم لأنه ما زال يرتدي نظارته السوداء. بجواره زوجته محاطة بالضيوف وتبذل جهدها لتتحدث معهم. ثم تركتهم وذهبت لزوجها وهمست له. لم يظهر عليه رد فعل. أتساءل إن كان عليَّ استغلال الفرصة والتَّحدُّث إليها. لكن شيئًا ما في ملامحها القلقة والجامدة في الوقت ذاته أوقفني.

كدت أغادر، بينما مرَّ بجانبي شابٌ بدا غير مرتاح مثلي تمامًا. سار شقيق "سكارفيدين" في اتجاه الحمَّامات فتبعته. وعلى الفور وجدت نفسي أقف بجواره أمام صف الحمَّامات.

خصصت جريدة "مورنينج نيوز" صفحتين كاملتين في عدد اليوم لتأبين شقيقه ومدح مواهبه وأخلاقه. ومن خلال هذا عرفت أن اسم شقيقه "رونار"، وهو طالبٌ ثانوي أيضًا. بما أنه في السادسة عشرة من العمر سأفترض أنه في السنة الأولى.

استرقت النظر إليه متمنيًا ألا يلاحظ أنني أتظاهر بالتبول وحسب. وقف ببذلته السوداء، وقميصه الأبيض، ورأسه المحني بشرود. أحاول التفكير في أي شيءٍ يجعلني أتبول. فكرت في الماء الجاري، لكن بلا فائدة. تخيلت الشلالات المندفعة الهائجة، ولا شيء أيضًا. ثم فكرت في نهر "يوكولساو"، فنزلت قطرات.

حمدًا لله.

كان يجفف يديه، بينما أسير نحو الأحواض.

مددت يدي أصافحه بآلية وأنا أقول:

- أشعر بالحزن لخسارتك يا "رونار". لقد أردت أن...

ثم أدركت ما أفعله فسحبت يدي بسرعة قائلاً:

- آسف، من الأفضل أن أغسلها أولاً.

عجز عن منع ابتسامته، بينما ينتهي من غسل يديه. ثم سار بغرابةٍ إلى الحوض، حيث أغسل يديَّ وأجففهما.

مددت يدي مرَّةً أخرى، وقلت:

- لقد عرفت شقيقك قليلاً فقط. قابلته مرَّةً واحدة، لكنه ترك انطباعًا أثَّر بي. اسمي "إينار"، صحفي بجريدة "أفتر نون نيوز".

تصافحنا بأيدٍ رطبةٍ.

لم يقل شيئًا في البداية، لكنه تفحصني من تحت حواجبه السميكة، وتمتم:

-

أشكرك.

-

لقد حاورت "سكارفيدين" في "هولار" قبل بضعة أيامٍ من وفاته بشأن مسرحية "الساحر لوفتر".

لم يرد، واتجه إلى الباب.

تبعته. استجمعت شجاعتي حين وصلنا إلى الممر، وقلت:

- أنا واثقٌ من أنك تعرف بأن وفاة شقيقك جعلته شخصيةً عامةً، لأنه المحور الأساسي لتحقيقٍ جنائي.

تجمَّد مكانه يحدق في الأرض.

شعرت بأنه على وشك التَّحدُّث، لذلك انتظرت لوهلة.

قال ببطء:

- عزم "سكارفيدين" على أن يصبح شخصيةً عامةً كما تقول.

أومأت برأسي قائلاً:

- لكن ليس بهذه الطريقة، صحيح؟

شعرت بالأسف لرؤية مُراهق عادي يتألم ولا يشعر بالأمان. لكنه أعطاني الانطباع بأنه أكثر نضجًا من سنوات عمره الستة عشر.

قلت له بوضوح:

- تم تكليفي بجمع معلوماتٍ عن أخيك لكتابة مقالٍ عنه وعن حياته، تحدثت إلى عديد من الناس الذي عرفوه. لكنني أعترف بأنني لم أفهمه تمامًا بعد.

نظر "رونار" باتجاه القاعة، فواصلت:

- لم أشعر بعد أنه عليَّ التَّحدُّث مع عائلته. كما أشعر أنه من الخطأ محاصرتك هنا. لكن هل تمانع مقابلتي فيما بعد؟ سنتحدث فقط. لن أكتب كلامًا على لسانك إن أحببت. لكنني أحتاج بعض المعلومات الموثوقة.

أحنى رأسه وصمت قليلاً، ثم قال:

- حسنًا. لكن لا تتصل بي في المنزل.

دونت رقم موبايله، ووعدته أن لا أتصل به لبضعة أيام. ثم عاد إلى القاعة، وحاول أن يتماسك حتى ينتهي عزاء شقيقه.

"قضية "أكوريري".. ثلاثة محتجزين".

"ثلاثة شباب من سكان "ريتارجيرتي" اعتقلتهم الشرطة أثناء التحقيق في وفاة طالب الثانوية "سكارفيدين فالياردسون" في "أكوريري"...

هكذا بدأت مقالي. أزعجني ضميري حين كتبت أسماء الثلاثة في نهاية المقال. أوضحت في مقالي أن تورطهم في القضية ليس واضحًا بعد، وأن فترة الاحتجاز قصيرة. ما زال ضميري يؤنبني، لكني كان يمكن أن تسوء الأمور أكثر. على الأقل لم أقل كلمةً عن السياسة.

ولكي أتأكد من أن مقالي لن يتعرض لتعديلاتٍ صحفية أو تحريرٍ خاص من "تراوستي لوق"، اتصلت بـ"هانس" وطلبته منه الحذر، فوعدني بذلك. كما أعطاني الإذن بالتركيز على وفاة الشاب.

طلبت من "أوسبيورن" أن يخبر صديقه القديم "أولافيور جيسلي" بما أفعل.

اضطررت للاتصال به على موبايله، لأن الخط الأرضي مفصول على ما يبدو.

استند على باب مكتبي، وقال:

-

"أولافيور جيسلي" لا يعترض. يقول إن كل ما نطبعه هو مسؤوليتنا بأي حال.

-

هل أعطاك الانطباع بأنهم أمسكوا بالمذنبين؟

فرك "أوسبيورن" جسده بالباب كحصانٍ مصابٍ بحكةٍ في ظهره. كان وجهه المنتفخ شديد الاحمرار وزاده الإنهاك زرقة. قال:

-

لا، ما كنت لأقول ذلك. لكن يبدو أنهم بدؤوا يتحدثون للشرطة. لم يقل المزيد.

-

ليس حاليًا؟

-

لا، ليس حاليًا.

أمعنت النظر في "أوسبيورن"، وقلت:

- لا تبدو بخيرٍ يا "أوسبيورن". أنت تذكرني بنفسي حين أنظر في المرآة صباح أول يوم عمل.

هزَّ رأسه المغطى بالعرق والشعر الأشعث، وقال:

- هذا محتمل. ربما سأبدأ بالشرب مثلما كنت تفعل. ربما يجعلني هذا أحتمل حياتي.

وقفت وسألته:

- ما الأمر يا "أوسبيورن"؟

قال بصوتٍ مضطرب:

- أظن أن "كارو" مصابةٌ بانهيارٍ عصبي. أعصابها محطمة. لا تنام. تتجول في الشقة طوال الليل وهي تبكي. أصيب "بال" بالتوتر. أما أنا فأعجز عن القيام بعملي. لقد تركت كل

الأعباء على عاتق "يوا". لا أعرف ماذا كنت سأفعل دونها. ربما كنت سألزم الخمر للأبد.

شعرت بأنني أريد تهوين الأمر عليه بالتربيت على كتفه. سألته:

-

لم لا تخبرني بما يغضب "كارو"؟

-

أتمنى لو أعرف. سألتها كثيرًا، ورجوتها لتخبرني ما المشكلة. لكنها تستمر بالبكاء وحسب. أليس هذا ما يسمونه "هستيريا"؟

يا لها من فكرةٍ غريبة، "هستريا". إنها مبنية على النظرية القائلة إن الرحم قد يثير جنون المرأة.

هز "أوسبيورن" كتفيه بيأس. سألته:

-

هل توقفت المكالمات الغامضة؟

-

نعم، توقفت.

-

هل تظن أن حالة "كارو" تتعلق بتلك المكالمات؟

نظر إليَّ بتساؤلٍ، وقال:

-

ماذا تقصد؟

-

لا أعرف.

-

قلت إنك تدخلت. ظننت أنك كنت تزعجني وحسب، صحيح؟

اعترفت بحرج:

- نعم.

سألني باتهام:

-

إذًا، أنت لا تعرف فشيئًا؟

-

لا، لا أعرف شيئًا. أنت وأنا نزيهان على الأرجح يا "أوسبيورن".

نظر إليَّ بذهولٍ، وقال:

-

نزيهان؟ ماذا تعني؟

-

هل خنت "كارو" قط؟

احمرَّ وجه "أوسبيورن"، وقال:

- كيف تجرؤ؟ كيف تظن هذا؟

لو كنت مكانه لواجهت المتاعب إذا خنت "كارولينا". قلت:

- لقد جال الأمر بخاطري وحسب. وماذا عنها؟ ألا يمكن تشير حالتها إلى أنها تدبر أمرًا ما؟

وضع يديه على رأسه، وقال:

-

لا أصدق هذا. أنا و"كارو" ليس هكذا أبدًا.

-

هذا ما يظنه كثير من الناس عن جهل.

قال "أوسبيورن" بلا انفعال:

-

"كارو" تهتم بـ"بال" أكثر مما تهتم بالرجال.

-

هل تريد حقًّا معرفة ما يحدث؟

-

بالطبع أريد. الموقف لا يحتمل.

-

هل أنت متأكد؟

بدا على وشك الانفجار من التوتر، وصاح:

-

نعم! اللعنة! نعم، أريد!

-

إذًا، سأتحقق الآن من نظريتي عن النزاهة. لكن لا تلوموني إن أخطأت، أو إن لم تعجبك النتيجة. سأتدخل حقًا الآن.

18 الثلاثاء

تردَّد صوت المطربة "جولي دريسكول" في الراديو، وهي تغني الأغنية القديمة الجميلة "عجلات تشتعل" لـ"ديلان":

"العجلات تشتعل

تنهب الطريق

يستحسن تنبيه رفاقي

فهذه العجلات ستنفجر".

قُدتُ في شارع "ثورونارسترايتي" لأذهب إلى قسم الشرطة. تأكدت من المرآة الخلفية أن عجلاتي لا تشتعل. ليست إطاراتي، ولا عجلاتي.

وصلت ورأيت "يوا" تقف أمام قسم الشرطة مع عدة التصوير. أيقظني "أوسبيورن" في الثامنة صباحًا ليخبرني أن المحتجزين الثلاثة سيطلق سراحهم في الساعات القليلة التالية. قال:

- كل ما قاله "أولافيور جيسلي" هو أن الشرطة لا تظن بأن احتجازهم سيخدم التحقيق.

فقلت له:

-

لكن أمر الاعتقال ما زال ساريًا لبضعة أيامٍ مقبلة، صحيح؟

-

نعم، لكن هذا ما قاله.

نزلت من السيارة، وسألت "يوا":

- هل رأيتهم بعد؟ هل تم إطلاق سراحهم؟

ارتفعت الحرارة. الرطوبة تملأ هواء الصباح، والضباب يحيط بجبل "ليتارفياتل".

أجابت:

- لا، ليس بعد. سمعت أنهم سيخرجون خلال دقائق.

ثم سألت بضيق:

- هل عليَّ حقًّا التقاط صورتهم أثناء إطلاق سراحهم؟ هل هذه هي نوعية الصور التي

ننشرها الآن؟

أجبت بملل:

-

نعم. لقد نشرنا أسماءهم عندما تم اعتقالهم على الرغم من استيائي تجاه هذا التصرف. تحت هذه الظروف الراهنة علينا حقًا نشر خبر إطلاق سراحهم.

-

بالصور؟

-

تم نشر صورة لـ"أكنار" في المقال الذي يُناقش الاضطرابات في "ريتارجيرتي"، كما نشرنا اسمه حين تم اعتقاله. الأمر مفروغ منه.

-

لكن ماذا لو لم يريدوا التقاط صورهم؟

هززت كتفيَّ قائلاً:

-

حسنًا...

-

أو أرادوا إخفاء وجوههم؟

-

ليس بيدنا حيلة؟ لكني لا أظن حقًّا أن هؤلاء الشباب يتجنبون الشهرة. لنرى ما سيحدث.

بعد خمس عشر دقيقة انفتحت أبواب قسم الشرطة وخرج ثلاثة شباب.

تقدمهم "أكنار هانسين" مرتديًا بنطلون جلدي بني اللون وسترةً زرقاء من الجينز وقميصًا أسودَ عليه اسم الفيلم القديم الشهير "Born To Be Wild". لم يكن شعره الأشقر الطويل مربوطًا ذيل حصان هذه المرة، بل كان أشعث تمامًا. ضحك وقال لرفاقه الذين لم أرهم من قبل: "الأوغاد الملاعين. سننتقم منهم".

لمحني أنا و"يوا" فتوقف فورًا واصطدم رفيقيه بكتفيه، كل فتى اصطدم بكتف. "إيفو باتوراك" هو الفتى الأسمر بينهم. يرتدي بنطلونًا أسودَ من الجينز وقميصًا أسود وسترةً جلدية سوداء. إنه بدين، وساقاه قصيرتان، ورأسه حليق. يرتدي حلقًا في أذنيه، وهناك ندبٌ في وجهه المسطح الذي يشبه الفطيرة. أمَّا يداه فكبيرتان وتشوبهما الزرقة، وأصابعه سمينة كالسجق.

بدا "جارتار يونسون" أكبر قليلاً من رفيقيه، ربما في الخامسة والعشرين. وجهه ليس متناسقًا، وجسده الطويل والنحيل يفتقد الجاذبية. لم يرتدِ معطفًا، بل ارتدى بنطلونًا من الجينز الأزرق، وقميصًا أبيضَ بكتابةٍ سوداء تقول: "الرجل الأبيض هو الأقوى!". هو أيضًا كان حليق الرأس.

فتح "أكنار" فمه فظهرت أسنانه الطويلة الصفراء، وقال ساخرًا:

-

حسنًا، حسنًا! إنها صحافة الفضائح. لطيفٌ منك أن تأتي.

-

صباح الخير يا "أكنار". هل يمكن أن نجري حديثًا صحفيًّا معك ونلتقط صورةً معكم؟

سار "أكنار هانسين" ببطءٍ نحونا يتبعه رفيقاه. ما زالت الضحكة الساخرة على وجهه ذي الندب وأصبحت هيئته مخيفة.

سأل رفيقيه:

- ما رأيكم يا رفاق؟ هل نبرحهما ضربًا أم نتحدث إليهما؟

رد "باتوراك" بلكنةٍ ثقيلةٍ:

- لنقتلهما.

علقت:

- بالطبع لا. ليس بعد إطلاق سراحكم مباشرةً! وإلا ستعودون إلى السجن مجددًا. وربما لا تخرجون بسرعةٍ هذه المرَّة.

سار "أكنار" نحوي حتى لامست حواف حذائه الفضية أطراف حذائي البالي.

نظر إليَّ ببرود.

شممت أنفاسه الكريهة وهو يقول بصراحةٍ في وجهي:

- سأقول بشكلٍ رسمي إن شرطة "أكوريري" هم عصابةٌ من الحمقى الأغبياء.

علقت "يوا":

- أليست هذه مبالغة؟

إنها لا تتدخل في المحادثات الصحفية عادةً، لكن الاحتقار البادي على وجهها كان واضحًا حتى لـ"أكنار".

ذهب إلى "يوا"، ووقف أمامها بالطريقة المهددة نفسها. لا بد أنه تعلمها من مشاهدة الأفلام الأمريكية التي تدور عن عصابات البلطجية. قال لها:

- ماذا؟ ما أنتِ بالضبط؟ متحولة جنسيًّا؟ أم مثلية مسترجلة وضعيفة؟

لم تخف "يوا"، فهي أكثر قوةً وصلابةً منه. قالت:

- كيف أكون ضعيفة ومسترجلة في الوقت نفسه؟

زمجر "أكنار" بعنفٍ، لكنه عجز عن التفكير في ردٍ مناسبٍ.

أضافت "يوا":

- على أي حال، رائحة نفسك المتعفنة كافية لإضعاف أي شخص. ألم تجد فرشاة أسنان في قسم الشرطة؟

الأمور تخرج عن السيطرة على ما يبدو. اقتربت من "أكنار" راسمًا ابتسامةً كبيرة على وجهي، وقلتُ:

- تعاملي برفقٍ معهم يا "يوا". لقد كانوا محتجزين. "أكنار"، هل تمانع التَّحدُّث قليلاً عن اعتقالك وإطلاق سراحك؟

هدأ التوتر قليلاً، سار إلى رفيقيه ووقف بينهما سانِدًا ذراعيه على أكتافهما، وقال:

- حسنًا، التقطي صورةً لنا أيتها المسترجلة.

ثم قال لي:

- وأنت أيها الحقير، فلتكتب تحت الصورة أن شرطة "أكوريري" تعدت حدودها. إنها تتنمر على الغرباء الأبرياء الذين أتوا لـ"أكوريري" بحثًا عن بعض المرح. لم نرتكب أي أخطاء. لم نخطئ قط.

ثم ربت على ظهري صديقيه فانفجرا بالضحك وكأنه أمرهما، فالتقطت "يوا" الصورة.

قال "أكنار":

- حسنًا يا رفاق. لنحتفل ونشرب ثم نبحث عن بعض اللذة.

ضحكوا ساخرين، بينما يركبون سيارةً جديدة سوداء من طراز "هوندا". تعرفت عليها، فلقد رأيت "أكنار" يتجول بها وسط المدينة في تلك الليلة المصيرية قبل خميس العهد.

تذكرت أغنية فيلم "ستريت رايدر": "يشق الطريق بسيارته الـ"هوندا" الجديدة...".

جلس "جارتار يونسون" خلف المقود، وجلس "باتوراك" في مقعد الراكب الأمامي، أما "أكنار" فجلس في الخلف مثل كبار الشخصيات الذي يصاحبه سائقه وحارسه الشخصي. عندما مروا بجانبنا فتح "أكنار" النافذة وصاح:

- لطالما أردت اغتصاب مثلية مسترجلة لعينة. أراكِ لاحقًا!

تبادلت النظر أنا و"يوا". شعرت بالصدمة فيما هزَّت رأسها ببساطة.

شعرت بخوفٍ مبهم، بينما أقود في شارع "أوديرارجاتا" حتى وسط المدينة. مررت بالمكتبة ثم انعطفت يسارًا في شارعٍ قصير اسمه "هولابراونت"، حيث مسكن "سكارفيدين". دارت في عقلي المعلومات القليلة التي أعرفها عن القضية، واكتشف أنه ينقصني الكثير جدًّا. ركنت سيارتي ونظرت إلى المبنى الخرساني الأبيض والمكون من ثلاثة طوابق. هذا كان بيته. والآن ماذا؟

بعد دقائق قليلة من التردد أمسكت تليفوني، واتصلت بالدليل، ثم سألت عن رقم "سكارفيدين فالياردسون" في "أكوريري". حصلت على رقمٍ لخطٍ أرضي، فاتصلت به.

ما من مجيب.

ماذا توقعت؟ هل ظننت أنه سيرفع السماعة ويقول: "معك "سكارفيدين"؟!

ربما تمنيت أن أجد شخصًا في الشقة، أو جهازٍ للرد الآلي يشاركني بعض المعلومات. على الأقل لم تنقطع خدمة التليفون. خرجت من السيارة وسرت نحو المبنى الذي بدا فخمًا ومصونًا. مكتوبٌ عند جرس الاتصال الداخلي للطابق الأخير "الطابق الثالث والعلية، "سكارفيدين".

ضغطت الجرس لأرى ما سيحدث. بالطبع ما من مجيبٍ. كدت أعود لسيارتي حين طرأت لي فكرة. ضغطت جرس الطابق الأول، فلم يجب أحد. جربت جرس الطابق الثاني فردت فتاة صغيرة على جهاز الاتصال الداخلي:

-

مرحبًا؟

-

مرحبًا. اسمي "إينار". هل والدتكِ بالمنزل؟

-

لا.

-

ماذا عن والدك؟

-

لا.

يبدو أنها ليست ثرثارة:

-

إممم...

-

كلاهما في العمل.

-

ما اسمكِ؟

-

"أوسب".

-

يا له من اسمٍ لطيف.

-

كلا، إنه مقزز.

-

كم عمركِ؟

-

اثنا عشر.

-

كنت أعرف "سكارفيدين" الذي يسكن الطابق العلوي...

قالت الفتاة:

-

إنه ميت.

-

أعرف. هل كنتِ تعرفينه؟

-

لا.

-

إذًا...

-

حسنًا، كان يعطيني الحلوى أحيانًا.

-

كان لطيفًا معكِ، صحيح؟

-

كان لا بأس به.

-

هل كان والداكِ يعرفانه جيدًا؟

-

لم يطِقه أبي مطلقًا.

شعرت أن المحادثة من على باب العمارة هذه قد طالت وأصبحت غريبة. لكنني لم أجرؤ على أن أطلب من الفتاة السماح لي بدخول المبنى. مع حال الدنيا اليوم يعلم الله ما التهم التي ستوجه إليَّ.

سألتها:

-

حقًّا؟ لماذا؟

-

لأن أمي تظنه لطيفًا.

فكرت قليلاً، وقلت:

-

وماذا تظنين أنتِ؟

-

كان معقولاً. لكن "رونار" أكثر منه جاذبية.

-

أنت تعرفين "رونار"؟

-

سينتقل إلى شقة "سكارفيدين".

-

حقًّا؟

-

نعم. لن أتحدث إليك أكثر من ذلك.

أغلقت الخط في وجهي.

* * *

اتصلت بـ"جونهيلتور" في دار الرعاية، وسألتني:

- هل كانت "راكنا" لطيفةً معك؟

أجبتها، بينما أعد الشقوق في الجدار المقابل لنافذة مكتبي:

-

كانت لطيفة. مرحة للغاية.

-

هل صنعت لك الفطائر المحلاة؟

-

بالطبع فعلت.

تنهَّدت "جونهيلتور"، وقالت:

-

يا لها من حياة يا بني. لا يمكنني حتى صنع الفطائر المحلاة لزواري. أي نوعٍ من الحياة هذه؟!

-

لكن أليس هذا مريحًا؟ أن ترتاحي من كل الأعباء؟

-

دعني أخبرك شيئًا. كنت أصنع فطائر أحلى من التي تعدها "راكنا".

صمتت قليلاً، وشردت قائلة:

- كنت.

قلتُ:

-

"جونهيلتور". من كان طبيب ابنتكِ؟

-

لمَ تريد معرفة ذلك بحق السماء؟

-

حسنًا، فكرت في سؤاله عن صحتها قبل الوفاة.

-

صحتها؟ "أوستيس بيورك" كانت بصحةٍ ممتازة وقوية كالحديد إلى أن قتلها "أوسجير" في...

قاطعتها:

-

ما اسم الطبيب؟

-

إنه "كارل".

-

"كارل" ماذا؟

-

"كارل هيارتارسون". إنهما يعرفان بعضهما منذ الدراسة الثانوية.

شكرتها، وأنهيت الاتصال قبل أن تلح لمعرفة أخبار التحقيق في وفاة ابنتها.

بحثت عن الطبيب "كارل هيارتارسون" في دليل التليفونات. رفعت إصبعي لأتصل حين رنَّ التليفون فجأة. أجبت فوجدت "تراوستي لوڤ" يقول باختصار:

-

أحسنت عملاً!

-

شكرًا جزيلاً.

-

ماذا عن "السؤال"؟

لم أجد ما أقوله، فأجبت ساخرًا:

-

إنه يبحث عن إجابة.

-

اسمع، لقد سئمت من عبثك.. ماذا...

لا أعرف عمَّ يتحدث، فسألته:

-

لمَ لا تقول ما لديك؟

-

ماذا عن فقرة "سؤال اليوم"؟

هذا ما يقصده إذًا.

- كان من المفترض أن ننشرها في عدد اليوم يا صاحبي. هل من الصعب عليك التذكر؟

أجبته:

-

تحدث إلى "هانس" بخصوص ذلك. أنا أركز على قضية "سكارفيدين" بإذنٍ منه.

-

مؤكد لديك خمس عشرة دقيقة من أجل "سؤال اليوم". فتحقيقك في قضية "سكارفيدين" لا يجلب لنا سبقًا صحفيًّا كل يوم. بدأت أظن أنك عدت للخمر مجددًا، وأصبحت سكّيرًا.

لسببٍ ما وجدت نفسي أشتعل غضبًا، فقلت:

- فلتذهب أفكارك إلى الجحيم. لا أهتم. أنت خبيرٌ في سوء التفاهم، سواء كنت غارقًا في الخمر أو منتبهًا تمامًا.

علق "تراوستي":

-

كفى، كفى. من الواضح أنك أصبحت عصبيًّا يا صاحبي. أليست هذه علامة أكيدة على السكر أو الاقتراب منه.

-

ستحصل علي مقالٍ لعدد الغد عن عصابة "ريتارجيرتي" التي أُطلق سراحها هذه الصباح. وهناك صورةٌ أيضًا حتى تضعها في مؤ...

أمسكت لساني عن السباب، وأكملت:

- وفي الأسبوع التالي سأرسل لك إجابات فقرة "سؤال اليوم" من "أكوريري". السؤال هو: "من أكثر المغفلين جاذبية في أيسلندا؟". وداعًا!

* * *

اعترض الطبيب "كارل هيارتارسون" حين أعاد الاتصال بي بعد ساعتين:

- لا يمكنني التَّحدُّث مع الصحافة عن أحد مرضاي.

أوضحت له:

-

لكن "أوستيس بيورك جوتمونتستوتير" لم تعد مريضتك بعد الآن. إنها متوفاة.

-

هذا لا يشكل فرقًا. لن أجيب أي أسئلةٍ عنها.

ثم أضاف:

-

إلا بإذن عائلتها.

-

أي عائلة؟ هل يمكن لوالدتها أن تعطيك الإذن؟

فكَّر، وقال:

- لا، أنا واثقٌ من أن إذن زوجها وابنها مطلوب.

حاولت مجددًا:

-

أخبرني ابنها أنها كانت مصابة بوسواس التوهم المرضي.

-

لا يمكنني تأكيد أو نفي ذلك. ما الفائدة أصلاً؟ لماذا تهتم الصحافة؟

-

في الواقع، لقد اتصلت بي "جونهيلتور"، وأخبرتني أنها واثقة من أن ابنتها تعرضت للقتل.

صمت الطبيب قليلاً، ثم قال:

-

هذا من شأن الشرطة بالتأكيد. لكن لا توجد شكوك حول ذلك على حد علمي. هل تعرف ما وسواس التوهم المرضي؟

-

أن يتوهم الإنسان بأنه مصابٌ بالأمراض، صحيح؟

تنحنح "كارل هيارتارسون" بصوتٍ عالٍ، لكنه لم يقل شيئًا، فسألته:

-

هل تلمّح إلى أن والدتها "جونهيلتور" هي المصابة بالتوهم المرضي؟

-

أنا لا ألمّح إلى ذلك أبدًا.

-

هل التوهم المرضي مرضٌ وراثي؟

-

أنا لا ألمّح إلى ذلك أيضًا.

-

إلى ماذا تلمّح إذًا؟

-

لن أقول شيئًا إلى أن يسمح لي زوج "أوستيس بيورك".

هكذا انتهت المكالمة.

لحسن الحظ إن الإنترنت مستعدٌ لمشاركة المعلومات أفضل من الطبيب "كارل هيارتارسون".

يقول مقالاً أمريكيًا إن الشخص المصاب بوسواس التوهم المرضي يكون مهووسًا بأفكار ومخاوف صحية. يمكن تشخيص الإنسان بالتوهم المرضي إن ظل مقتنعًا باستمرار لمدة ستة أشهر أنه يعاني مرضًا خطيرًا، بغض النظر عن نفي الأطباء. يُصاب الرجال والنساء بالتوهم المرضي على حدٍ سواء، ويوجد في كل الدوائر الاجتماعية وجميع الأعمار.

يقول مصدرٌ آخر إن الشخص المصاب بالصداع أو المغص أو الدوار أو الإرهاق قد يسيء تقدير هذه الأعراض أو يبالغ فيها على أنها إشاراتٍ لأمراضٍ خطيرة. فبالنسبة للمريض قد يتوهم أن الصداع نتيجة ورم في الدماغ، وليس نتيجة إجهادٍ بسيط أو صداعٍ نصفي. وربما يتوهم أن ألم الصدر هو أزمة قلبية، وليس تيبسًا في العضلات. وأي تعبٍ قد يعتبره

بسبب سرطان فتَّاك.

يقول مقالٌ في جريدة طبية بريطانية إن مخاطر وسواس التوهم المرضي تشمل الحالات النفسي، مثل الاكتئاب والقلق واضطراب الشخصية. تمامًا كما تفعل سوء المعاملة الجسدية أو الجنسية أو العاطفية للأطفال. وأخيرًا وليس آخرًا، ينتقل المرض بالوراثة في العائلة.

عرفت أن مرضى التوهم المرضي يستشيرون الأطباء كثيرًا، وأحيانًا عدة مرَّاتٍ في اليوم نفسه. كما يذهبون لمختصين ويكررون الفحوصات للأعراض ذاتها بحثًا عن تأكيدٍ طبي لمخاوفهم. في بعض الأحيان يستغل عديمو الضمير المخاوف المرضية طمعًا في الربح. يميل المريض إلى العزلة، وهذا يتوافق مع ما أخبرتني به "راكنا" عن سلوك "أوستيس بيورك" في آخر حياتها.

يمكن شفاء وسواس التوهم المرضي. لكنه يستغرق وقتًا طويلاً والنجاح ليس مضمونًا. الأدوية تساعد، وخاصةً مضادات الاكتئاب. أحيانًا يكون العلاج النفسي للسلوك فعالاً. عديد من المتخصصين يقولون إن التوهم المرضي والوسوسة هما رد فعلٍ من اللا وعي بداخلنا على عوامل الضغط العصبي.

الأمر ممتع جدًّا. تعلمت شيئًا عن وسواس التوهم المرضي. لكنني لم أعرف شيئًا عن حالة "أوستيس بيورك" الصحية. لا فكرة لديَّ أين أبحث تاليًا، أو ماذا أفعل الآن. الإنترنت لن يساعدني في هذا.

أشعر بأن المأمور "أولافيور جيسلي" في الوضع نفسه.

اتصلت به هذا المساء، وقال:

-

هؤلاء الحمقى الأغبياء كانوا لديهم بعض الذكاء ليواصلوا الإنكار. لقد اتفقوا فيما بينهم على الالتزام بقصةٍ معينة. قالوا إنهم طُردوا من الحفل، ثم ذهبوا ليشربوا في البلدة. لكنهم لم يقولوا أين بالضبط.

-

لكن ألا تظن أن أحدهم على الأقل كان لينهار تحت ضغط الاستجواب إن كانوا حقًّا متورطين في وفاة "سكارفيدين"؟ فـ"جارتار يونسون" مثلاً يبدو بلا فائدة بالنسبة لي.

-

"جارتار"؟ إنه مغفلٌ تمامًا.

-

لكن لماذا لم تحتجزهم حتى انتهاء مدة أمر الاعتقال؟ لديك بضعة أيامٍ أخرى، صحيح؟

-

نعم. السبب في إطلاق سراحهم هو أن شاهدًا أتى مساء أمس وقال إنه كان مع هؤلاء البلهاء الوضيعين من الساعة الثالثة صباحًا حتى الثامنة صباحًا يوم خميس العهد.

-

من الشاهد؟

-

صديقنا القديم "فريديك إينارسون".

-

حسنًا، حسنًا. لا بد أنه بذل جهده ليتذكر ما قال إنه قد نسيه.

-

نعم. قال إنه يتذكر رؤية المغفلين الثلاثة وسط المدينة بعد مغادرته الحفل. قال إنه ركب معهم ودعاهم إلى بيته ليواصلوا الاحتفال. أسرفوا في شرب الخمر.

-

لكن لماذا تصدقه؟ "فريدريك" أبله ومدمن.

-

أوافقك الرأي. المشكلة هي أنه لا يزال يعيش مع والديه. كادت الأم تموت من القلق على ابنها الحبيب، فظلت تنظر من نافذة المطبخ إلى حين عودته.

-

وهي دعمت قصته، صحيح؟

-

هذا ليس كل شيء. إنها لم تنم لحظةً طوال الليل بسبب قلقها وبسبب الضجة التي يصدرونها من القبو، بالإضافة إلى الأغاني الصاخبة جدًّا. في الثامنة صباحًا أيقظت زوجها فنزل غاضبًا إلى القبو وطرد الحمقى خارجًا. كانوا سكارى تمامًا.

-

وهو دعم القصة؟

-

نعم. الوالدان هما من أجبرا "فريدريك" على القدوم. هذا لم يدع لنا مجالاً مع المغفلين الثلاثة.

-

هل قالوا شيئًا عمّا حدث بينهم وبين "سكارفيدين" تلك الليلة؟

-

قالوا فقط إنه أهانهم في الحفل، وقال سبابًا عنصريًّا إلى الفتى الكرواتي.

-

غريب. لم أسمع أي تلميح على أن "سكارفيدين" كان عنصريًّا. بدا لي قوميًّا قديم الطراز أو وطنيًّا. لكن ليس عنصريًّا! هذا صادمٌ بالفعل. بدا ناضجًا جدًّا وذكيًّا ليفعل شيئًا كهذا. "جارتار يونسون" نفسه كان مرتديًا قميصًا مكتوبًا عليه "الرجل الأبيض هو الأقوى!" هذا الصباح. يبدو أنه حتى المعلومات القليلة التي ظننت أنني فهمتها لم تكن صحيحة.

-

لست الوحيد.

-

لكن ما دافعهم؟ لماذا قد يريدون قتل "سكارفيدين"؟

-

الحمقى لا يحتاجون دافعًا.دافعًا إنهم فاقدون صلتهم بالواقع تمامًا. يظنون أنهم يعيشون في فيلم جريمةٍ أمريكي. ويختفي الدافع تمامًا إذا كانوا سكارى أو منتشين. رأينا الكثير من هذه الحالات في الماضي ولا نزال نراها في الحاضر. هنا وهناك وفي كل مكان.

-

هل تعرف إذا ما كانوا متورطين في ترويج وبيع المخدرات أو جمع الديون؟

-

لدينا الأسباب التي تدفعنا لاعتقاد ذلك، لكن لا يوجد دليلٌ مادي. شهودنا الذين هم زبائنهم أصبحوا كما لو فقدوا الذاكرة. رفضوا الشهادة أو خافوا منها.

-

ما العمل إذًا؟

-

سنراجع جميع الأدلة ونعيد التحقيق في كل شيء.

أطفأت الكمبيوتر لأعود إلى المنزل وإلى "بولي". ثم لاحظت صورة وسط كومة الأغراض التي على مكتبي. إنها صورةٌ مكبرة أعدتها لي "يوا". بينما أهبط على السلالم سمعت "كارو" تصرخ في الأعلى و"أوسبيورن" يهدئها. قررت أن الخطوة التالية في القضية لا يمكنها الانتظار للغد.

الصورة هي لفتاة صغيرة وامرأة في منتصف العمر. أُضيفت إلى كومةٍ كبيرة من "أسئلة اليوم" غير المجاب عنها من "أكوريري".

19 الأربعاء

- يا إلهي!

أسقط "أوسبيورن" الصورة التي أريته إياها على مكتبي، وأمسك وجهه المنتفخ بيديه.

التزمت الصمت.

- يا إلهي!

لم أعلق.

التقط الصورة مجددًا بأيدٍ مهتزة وتأملها بذهول.

سألته:

- هل تعرف هذه المرأة؟

وقف "أوسبيورن" في مكتبي غير قادرٍ على إبعاد عينيه عن صورة "بيورج" منقذة "بال"، وهي تقف مع أمها "جوترون". الصورة مشوشة قليلاً. استخدمت "يوا" مهارتها لتكبير جزء من الصورة التي التقطتها لـ"بيورج" و"بال" أمام البيانو الذي يوجد عليه صورٌ أخرى. لكن يبدو أنها واضحة بما فيه الكفاية لـ"أوسبيورن".

ترنح وهو متشبثٌ بالصورة. نهضت من خلف مكتبي وقلت له:

- تفضَّل اجلس يا "أوسبيورن" قبل أن يغمى عليك.

انهار على الكرسي الخاص بي. ثم سألته بعد فترة صمتٍ طويلة:

- من هذه المرأة؟

رفع "أوسبيورن" وجهه فرأيت العرق على جبينه والدموع في عينيه. قال بألم:

-

إنها "جوترون".

-

لكنك تعرف أن لقب عائلة "بيورج" هو "جوترونارتوتير"، لذلك من الواضح أن اسم أمها "جوترون".

-

لكنني لم أربط بينهما. لقد نسيت...

انتظرت قليلاً فيما شبك كفيه ونظر للأسفل قائلاً:

-

تواعدنا لفترة أثناء وجودي في "أكوريري" سابقًا، قبل أن أتخرج من الثانوية بقليل.

-

و؟

-

ذهب كلٌ منا في طريقه. هاجرت إلى "ريكيافيك" في الجنوب لأعمل صحفيًّا في جريدة "بيبولز بريس" كما تعرف. أما هي فالتحقت بإحدى الجامعات في الخارج لدراسة الهندسة المعمارية. لم أعرف عنها شيئًا منذ ذلك الحين.

انتظرته ليكمل.

هز رأسه بحزنٍ، فقلت:

- أنت تدرك أن سن "بيورج" يجعلك في سن والدها؟

لم يرد. سمعت نباحًا خافتًا من قسم الاستقبال. ربما "بال" ليس وحده من عليه الحصول على حب واهتمام "أوسبيورن".

واصلت:

- ربما تكون كذلك، لكن ليس مؤكدًا.

تنهَّد "أوسبيورن"، وقال:

-

لكن لماذا لم تخبرني "جوترون" بالأمر؟ لماذا لم تتواصل معي قط؟

-

لا أعرف إجابة سؤالك. لكن الآن عليكما حقًّا التواصل معًا.

-

هل تظن أن المكالمات الغامضة واختفاء "بال"...

سمعنا فجأة صوتًا من الباب يقول:

- ماذا عنها؟

استدرنا فرأينا "كارولينا" تحدق بـ"أوسبيورن" الذي جلس منكمشًا وهو ما زال يمسك الصورة.

تلعثم "أوسبيورن":

- عزيزتي "كارو".

سارت إلى زوجها بنظرةٍ مرتابة، ثم لمحت الصورة وجذبتها منه.

صاحت متسائلة:

- ما الذي...؟

ثم شحب وجهها، وقالت:

- هذه المرأة...

اضطرب "أوسبيورن" تمامًا، وسألها:

-

أي امرأة؟

-

إنها المرأة التي سألتني عن الاتجاهات عند الكنيسة، بينما كان "بال" يركض وسط العشب قبل أن يختفي.

تبادلت النظر مع "أوسبيورن".

قالت "كارولينا" التي اضطربت مثله تمامًا:

- "أوسبيورن جريمسون"، من هذه المرأة؟

قبل أن يجيبها "أوسبيورن جريمسون" شعرت أن عليَّ الانسحاب من الساحة.

فكَّرتُ في خطوتي القادمة، بينما أسير في الشارع الخالي تقريبًا إلى مطعم "باوتين". بدا

الطريق طويلاً مع كثير من الانعطافات المتعرجة.

يبدو أننا لا نصل إلى أي نتيجة من التحقيق في وفاة "سكارفيدين" بما فيه من المعلومات التي جمعتها أنا والشرطة.

جلست في المطعم، وطلبت قهوة، ودليل تليفونات.

بمجرد أن وجدت رقم مصنع "يام" ودوَّنته أشعلت سيجارة، فأخبروني فورًا أن هذه المنطقة لغير المدخنين. أنهيت قهوتي وخرجت. أشعر بأنني لاجئ يهرب من حياته. وقفت عند ناصية الشارع واجتاحتني فجأة رغبةٌ ملحة في أن يتم القبول بي. كان شعورًا قويًّا جعلني أسحق علبة السجائر وألقي بها في أقرب سلة قمامة.

استندتُ على السور الحجري القصير المحيط بفندق "KEA". واتصلت بالمصنع، ثم سألت على "راكنا أورمانستوتير".

رحبت بي بمودة:

-

مرحبًا. كيف حالك اليوم؟

-

هل يمكنني سؤالكِ شيئًا عن جولة البراري؟ أخبرتني أن "أوستيس بيورك" لم تختلط بالناس مؤخرًا. أليس غريبًا أن تذهب إلى رحلةٍ كهذه أو تحضر عشاء الشركة؟

-

نعم، هذا صحيح. لا أتذكر رؤيتها في أيٍ من النزهات الجماعية للشركة منذ ثلاث سنواتٍ على الأقل.

-

وكيف بدت؟ هل كانت على طبيعتها؟

-

ليس تمامًا. في الماضي كانت مرحة ونشيطة. لكنها أصبحت منعزلة وبالكاد تتكلم.

-

هل بدت مخمورة أو ما شابه؟

-

من الصعب الجزم. كنا في القارب نفسه، لكنها جلست في المؤخرة مع "أوسجير". كانت ترتدي نظاراتٍ شمسية. لم تتكلم.

-

هل شاركت في القفز من على الجرف أو الرياضات المائية، وما إلى ذلك؟

-

لا. لكنها خرجت من السيارة وشاهدتنا. لاحظت أنها تسير ببطءٍ وصعوبة. فظننت أنها مريضة. لكنها جاءت معنا للتزلج بالطوف في الماء المندفع. لم نتوقع هذا قط، لذلك صفقنا لها بشدة وقبّلها "أوسجير" و...

صمتت قليلاً. أظنها على شفا البكاء. مددت يدي إلى جيبي لأخرج علبة السجائر فلم أجدها لأنني رميتها سابقًا. قلت:

- أنا آسف. ما كان عليَّ سؤالكِ عن الأمر مجددًا.

بدأت تتمالك نفسها، وقالت:

- لا بأس. لقد حدث ما حدث. ما باليد حيلة.

غامرت بسؤالها:

-

هل ضغط عليها "أوسجير" لتنضم إليكم؟

-

لا أعرف. كانا جالسين في مؤخرة السيارة، وكانا يتحدثان قبل أن يخرجا منها. هذا كل ما أعرفه.

-

إممم.

تمتمت، بينما أُسرع عائدًا إلى سلة القمامة، ثم سألتها:

-

هل "أوسجير" في المصنع اليوم؟

-

نعم، هل تريد التَّحدُّث إليه؟

مددت يدي في سلة القمامة، وأجبت:

-

إممم.. لستُ واثقًا.

-

سأوصلك بسكرتيرته مجددًا. من الأفضل ألا أوصلك به مباشرةً بنفسي. لا أريده أن يعرف...

تبًا، إن علبة السجائر اللعينة في قاع السلة.

- لا، أتفهم الأمر. سأتصل مجددًا بعد قليل.

شكرتها، وتخليت عن فكرة استرجاع السجائر. بينما أسحب يدي أعطاني أحدهم قطعة نقود من فئة مائة كرونا. إنها سيدة عجوز أنيقة، مرَّت بجانبي وابتسمت لي بمزيجٍ من الشفقة والتشجيع.

ناديتها:

- مهلاً يا سيدتي، لا داعي لذلك!

فات الأوان. لوحت لي بيدها المغطاة بالقفاز دون أن تنظر خلفها.

توجهت إلى أقرب متجرٍ لشراء علبة سجائر. لم أدَّعِ الكمال قط، صحيح؟

* * *

يقع مصنع "يام" في المنطقة الصناعية شمال شارع "جليرارجاتا". إنه مبنى أبيض ممل من طابقين ولا يوجد ما يميزه. هذا ما يفضله البناؤون الأيسلنديون، البناء السريع والرخيص، ثم البدء بجمع الأرباح.

جلست في سيارتي أدخِّن وأنا أشعر بالذنب. ظللت أعد الدقائق حتى تحين الساعة الثالثة والنصف.

اندهشت حين وافق "أوسجير إفينتارسون" على مقابلتي أثناء استراحة القهوة الخاصة به.

أعترف أن الأمر لم يكن بهذه البساطة. اتصلت بابنه "جوتمونتور" وأكدت له أنني لم

أتعمد قط إثارة الجدل حول وفاة والدته المأساوية، لكن حالة التوهم المرضي شدت انتباهي وانتباه جريدة "أفتر نون نيوز". الشعب الأيسلندي لا يعرف الكثير عن هذه الحالة، لذا أردت معرفة المزيد. السؤال كان هل هو أم أبوه من سيرغب في الحديث عن معاناة التوهم المرضي لدى أحد أفراد العائلة بهدف إخبار العامة بهذا المرض؟ قال إنه سيتحدث مع والده عن الأمر. وسرعان ما أعاد الاتصال بي وقال إن "أوسجير" سيقابلني لمدة نصف ساعة.

تقع مكاتب المصنع في الطابق العلوي من المبنى، بينما يحتل المصنع نفسه الطابق الأرضي. تفوح رائحة الشوكولاتة المحشوة اللذيذة وتحوم حول المدخل والسلالم. يمتلئ مكتب الاستقبال بعيناتٍ من منتجات الشركة؛ قوالب الشوكولاتة، وبسكويت الشوكولاتة، وكيك الشوكولاتة، وأكياسٍ من الحلوى متماسكة القوام، وحلوى عرق السوس، وصينية مليئة بالحلوى الملونة مختلفة الأشكال.

لم أجد موظفة الاستقبال. وهناك ثلاثة مكاتب أبوابها مفتوحة وخالية من الموظفين.

طرقت على مكتب الاستقبال قائلًا:

- مرحبًا! أنا "إينار"!

سمعت صوتًا من الخلف يقول:

- تعالَ. أنا في آخر مكتب.

تبعت مصدر الصوت.

في الطرف الشرقي من المبنى هناك مكتبٌ ضخمٌ ومضيء يطل على منظرٍ خلاب للمضيق والجبال. نزع "أوسجير إفينتارسون" نظارته المربعة المحاطة بإطارٍ ذهبي، ثم نهض من خلف مكتبه المصنوع من خشب الماهوجني والمكدس بالأوراق. دعاني للجلوس على كنبة فخمة من الماهوجني، منجدة باللون الأصفر الشاحب لتلائم الستائر. الجدران مغطاة بالخشب الداكن، ومزينة بلوحاتٍ لكبار الفنانين في الفن الأيسلندي الحديث، مثل "تريجفي أولافسون" و"توتلي" و"هيلجي ثورجيلس". هذا كل ما يمكنني قوله.

قال وهو يشير نحو مكتب الاستقبال:

- عذرًا. جميعهم في استراحة القهوة.

أجبت بابتسامةٍ كبيرة، بينما أغوص بارتياحٍ في الكنبة:

- لا مشكلة. أنا ممتن لأنك تخليت عن استراحتك لأجلي.

جلست و"أوسجير" مقابل بعضنا على مقعدين متطابقين، وأعطاني نظرةً متسائلة. إنه رجلٌ وسيم في منتصف العمر. يرتدي بنطلونًا أسودَ أنيقًا وقميصًا مكويًّا باللون الأزرق الفاتح مع ربطةِ عنقٍ لونها أحمر داكن. جسده طويل ومتناسق، لا يوجد سوى القليل من الدهون حول الخصر. ملامح وجهه حادة وله أنف مدبب وشارب رمادي. شعره الرمادي ممشطٌ للأمام ليلتقي بحاجبين مستقيمين. عندما مال للأمام لاحظت أن شعره خفيف

وقليل في الوسط. باختصار، إنه تجسيدٌ للثقة الملهمة.

رد وهي يضع أمامي طبقًا من الحلوى:

-

لا بأس أبدًا. ربما كنت عصبيًا قليلاً في اليوم الماضي. أعتذر.

-

لا داعي للاعتذار.

تناولت بسكويتة شوكولاتة، بينما أفكر: "يا إلهي، يا لها من محادثة مهذبة. غاية في التحضر. هذا في صالحنا نحن الاثنين".

-

أنا واثق من أنك تدرك أن الأشخاص الذين يمرون بتجاربٍ مؤلمة مثلنا يشعرون بالحساسية تجاه التدخل في شؤونهم، وخاصةً من الصحافة.

-

أتفهم الأمر. لم أقصد أن أسبب لك مزيدًا من الألم. لكنني تلقيت اتصالاً من "جونهيلتور" و...

عبس وتجاهل مبرراتي قائلاً:

-

لا داعي للتحدث أكثر عن هذا الأمر. فلننسَ هذا الهراء. أخبرني ابني أن الجانب الإيجابي في كل هذا الأمر هو أنك مهتمٌ بمرض التوهم المرضي.

-

هذا صحيح.

-

لهذا وافقت على لقائك. لا يمكن للناس أن يتخيلوا معاناة العائلة التي تعاني من هذا المرض الغريب.

-

المعاناة أصعب بالنسبة للمريض بالتأكيد.

انطلقت الكلمات من فمي، بينما أشغل المسجل.

من الواضح أن "أوسجير" لم يكن يستمع إليَّ.

- لكنني أريد قراءة الحوار قبل نشره. وربما أفضِّل عدم نشر اسمي.

قلت:

- حسنًا. لكن تأثير هذا اللقاء سيكون أقوى مع ذكر الأسماء.

رد بتفكير:

- ربما. لكنه قراري.

أومأت.

بدأ يخبرني عن وسواس التوهم المرضي بشكلٍ عام، بينما يفتل شاربه من حين لآخر وكأنه يساعده على التركيز. لم يضف جديدًا إلى ما عرفته من مصادر أخرى بالفعل.

حاولت توجيه الحديث إلى نقطةٍ أكثر دقة:

- متى ظهرت أعراض المرض على "أوستيس بيورك"؟

لم يتردد وواصل الشرح باستفاضة:

- بعد ولادة ابننا مباشرةً. في الواقع، لقد أظهرت بالفعل بعض أعراض الوسواس القهري أثناء الحمل. لقد استحوذ على تفكيرها تمامًا. كانت دومًا تتخيل أن مكروهًا سيحدث، وتتساءل: هل الطفل طبيعي؟ هل يجب أن تتفادى بعض أنواع الإجهاد؟ هل من الجيد أن تقود سيارة؟ هل يجب أن تتناول أطعمة معينة؟ لكنني فهمت أنه من الشائع أن تقلق الأمهات في الحمل الأول. بعد ولادة "جوتمونتور" ركزت مخاوفها على نفسها. كانت دومًا متعبة وتشتكي من تقلصات المعدة وضيق التنفس والأرق. بدأت تذهب للطبيب أسبوعيًا لعمل فحوصات، ثم أصبحت مرَّتين أسبوعيًا. لم تتقبل قط أنها بخير كما أخبرها. أصرَّت على أنها هي فقط من تشعر بما تعانيه. ظننت أن طبيبنا مهمل أو غير كفء. لكنه صديقٌ قديمٌ لنا من المدرسة وهي كانت تثق به تمامًا حتى ذلك الحين.

أضفت:

- "كارل هيارتارسون".

كان مندفعًا في حديثه، لكنه نظر إليَّ متسائلاً:

- نعم، كيف عرفت؟

أجبت ببراءةٍ قدر المستطاع:

- أخبرتني "جونهيلتور". عندما لم نتفاهم أنا وأنت، اتصلت بـ"كارل" لأسأله عن وسواس التوهم المرضي. لكنه رفض التَّحدُّث معي دون إذنك.

أومأ "أوسجير" قائلاً:

-

إن أردت التَّحدُّث معه سأعطيك الإذن. بشرط أن تتحدث فقط عن المرض وليس عن المسائل العائلية الخاصة.

-

بالطبع.

عاد إلى القصة:

- "كارل" وأنا بذلنا جهدنا لنقنعها طالما لم يجد أي مشكلة بها فهذا يعني أنها بخير. ظن أن هذا نوعٌ من اكتئاب ما بعد الولادة، وأن وساوسها ستختفي تدريجيًّا. خلال نمو "جوتمونتور" تمتعت هي بأعوامٍ رائعة حينما كانت تركز على دورها كأم. وقد كانت أمًّا صالحة بالفعل.

صمت قليلاً وبدا وكأنه يقاوم دموعه قبل أن يضيف:

-

وزوجة رائعة.

-

متى عادت المشكلة للظهور؟

-

عندما أصبح "جوتمونتور" مُراهقًا صارت شديدة القلق عليه على الرغم من عدم وجود أي سببٍ لذلك. كان حريصًا على عدم إثارة قلقها أو مخاوفها. كان طالبًا مجتهدًا وابنًا صالحًا. عندها عادت وساوسها حول صحتها مجددًا. لاحظنا أنها تقيس ضغطها عدة مرَّاتٍ في اليوم. كانت تظن أن ضربات قلبها سريعةٌ جدًّا. وإن اضطرب مرة تفزع. ذهبت إلى "كارل"

كثيرًا لكنه لم يجد مكروهًا بها. بعد بضعة شهور أصيبت بحرقةٍ في المعدة، فافترضت مباشرةً أنها قرحة. ثم أصيبت بصداعٍ متكرر فافترضت أنه ورمٌ في الدماغ. بعد ذلك توالت عليها الأوجاع و الآلام.

سكت قليلاً، ثم أكمل قائلاً:

-

تطورت الحالة من سيئ إلى أسوأ بعدما انتقل "جوتمونتور" للعيش في الجنوب. على مدى السنوات الأربع الماضية كان من المستحيل إقناع "أوستيس بيورك" بالخروج من المنزل إلا لزيارة الطبيب، أو بالأحرى الأطباء. اضطر "كارل" إلى إخبارها بأسماء الأطباء المختصين في جميع المجالات؛ العيون، والقلب، والجراحة، والأمراض الجلدية، وأمراض الجهاز الهضمي، والأورام، وأمراض المناعة، والأذن والحنجرة. هذا يعتمد على ما كانت تشتكي منه كل مرَّة. في الأشهر الأخيرة من حياتها كانت مقتنعة بأنها مصابة بسرطان الدم.

-

ماذا عن أطباء الأمراض العقلية والنفسية؟ بما أن مرضها قائمٌ على أوهام عقلها.

-

نعم، بالطبع. جربنا جميع أطباء الأمراض العقلية والنفسية. أحيانًا كانوا يعطوننا أملاً في التحسن. فتصبح أفضل لبضعة أشهرٍ ثم تعود لحالتها الأولى.

-

لكن ماذا عن الأدوية؟ عرفت أن مضادات الاكتئاب تنفع أحيانًا في معالجة وسواس التوهم المرضي.

أجاب "أوسجير" دون تفكير، بينما يتناول حلوى من الطبق:

-

نعم، هذا صحيح. جربنا جميع الأدوية. بعضها بدا فعالاً، لكن ليس لأكثر من بضعة أشهر.

-

هل أدمنت العلاج؟

نظر إليَّ وهو يتناول الحلوى بشراسةٍ، وقال:

-

نعم، أظن ذلك. كانت تأخذ جرعةً أكبر من الموصوفة لها. ظنت أنها ستتحسن أكثر كلما زادت الجرعة. أثَّر الدواء على مظهرها، وازداد وزنها شيئًا فشيئًا...

-

ماذا كانت تتناول قبل وفاتها؟

نظر إليَّ بغضبٍ، وقال:

-

لماذا تريد معرفة ذلك؟ ظننتك ستكتب مقالاً عن وسواس التوهم المرضي؟ أم أنك ستكتب عن حادثة وفاة زوجتي؟

-

حادثة وفاتها هي إحدى عواقب التوهم المرضي.

صمت قليلاً، ثم رد:

-

فهمت ما تعني. نعم، بالطبع هذا صحيح. لا أعرف ما الأدوية التي كانت تتناولها "أوستيس بيورك"، لكن مؤخرًا كانت تتعاطى "بروزاك" مضاد الاكتئاب بشكلٍ أساسي. وأحيانًا المهدئات و"الڤاليوم"، وما شابه ذلك لعلاج الأرق والإرهاق.

-

قرأت أن مرضى التوهم المرضي يشعرون بتحسن إن شربوا بعض الخمر.

رد:

- حقًّا؟ لم تسرف "أوستيس بيورك" في الشرب، لكنها استمتعت به وكان يشعرها بتحسن. لقد أصبحت انطوائية للغاية بالفعل.

سألته:

-

كيف تناول الشراب مع الأدوية؟ هل كانت تعرف حدودها في الشرب؟

-

كانت تشرب نادرًا. فهي لم تكن من النوع الذي يسكر أبدًا.

-

كانت تشرب في المناسبات الاجتماعية والحفلات، وما شابه ذلك، صحيح؟

-

لم تعد تفعل أيًّا من هذا. وحتى لو حضرت أي مناسبة كانت تفضّل العودة إلى البيت باكرًا. لذلك عليَّ القول إنها كانت تعرف حدودها في الشرب بالفعل.

أدركت أن الحديث صار أكثر خطورة، لكنني سألت على أي حال:

- كنتم تشربون في جولة البراري، صحيح؟

رد بصراحة:

- نعم. دائمًا نشرب البيرة. لكن ليس كثيرًا، فهذا لن يكون لائقًا. شربت هي في الرحلة الأخيرة، لكنها لم تسرف في الشرب.

قررت أن أغادر من تلقاء نفسي في الوقت الحالي. نظر إلى ساعته وفعلت المثل. لقد انتهت النصف ساعة التي وعدني بها. أطفأت المسجِّل، وشكرت "أوسجير" على وقته.

قال وهو يهم بالنهوض:

- كنت أفكر في ما قلته بأن الحوارات الصحفية يزداد تأثيرها حين يذكر الناس أسماءهم بدلًا من أن يظلوا مجهولين. أظنك على حق. لاحظت ذلك بنفسي حين أقرأ الصحف. وخلافًا لأي شيء، هناك كثير من النميمة والإشاعات في "أكوريري". خاصةً إن بدأ الناس يصدقون تخاريف "جونهيلتور". لذلك ربما من الأفضل لو ذكرت اسمي. عندها سيعرف الناس الحقيقة.

يمزج تعبير وجهه بين الإصرار والتساؤل.

أجبته:

- هذا يبدو مناسبًا في رأيي. أعتقد أن هذا أفضل.

سار حتى باب مكتبه، وقال:

-

لكنك ستجعلني أقرأ المقال قبل نشره. لقد وعدتني.

-

سأفعل.

-

متى سيُنشر؟

-

حسنًا، إن تحدث "كارل" إليّ غدًا يمكننا اللحاق بعدد السبت المقبل.

-

سأتصل بـ"كارل" وأخبرك بقراره اليوم. هل يمكنك مقابلته في أي وقت؟

-

لا أحتاج حتى لمقابلته. يمكنني التَّحدُّث إليه في التليفون.

لا أعرف لماذا يساعدني هذا الرجل الذي ثار غاضبًا عليّ منذ بضعة أيام، وهددني ثم أغلق الخط في وجهي. تصافحنا، ثم لاحظت وهو يغلق الباب أن قميصه الأزرق الفاتح تبلل تمامًا بالعرق تحت إبطيه.

أثناء خروجي مررت بمكتب الاستقبال، حيث تجلس الآن فتاة جميلة خلف المكتب. لمحت في أحد المكاتب "راكنا أرمانستوتير" تجلس أمام الكمبيوتر. رأيت على الباب المؤدي للسلالم ملصقًا لمسرحية "الساحر لوفتر" من إنتاج فريق المسرح في مدرسة "أكوريري" الثانوية.

توقفت قليلاً. على الملصق صورة لـ"سكارفيدين" في دور البطولة وهو يرتدي قميصًا أبيضَ بلا ياقة ومعطفًا قصيرًا أسودَ. كان يحدق باهتمام إلى كتابٍ أسودَ. في أسفل الملصق هناك ثلاثة شعارات تمثل الجهات الراعية؛ فندق "KEA"، وسلسلة الأسواق الرخيصة "بونَس"، ومصنع "يام" للحلوى.

استدرت لموظفة الاستقبال، وسألتها:

- هل أنتم أحد رعاة عرض طلاب مدرسة "أكوريري" الثانوية؟

ردت بابتسامة:

- نعم، لكن بطل العرض تُوفي. لذلك تأجلت المسرحية إلى ما بعد الامتحانات المقررة في الربيع.

قضيت أمسيتي في التَّحدُّث مع مأمور الشرطة عبر التليفون. قلتُ:

-

ما الأخبار؟

-

"خدود" لذيذة.

-

أي خدود؟ علام تنوي؟

-

"خدود جميلة". شهية. هل جربتها من قبل؟

-

آآآ...

-

لا أستطيع التوقف.

-

حسنًا...

-

ماذا ستتناول على العشاء؟

-

فهمت ما تعني أخيرًا. "خدود أسماك القد". لن أتعشى. لقد تناولت كثيرًا من الحلوى

اليوم. لقد اتصلت بك بنفسي هذه المرَّة، وليس من خلال "أوسبيورن". لا أريد إزعاجه. هل حدثته اليوم؟

-

لا. لماذا تسأل؟

-

حسنًا، كنت أفضل لو أنك عرفت منه مباشرةً. لكنني أظنه في حاجةٍ صديق هذا المساء.

-

هل حدث شيءٌ ما؟ هل هناك مشكلة خطيرة؟

-

لست واثقًا. ربما كان خيرًا.

-

كيف يمكن أن يكون خيرًا وأنت تتحدث هكذا؟ هل هذه إحدى دعاباتك الجنوبية؟

-

اتصل به.

-

سأفعل.

-

لكن ألا يوجد جديد؟ بخلاف خدود القد بالطبع.

-

لا. أعدنا التحقيق في كل شيءٍ منذ البداية. لكن أنا من يود سؤالك هذه المرَّة من باب التغيير.

-

جيد. اسأل.

-

لقد قابلت "سكارفيدين" أثناء البروفة وحاورته، صحيح؟

-

هذا صحيح. قابلته يوم السبت السابق لعيد الفصح، في "هولار".

-

هل لاحظت إن كان يملك موبايل؟

-

نعم، لاحظت في الواقع. فلقد رنَّ في نهاية اللقاء.

-

إممم.

-

ماذا؟

-

قلبنا الدنيا بحثًا عن موبايله ولم نجده. كما لم نجد أيضًا أي موبايل مسجلٍ باسمه.

-

في الواقع، يمكنك شراء واحد دون معرفة أحد. تستطيع شراءه من أي مكان، وليس فقط من المحلات العادية في أيسلندا، بل من أي بلدٍ في العالم أو من الأسواق الحرة أو من أي شخص.

-

نعم، نعم. أعلم ذلك. لا تُحرِّف كلماتي. ما عنيته هو أنه لا يوجد شريحة أو رقم تليفون مسجلان باسم "سكارفيدين" في أي مكان. وإن كنت ستقول إنه بالإمكان شراء شريحة تليفون دون أن يعرف أحد، فوفر كلامك. حتى لو أراد الزعماء في الجنوب إلزام الجميع بإظهار بطاقاتهم لشراء شريحة تليفون كي يمكن تعقب الاسم والرقم، فهم لا يفعلون

ذلك لأجلنا.

-

حقًّا؟ ألا يتم ذلك بطلبٍ من الشرطة؟

-

محتمل. لكن لم يسألني أحد.

-

يا للفضيحة!

-

كما المعتاد. إنهم لا يتصلون بي قبل التسرع في اتخاذ القرارات. مع أن رقمي مسجل في دليل التليفون.

-

ألا تظن أنه من الضروري أن يسجل الناس بياناتهم عند شراء شريحة تليفون؟

-

لم أقل إنه غير ضروري. لكنه مهين ومذل للناس العادية.

-

لكنه سيسّهل عمل الشرطة، صحيح؟

-

لم أطلب من أي شخص تسهيل عملي. أريد أن يكون عمل الشرطة صعبًا. ليس من المفترض أن يكون سهلاً. أي بلدٍ هذا الذي يكون فيه عمل الشرطة سهلاً؟

-

بلد تحكمه الشرطة؟

-

ربما. لا أريد العيش في بلدٍ تعتمد فيه قرارات الحكومة على المجرمين. أريد العيش في بلدٍ تحترم حكومته الناس.

-

نعم، نعم.

-

إن اعتمدت قرارات الحكومة على عصابات المجرمين سينتهي الحال بها إلى عصابةٍ من المجرمين أيضًا.

-

نعم، نعم.

-

هل تسخر مِنِّي أيها الوغد؟

-

على الإطلاق. أنت حقًّا لست شرطيًّا سيئًا.

-

يمكنني أن أكون لو أردت. أريد فقط أن أكون شرطيًّا، ليس جاسوسًا أو جنديًّا؟ هل تعرف رقم موبايل "سكارفيدين"؟

-

لا، لم أحصل عليه قط. ماذا عن أصدقائه ومعارفه وعائلته؟

-

هذا هو الغريب في الأمر. أنت أول من قال إن لديه موبايل. الجميع يقولون إنه كان قديم الطراز، ولم يحب حملَ واحدٍ. هذا يبدو احتمالاً مستبعدًا.

-

ليس حقًّا. ليس بعدما سمعته عن شخصيته. أو بالأحرى هذا يتماشى مع بعضٍ مما عرفته عنه. كما أنني أنا أيضًا قديم الطراز.

-

لكنك رأيت معه موبايل، صحيح؟

-

نعم، لكن قد يكون استعاره.

-

مِن مَن؟

-

لا أعرف. لكن ماذا عن الخط الأرضي؟ أظنك تفحصت المكالمات المسجلة عليه، صحيح؟

-

نعم. لكننا لم نستفد شيئًا. لا يبدو أنه كان يستخدم التليفون كثيرًا.

-

هل هو شابٌ من العصر الحديث يثور على الحداثة نفسها؟

-

تخمينك صائبٌ كتخميني.

* * *

في طريقي من مصنع "يام" إلى البلدة اتصلت بمكتبةٍ للكتب المستعملة واشتريت نسخةً قديمة من مسرحية "الساحر لوفتر".

رقدت على الكنبة في غرفة المعيشة واضعًا مخدة تحت رأسي، بينما تنقر "بولي" رفيقة غرفتي. غنت وزقزقت بينما أتصفح المسرحية القديمة التي عادت للحياة مجددًا.

قرأتُ عن رجلٍ تاق ليصبح سيد حياته، وليتحكم بكل من حوله بلا اعتبارٍ لأي شخص أو شيءٍ عدا إرادتِه. أو كما صاغتها المسرحية، رغبته. وقرأت عن فكرة مثلث الحب الخالِدة.

أصابني النعاس حتى توقفت عند منتصف الفصل الأول وعجزت عن الاستمرار. توقفت عند جملةٍ لـ"أولافيور" الذي يعشق "ستينيوم"، الفلاحة التي حملت من صديقه "لوفتر". نمت عند تلك الجملة، ثم استيقظت أثناء الليل بسبب "بولي" التي كانت تنقر عنقي.

الجملة هي: "من يشعر أنه أخطأ في حق غيره، سيكتشف أنه يكرهه في النهاية".

20 الخميس

- يقولون إنه يجب عليك عدم الذهاب إلى طبيبٍ نباتاتُ مكتبه ذابلة.

لم أعرف ماذا أقول ردًّا عليه.

- من الذكاء ألا تخاطر بذلك.

لم أفهمه، فقلتُ:

- عذرًا؟

قال الطبيب "كارل هيارتارسون":

- آسف. كنت أمازحك فحسب. أعلم أن هذا غير لائق.

قلتُ:

-

لا.. لا بأس.

-

كنت أعبث فقط. دعابات الأطباء لا ترضي الجميع. على كل حال، كنت أسقي نباتاتي محاولاً إنعاشها. لكن بلا فائدة.

فكرت في الصبار الموجود في منزل "بيورج" و"جوترون".

علّقتُ:

- أظنك لا تستطيع التفكير في شيءٍ آخر عدا الحفاظ على حياة مرضاك.

تنهّد وردّ:

- حتى هذا لا ينجح على الدوام. لا عليك. قال "أوسجير" إنه يكفيك التّحدُّث عبر التليفون.

هل يعقل أن هذا هو الشخص نفسه الذي تظاهر سابقًا بالاحترافية والتمسك بقَسَم الطب؟ لا يمكن فهم البشر.

- هل ما زلت على الخط؟

أخرجني من أفكاري فزعًا، فقلتُ:

-

نعم، نعم. ما زلت هنا. أنا أبحث في مرض وسواس التوهم المرضي لأكتب مقالًا. أتساءل إن كان يمكنك مساعدتي؟

-

نعم، التوهم المرضي. أشعر أنني أصبحت مختصًا فيه على الرغم من أنه ليس مجال اختصاصي أصلًا.

أسمعني محاضرة طويلة عن المرض، وأخبرني عن أبحاثٍ من بلادٍ أخرى، بالإضافة إلى الأعراض والنظريات. إنها معلوماتٌ متنوعة عن الموضوع ذاته.

سألته عندما استطعت مقاطعته:

-

وهل كانت حالة "أوستيس بيورك" مختلفة في ضوء ما درسته عن المرض؟

-

لا، ما كنت لأقول ذلك. كانت مريضة تقليدية من ضمن الحالات الأكثر صعوبة. العلاج لم ينفع معها إلا لفترةٍ قصيرة.

-

عرفت من "أوسجير" أنك جربت كثيرًا من الأدوية.

-

هذا صحيح.

-

هل أدركت أنها كانت تسيء استخدام العقاقير؟ أو تأخذ جرعاتٍ زائدة؟

-

نعم، أحيانًا، لكن لا يمكنني الخوض في التفاصيل. فإذن "أوسجير" لا يسمح لي بنشر

حياته الخاصة على عامة الناس.

-

لا.

حاولت التفكير في صيغةٍ ماكرة لسؤالي:

-

ما الأدوية التي بدت أكثر فاعلية في نهاية حياتها؟ أعني ما كانت نتيجة العلاج الذي وصفته لها؟

-

للأسف، لا يمكننا تسميتها "نتيجة". النتيجة الحقيقية الوحيدة كانت وفاة "أوستيس بيورك".

-

هل كانت تتناول الأدوية عندما ماتت؟

تردد قليلاً، ثم قال:

-

حسنًا، أظن أنه لا بأس إن أخبرتك بأنها كانت تتناول "بروزاك" مضاد الاكتئاب. هذا لن يضر.

-

"بروزاك" فقط؟

-

نعم، "بروزاك" فقط. مضادات الاكتئاب كانت أفضل علاج لها بشكلٍ عام. فهي تقلل التوتر وتساعد على تشتيت انتباهها عن الوسوسة. لكن لبعض الوقت فقط.

شكرته على المعلومات. أتمنى لو أستطيع سؤاله إذا ما كان ال"بروزاك" يمكنه إصابة "أوستيس بيورك" بالدوار حتى تفقد توازنها وتسقط من القارب. لكنني أعرف أن هذا لن يوصلني إلى أي نتيجة فقلت:

- كلما عرفت أكثر عن "أوستيس بيورك"، وهذا المرض الشبيه بالخيال...

قاطعني الطبيب:

-

إنه ليس مرضًا خياليًّا. إنه حقيقةٌ مطلقة بالنسبة للمريض. عليك توضيح ذلك تمامًا في المقال.

-

نعم، بالطبع. آسف، لقد أسأت صيغة كلامي. لكن مما عرفته عن وسواس التوهم المرضي، يبدو لي أنه ينتج من الضغط النفسي. مثل التعاسة الشديدة؟

-

أرى أنك محق إلى حدٍ ما، لكن إياك أن تقتبس كلامي.

-

كنتما صديقين قديمين، صحيح؟

-

نعم. لقد عرفت "أوستيس بيورك" منذ الدراسة الثانوية. وقتها لم يظهر عليها أي أثرٍ للتعاسة. أظن أن نقطة ضعفها تكمن في شخصيتها اللطيفة. كان لديها رغبة عميقة في إسعاد الآخرين وإدخال السرور إلى قلوبهم. لطالما شعرت أن تحت كل ذلك يكمن خوف وانعدام ثقةٍ بالذات. لكن لا فكرة لديَّ عن سبب ذلك.

-

لكن إلامَ يشير هذا البؤس أو الإحباط؟ ألم تخبرك هي أو الأخصائيون الذين أشرفوا على علاجها بمشكلتها بالضبط؟

-

حتى لو فعلت فلن أخبرك. فهذا يتخطى تمامًا حدود السرية.

-

لا، بالطبع. لكن هل يمكن القول إن التوهم المرضي كان طلبًا للمساعدة من اللا وعي؟

-

كان كذلك لجذب الانتباه على الأقل.

قبل توديع بعضنا وجدت نفسي أقول له:

- يبدو أحيانًا أن المجتمع بأكمله يصدر صرخة لا واعية أو واعية للفت الانتباه. ألا تظن أن هذا المجتمع نفسه يسعى لجذب الانتباه؟

ضحك قائلاً:

-

يمكنك قول ذلك. لا بأس بهذا التشخيص.

-

أو ربما المجتمع كله مصاب بوسواس التوهم المرضي؟ أمة كاملة مصابة بالأمراض الوهمية؟

صمت قليلاً، ثم قال:

-

لا، ما كنت لأبالغ هكذا. لكن وضع الحالات الاجتماعية في مجال الطب هو أمرٌ واقعي ويدعو للقلق والاهتمام.

-

جميعنا لدينا اضطراباتٍ في الشخصية، صحيح؟ هل يوجد شخصٌ طبيعي هذه الأيام؟

-

حسنًا، الأمر يعتمد على وجهة نظرك له. الأمراض النفسية ليست من اختصاصي على الرغم من أنني تعلمت الكثير عنها. قرأت في جريدة بريطانية على سبيل المثال عن اضطراب نفسي يمكن أن يصاب به المجتمع بأكمله، وليس فقط الأفراد. اسمه "اضطراب الشخصية النرجسية" (NPD). بالطبع أتت الفكرة من أسطورة "نرسيس" الإغريقية التي تحكي عن الفتى الذي أُغرم بانعكاسه في الماء. مع اضطراب الشخصية النرجسية يُعجب المريض بذاته إلى حد الهوس، مما يؤدي إلى انعدام تام في الأخلاق والضمير. قرأت مقولة عن اختصاصي بريطاني قال إن اضطراب الشخصية النرجسية يظهر في كل الجرائم الخطيرة حاليًا تقريبًا.

مجتمع من المهووسين بالذات. الأساطير القديمة تظهر في العالم الحديث. ماذا قالت "يوا" عن ذلك؟

من يعلم متى نكتشف أطلانطس أيضًا.

وما الذي أغرقها أصلاً؟

* * *

سألني "أولافيور جيسلي" عندما اتصلت به أخيرًا من خلال "أوسبيورن":

- لماذا تسأل دومًا عن هذه الحادثة؟

قررت أنه حان وقت إخباره عن "جونهيلتور" وشكوكها. قال المأمور:

-

فهمت. لقد تحدثت مع السيدة المسنة بنفسي. بعد الحادثة مباشرةً كانت تتصل على التليفون طوال الوقت. لكن لا تهتم بالأمر، فلا صحة لكلامها أبدًا. أنت لا تنوي حتمًا الكتابة عن تخاريفها تلك؟!

-

أكتب مقالاً عن مرض وسواس التوهم المرضي الذي أصيبت به "أوستيس بيورك". أنوي نشره في آخر الأسبوع.

-

لكن المرأة لم تمت بسبب التوهم المرضي. لقد ماتت متأثرة بإصاباتها الناتجة عن السقوط في النهر. بالإضافة إلى مختلف أنواع حبوب الدواء المختلطة في جسدها.

-

مختلف أنواع الحبوب؟ أخبروني أنها كانت تتناول "بروزاك" مضاد الاكتئاب فقط في نهاية حياتها.

-

من قال ذلك؟

-

طبيبها "كارل هيارتارسون".

-

نعم. هذا ما أخبرنا به أيضًا. لكن المدمنين يميلون للحصول على الحبوب من أكثر من مكان. لديهم كثير من المصادر.

-

وهل تعرف ما الحبوب التي تناولتها قبل سقوطها من النهر؟

سمعت حفيف أوراق، ثم قال:

-

تشكيلة متنوعة. نعم، هناك "بروزاك"، ومهدئات مثل ال"فاليوم"، وحبوب منومة.. مهلاً، بالكاد أقرأ الأسماء.. "أوكسازيبام".. "تريازولام".. "زوبيكلون".. جميعها منومات ومهدئات. لست واثقًا حتى إن كانت كل هذه متوفرة في أيسلندا من خلال روشتة الطبيب. لقد تناولت "ريتالين" أيضًا، وهو منبه عصبي. بعد ذلك تناولت بيرة.

-

وماذا قال زوجها عن ذلك؟

-

كما تقول كل العائلات في الحالات المماثلة. قال إنه لم يعلم أبدًا بأن زوجته كانت تتناول كثيرًا من الأدوية، بغض النظر عن المكان الذي تشتريها منه.

-

هل الحبوب معبأة قانونيًا؟

-

لم نجد شيئًا كهذا، لكن هكذا يكون الأمر في المعتاد. فالعقاقير غير القانونية نادرًا ما يتم تعبئتها جيدًا. وبالكاد تكون موصوفة بمعرفة الطبيب.

-

هل كشف تشريح الجثة أي مؤشراتٍ على الأمراض العضوية؟

-

لا. كانت السيدة بأفضل صحة وعافية، بغض النظر عن إساءة استخدام العقاقير.

-

هل وجدت العبوة أو الزجاجة التي كانت تشرب منها في جولة البراري؟

-

لا. لقد بحثنا في كل مكان، لكنهم كانوا يشربون من عبوات سهل التخلص منها أثناء السير. انتهت بها الأمر في مكب النفايات دون أن نجد لها أثرًا بالطبع.

-

ألا يوجد أمل في إيجادها هناك؟

-

هل جُننت؟

-

ألا تظن بوجود شيءٍ مريبٍ أو قذر في القضية؟

-

شيءٌ قذر؟ القذر في هذه القضية اللعينة أن بائعي المخدرات يتربحون من التعساء ورغبتهم في تدمير أنفسهم.

الآن عليَّ خوض محادثةٍ صعبة، لدرجة أنه عليَّ الذهاب بنفسي إلى دار رعاية "هوتل" بدلاً من الاتصال كالجبناء عبر التليفون.

* * *

- عزيزتي "جونهيلتور". يقول طبيبها إنها كانت مصابة بذلك المرض، الكثير من المختصين دعموه.

ثارت "جونهيلتور" ونحن جالسان في الشرفة، بينما يصل إلينا صوت التليفزيون المزعج. واصلت كلامي:

- سيكون ممتعًا وتعليميًا أن يقرأ الناس مقالاً عنه ليزداد وعيهم...

قاطعتني "جونهيلتور" وقد بدت وكأنها تكلم نفسها وليس أنا:

-

يا ليتني ما فرحت بزيارتك يا فتى. ظننتك عرفت الحقيقة أخيرًا. والآن تقول إنك ستكتب مقالاً قاسيًا عن ابنتي "أوستيس بيورك".

-

لا ، على الإطلاق. لن يكون مقالاً قاسيًا. بل هو مقالٌ عن المرض ومقابلة مع "أوسجير" عن تجربة العائلة معه...

صرخت "جونهيلتور" قائلة:

- مقابلة مع هذا اللعين ستلوث ذكرى ابنتي.

التفت الناس إلينا أثناء مشاهدتهم لمسلسل "ذا جايدينج لايت".

قلت وأنا أضع يدي علي يدها لأطمئنها:

- "جونهيلتور"، الإعلان عن مرض ابنتك لن يلوِّث ذكراها.

أبعدت يدها عني، وقالت:

-

لم تكن مريضة. كانت فقط تعيسة. لم تكن مصابة بأي أمراض سوى هذا الرجل البغيض الشرير. هذا اللعين "أوسجير" هو مرضها.

-

لكن لا يمكنني كتابة ذلك. تفهمي موقفي.

-

ألا يمكنك حقًّا؟ أنت تصدقه وتكتب ما يقول. لكنك لا تصدقني ولا تكتب ما أقول.

مجددًا لم أعرف ماذا أقول.

صاحت:

- أنا مجرد امرأة عجوز مخرفة!

نظرت إليَّ بألمٍ وتأنيب لدرجة أنني أجبرت نفسي بصعوبة على عدم إبعاد نظري.

أجبتها بخفوت على أمل أن تخفض هي أيضًا صوتها:

- على الإطلاق. لقد بذلت جهدًا شاقًا لأعرف إذا ما كنتِ محقة في مسألة وفاة ابنتكِ. لكن الحقيقة هي أنه لا أحد يصدق هذا الكلام.

أمسكت "جونهيلتور" بعكازها ووقفت بألم، بينما تتمتم:

- ما كان عليَّ أبدًا الاتصال بك أيها الشاب. لقد زادت الأمور سوءًا وحسب. زادت سوءًا بالفعل.

وقفت ووضعت ذراعي حول كتفيها هامسًا في أذنها:

- المقال الذي أكتبه لن يلوث ذكرى ابنتكِ. عليك تقبل حقيقة أن ابنتكِ كانت مصابة بهذا المرض يا "جونهيلتور". المقال سيساعد الناس على فهم هذا المرض بشكلٍ أفضل.

أبعدت ذراعي ولم تنظر إليَّ.

أضفت:

- لكنني لستُ مقتنعًا أبدًا بأن المرض هو سبب وفاة ابنتك. السبيل الوحيد الذي جعلني أقترب من القضية هو الادّعاء بأني أريد معرفة المزيد عن وسواس التوهم المرضي. لم يكن لديَّ خيار آخر.

التفتت إليَّ "جونهيلتور" بعينين دامعتين، وقالت:

-

ما الذي تحاول إخباري به أيها الفتى المشاكس؟

-

أحاول إخباركِ بأنني سأبحث في القضية.

اتكأت على عكازها بتثاقل.

قلت لها، بينما تغادر:

- سأبذل قصارى جهدي.

هذا لا يعبرّ عن الصداقة أو الثقة. رأيت ظهرها وهي تغادر، كان شكلها مهزومًا تمامًا.

* * *

شعرت بالضيق بينما أجلس في مكتبي الصغير. بدأت أكتب المقال التعريفي عن وسواس التوهم المرضي. لم أستطع إخبار السيدة المسنة بأن ابنتها كانت مدمنة ابتلعت كثيرًا من الأدوية التي كانت موصوفة لها قبل ذهابها للنهر. كما لم أستطع إخبارها بأنني لا أعرف ما هي خطوتي التالية.

تمالكت نفسي، وواصلت كتابة المقال. أنهيت المقال مع الحوار الذي أجريته مع "أوسجير إفينتارسون"، فرد من عائلة أحد المصابين بالتوهم المرضي. أرسلته بالإضافة إلى صورة لـ"أوسجير بيورك" التقطتها "يوا" في مكتبه وصورة أخرى له مع زوجته وابنهما "جوتمونتور" حين كان صبيًا صغيرًا. صورة عائلية سعيدة. كانت "أوستيس بيورك" امرأة جذابة جدًّا، داكنة الشعر ورشيقة ولها ابتسامة برَّاقة.

سعد "هانسين" بالمقال الخاص بعدد نهاية الأسبوع، وقال:

-

ما الجديد أيضًا أيها السيد؟ هل هناك أي تطورات في قضية قتل طالب الثانوية؟

-

ليس حاليًا يا "هانس". يبدو أن التحقيق هدأ قليلًا. لديَّ مصدر ممتاز في الشرطة. عليَّ الاعتراف بأن الفضل يعود لـ"أوسبيورن".

-

حقًّا؟ حسنًا، أنا مسرور لأن محرر أخبارنا السابق وصديقك العزيز يبذل جهده. يبدو أنكما متعاونان علنًا أيها الثنائي الغريب.

-

لن أجادلك في هذا.

-

لكن المشكلة أنه بدأ يتغيب عن العمل كثيرًا مؤخرًا. لم نكن ننوي ترك "يوا" في الشمال كل هذه المدة.

-

نعم، لديه بعض المشكلات العائلية. لكنني أتمنى أن الأمور ستحل قريبًا. كان في العمل هذا الصباح.

-

ممتاز. إذًا تستطيع "يوا" العودة إلى "ريكيافيك" قريبًا؟

-

لا أعرف. إنها...

فكّرتُ قليلاً، ثم قلتُ:

- إنها تستمتع بوجودها هنا كثيرًا. أظنها ترغب في البقاء أطول قليلاً.

رد "هانس":

-

جيد جدًّا. لكن لا يمكننا تحمل تكلفة نشر موظفينا هنا وهناك فقط لأنهم يرغبون بذلك.

-

لا أظن أنه من الحكمة إعادتها الآن. ستعم الفوضى هنا إن مرض أحدنا. تقوم "يوا" بعمل رائع. لقد تأقلمت مع المنطقة والمكتب. كما أن على أحدهم التقاط الصور. ما زلت أستغرقُ وقتًا حتى أستطيع التأقلم هنا.

فكّر "هانس"، ثم قال:

-

سنرى. لننتظر ونرى كيف ستتطور الأمور. لقد أبليتم بلاءً حسنًا جميعًا، يسعدني قول ذلك. لكنني أرحب تمامًا بسبقٍ صحفي جديد. بأقصى سرعة من فضلكم.

-

حسنًا، سأفعل ما بوسعي. أنا أعمل على مقالٍ عن الفتى الذي مات كما تعلم.

-

نعم، أعلم. يرى "تراوستي" أنك استغرقت وقتًا طويلاً فيه. أعترف أنني أريد رؤية نسخةٍ منه بنفسي.

-

المشكلة هي أنني كلما عرفت عن "سكارفيدين"، شعرت بأنني لا أعرف شيئًا. إن الفتى

الضحية أكثر غموضًا من هوية القاتل نفسه.

-

وعندما يُحل هذا اللغز هل سيُحل الآخر أيضًا؟

-

لا أعرف يا "هانس". أشعر أن هوية القاتل ستكتشف قبل أن تتضح شخصية الضحية. ربما موته هو الجزء الأخير من لغزٍ لا يجب كشفه.

-

أصبحت فيلسوفًا أيها السيد. لكنني أفضل قراءة المقال.

* * *

سألت "أوسبيورن" بينما أغلق باب مكتبه خلفي:

- ما الأخبار؟

كان جالسًا محنيًا أمام الكمبيوتر، لكنه عندما التفت إليّ شعرت بطاقةٍ جديدة تسري في عروقه. فعلى الرغم من أن الهالات الداكنة حول عينيه والتي تشير إلى ليالٍ من الأرق، لمعت عيناه بطريقة تختلف تمامًا عن حالته بالأمس. رد:

- الموقف ليس واضحًا.

جلست على مقعدٍ في الزاوية، وسألته:

-

هل تعني في الماضي أم المستقبل؟

-

المستقبل. بدأت "كارو" تستوعب ما حدث، وأنا أيضًا.

-

وما الذي حدث؟

-

ذهبنا مساء أمس لزيارة "جوترون" و"بيورج". وأعترف أنني ارتحت تمامًا.

-

هل "جوترون" هي من سألت "كارو" عن الاتجاهات سابقًا؟

أومأ.

-

لتصرف انتباهها، بينما تأخذ "بيورج" "بال" إلى منزلها؟

-

نعم.

هزَّ رأسه وكأنه يقر بغرابة الأمر.

سألته، بينما أعرف الإجابة بالفعل:

- لماذا؟

استمر "أوسبيورن" في هز رأسه الأشعث، وقال:

-

كانت طريقتها في الاتصال بي. من خلال "بال".

-

طريقة من؟ "جوترون" أم "بيورج"؟

-

"بيورج". أو ربما كليهما.

-

هل أنت والدها؟

-

نعم.

أجاب "أوسبيورن" بشبح ابتسامة. كان تعبير وجهه المرهق يوحي بشعوره بالفخر.

-

ألم تعرف بشأنك إلا مؤخرًا؟

-

عندما افتتحنا المقر الجديد هنا نشرنا مقالاً في الجريدة مع صورةٍ لي ولك.

عبست عندما تذكرت معارضتي لهذه الصورة.

سألته:

- لكن لماذا لم تحاول "جوترون" الاتصال بك طوال هذه السنوات؟ لماذا لم تخبرك أنك والد طفلتها؟

عبس "أوسبيورن"، وقال:

-

هذا هو مربط الفرس. كنا معًا طوال الوقت القصير الذي حظينا به. ظلت تقول إنها لا تريد أي التزامات. أرادت السفر خارجًا للدراسة ولتعرف أكثر عن الحياة على حد قولها. لم ترغب في أن يفسد أي رجلٍ مخططاتها. قالت لي بعدما انتهينا: "شكرًا لك يا "أوسبيورن". والآن انسني تمامًا". استغرقت وقتًا طويلاً حتى نسيتها. لذلك عندما عرفت أنها حامل شعرت أنه لا مجال للعودة. أظنها أرادت حقًا أن تسير الأمور على هذا المنوال. في المرات القليلة التي سألت فيها "بيورج" عن والدها أوحت لها "جوترون" أنها وليدة ليلة حبٍ عابرة مع أحد الأجانب. لكنها شعرت الآن بأنها عاجزة عن كتمان الأمر. أخبرتنا "جوترون" أن "بيورج" تمر بوقتٍ عصيبٍ مؤخرًا. تركت المدرسة الثانوية وظلت تسأل عن والدها. "جوترون" الآن في علاقةٍ جديدة وهي حامل. أما القشة التي قصمت ظهر البعير، فكانت صورتي المنشورة في الجريدة. أخبرت ابنتها.. أعني ابنتنا.. أنني والدها.

-

إذًا، المكالمات الغامضة ليلاً ونهارًا كانت من "بيورج"؟

-

من الواضح أنها أصبحت مهووسة بما عرفت. انشغل كل تفكيرها. لم تعرف أمها بشأن

المكالمات إلى أن أمسكت بها ذات مرَّة. عندها اعترفت "بيورج" أنها تتصل بي.

-

لم تتفوه بكلمةٍ في المكالمات؟ كانت تغلق الخط في كل مرَّة؟

-

نعم. فهمت السبب. أرادت الاتصال بأي طريقة. أرادت سماع صوتي كما قالت لأمها. لم يمكنها القول ببساطة: "مرحبًا، أنا "بيورج"، وأنت أبي".

-

لا، لم يمكنها بالطبع.

-

تذكرت "كارو" أن "بيورج" جاءت إلى المكتب مرة لشراء نسخةٍ من الجريدة، على الرغم من أنها تملك اشتراكًا. سألتها "كارو" عن سبب قدومها كل هذه المسافة بدلاً من شراء الجريدة من أحد المحلات، فأسرعت "بيورج" مغادرة. بدأت تتجسس علينا عندما نخرج دون أن نلاحظ. رأت "بال" فجاءتها الفكرة.

سألت:

- أن تتظاهر بإنقاذ الكلب؟

"بال" هو أحب شيءٍ لـ"أوسبيورن" و"كارولينا"، إنه كطفلهما.

هزَّ "أوسبيورن" رأسه مجددًا وقال وهو يجفف دموعه:

-

الفتاة الحبيبة المسكينة، جلست مصدومة، بينما تخبرنا أمها بما حدث!

-

وجعلت أمها تساعدها في عملية الإنقاذ المزيفة؟

-

قالت "جوترون" إنه لم يكن لديها خيار. كانت "بيورج" مصممة على مقابلتنا عن طريق خيرٍ تفعله لنا. وعندها أنا - والدها - سأقدرها.

غطى وجهه بيديه، وأضاف:

-

الطفلة اللطيفة المسكينة.

-

فاضت شلالات الدموع من عينيّ "أوسبيورن" المتورمتين.

-

شعرت "كارو" بحدسٍ ما. لكنني لم أفعل، أنا كالرجلِ الآلي، متحفظ تمامًا كما تقول عني يا "إينار". اكتئابُ "كارو" وتوترها، وغضبها خاصةً بعدما بدأت "بيورج" في زيارتنا لرؤية "بال"، كل هذا كان بسبب حدسها بوجود خطأٍ ما. أظنها شعرت بذلك، على الرغم من عدم تصريحها به علنًا. قلت إنها مصابةٌ بالهستريا، ألم أفعل؟ كنت مخطئًا، لقد غمرتها السكينة عندما عرفت الحقيقة. بادرت بالوقوف وحضنت "بيورج". أما أنا فبقيت جالسًا مذهولاً ومرتبكًا. كنت مثل الرجل المعدني في حكاية "ساحر أوز".

جفف دموعه بكم قميصه وهو يواصل:

- وقفت كلتاهما في غرفة معيشة "جوترون" تتعانقان وتبكيان. قبل أن ندرك وجدنا أنفسنا نبكي جميعًا.

نظر إليَّ وابتسم ابتسامةً واسعة وهو يبكي.

* * *

اتصلت بـ"أويوستا" من فريق المسرح، وقلتُ:

-

سمعت أنك حددتِ موعدًا آخر للعرض الأول. بعد الامتحانات؟

-

نعم. لم نرغب في أن تضيع جهودنا سدى. نخطط لعمل مزيد من العروض في فصل الخريف.

-

هل وجدتِ بطلاً جديدًا لدور "الساحر لوفتر"؟

-

لا. سيصل "أورفار باوتل" هنا في نهاية الأسبوع، وسنفكر في الاحتمالات وقتها. لدينا فكرة.

بدا أنها تريد إنهاء المكالمة. سألتها:

-

هل هناك أي تطورات في القضية؟ لقد أطلقوا سراح عصابة "ريتارجيرتي" ببساطة!

-

ليست مشكلتي.

-

لا، بالطبع لا. هل أقمتِ علاقةً بـ"سكارفيدين" تلك الليلة؟

طرحتُ السؤال بجرأة فاجأتها.

- من قال ذلك؟

فسَّرت على رغبتي ما قاله "فريدريك" بشأن المضاجعة التي تمت في غرفة والديها، وكذبت قائلاً:

- إنها إشاعة سمعتها.

صاحت بغضب:

-

هل "أكنار" ورفاقه هم من قالوا ذلك؟ هل يحاولون توريطي في هذه الفوضى؟

-

إذًا، تعرفين "أكنار هانسين" ورفاقه؟

هدأت، وقالت:

- أعرف من هم.

صمتت قليلاً، ثم أضافت:

-

طردهم "سكارفيدين" قبل فترةٍ طويلة من حدوث أي شيءٍ في غرف النوم. إنهما لا يعرفان من كان مع من.

-

ومن كان معكِ؟

-

هذا ليس من شأنك.

-

ماذا عن "سكارفيدين"؟

-

لا أتذكر.

حجة فقدان الذاكرة مجددًا.

-

حسنًا، عذرًا. بالمناسبة، هل معكِ رقم "سكارفيدين"؟

-

أي سؤالٍ هذا؟ لقد مات! لماذا تريد رقمه؟

-

لقد رأيت معه موبايل يوم الحوار الصحفي، لكن الشرطة تقول إنه لم يمتلك واحدًا.

-

هذا صحيح. إنه لم يمتلك واحدًا.

-

لمَ لا؟ الجميع لديهم موبايلات هذه الأيام، خاصةً من هم في مثل عمركم.

-

ألا تظن أنه ربما لم يرغب بذلك وحسب؟!

-

بلا شك. أظن ذلك. إذًا، لمن كان الموبايل الذي شاهدته معه؟

-

لا أعرف.

-

حسنًا، حسنًا. أردت أساسًا الاطمئنان على سير المسرحية. ألن تكون صعبة دون "سكارفيدين"؟

عادت مرتاحة وأجابت:

-

نعم، هذا صحيح. لقد كرس لها نفسه وكأنها ابنته.

-

ابنته؟ من اختار مسرحية "الساحر لوفتر"؟

-

هو من اقترحها. شعر بأنه الاختيار المنطقي. لقد قرأ أكثر منا جميعًا.

-

فهمت. وهو كان الزعيم في العمل؟

-

في الواقع، جميعنا لدينا مهام. لكن معظم الأفكار جاءت من "سكارفيدين". أنا واثقة من أنه لا يريدنا أن نتخلى عن المسرحية.

-

على الأرجح لا. أنتم من جمع التمويل للمسرحية ووجدتم الرعاة وهكذا...

-

نعم، لا نريد أن نخذل الرعاة. وخاصةً أننا نريد الاستمرار في فريق المسرح العام القادم. ما كان "سكارفيدين" ليتخلى عن الأمر.

-

هل "سكارفيدين" هو من وجد الرعاة؟

-

كان الوحيد في جماعة المسرح من يملك العديد من الاتصالات. قام بصفقةٍ جيدةٍ.

* * *

قمت بأعمال المنزل الروتينية واعتنيت برفيقة غرفتي، ثم نمت مبكرًا. لكنني قرأت حتى الباب الثاني من "الساحر لوفتر" قبل النوم. ربما ظل "أوستيس بيورك" و"جونهيلتور" و"أوسجير إفينتارسون" في عقلي الباطن بينما أعدت قراءة جملة: "أكثر ما يؤلم هو اكتشافك أن الشخص الذي يحتل قلبك وروحك شرير".

وربما كان شيءٌ آخر هو ما دار ببالي وقتها، أو لا شيء على الإطلاق.

21 الجمعة

"ميزة العواطف هي أنها تبعدنا عن الطريق الصحيح". تلك كانت "مقولة اليوم" التي قرأتها على أحد المواقع الإلكترونية. قالها "أوسكار وايلد" في روايته "صورة دوريان جراي". كان "أوسكار" ذكيًّا، وابتكر مقولاتٍ تبدو حكيمة للوهلة الأولى على الرغم من بساطتها.

لو أن التضليل ميزة، فهذا يعني أنني أعاني نقصًا في العواطف. لا أشعر بأنني أسير في الاتجاه الصحيح أو الخاطئ، بل أنا ضائعٌ في المجهول. لا شيء يحدث. لماذا لا يوجد شخصٌ أو شيءٌ ما يضللني حتى؟!

لا يوجد ما يرفع معنوياتي في الصباح. ولا حتى الشمس التي أحضرت مجددًا نسمة صيفٍ وسط المدينة لتحث الأطفال على اللعب خارجًا وتشجع المتقاعدين الكسالى على الخروج وتجعل الفتيات ذوات الثياب الكاشفة لبطونهن يخرجن للاستمتاع بالدفء. تفاجأت من عدم وجود شيءٍ خاطئ، حقًّا. أشعر بالملل وعدم الراحة والفراغ والتوتر، كلها مشاعر تلازمني طوال حياتي. في الماضي، كنت أتعامل معها بشرب الخمر، أما الآن فلا يمكنني ذلك. عليَّ البحث عن وسيلةٍ أخرى. فتحت النافذة التي تطل على الجدار المقابل لأنير الغرفة، وعندها جاءني الحل البسيط. أمسكت التليفون لأتصل بـ"جونسا". كانت في المدرسة.

-

مرحبًا يا أبي. لا يمكنني الحديث طويلاً، فاستراحة الغداء على وشك أن تنتهي.

-

أردت سماع صوتكِ فقط. ما الأخبار؟

-

بخير. بدأنا نذاكر لامتحانات الأسبوع المقبل.

-

نعم. وكيف تسير المذاكرة؟

-

ليس جيدًا تمامًا، لكنني سأبذل جهدي. أنا عازمة على دخول الثانوية.

-

بما أن والدكِ قد فعلها فأنت ستفعلينها بسهولةٍ بالتأكيد.

شعرت بابتسامتها. يا له من شعورٍ رائعٍ.

سألتها:

-

و"راجي" يذاكر أيضًا، صحيح؟

-

نعم، إنه يتدبر الأمر. سنذاكر معًا كلما استطعنا.

-

جيد، جيد. هل يعني هذا أنكِ لن تزوريني قريبًا؟

-

لا، ليس قبل الانتهاء من الامتحانات. سآتي بعدها. أعدك.

-

شكرًا يا حبيبتي. لقد أسعدتِ يومي.

أسعدتني بالفعل. ذهبت للعمل وقمت ببعض الاتصالات عن الأخبار الروتينية. بعد ذلك اتصلت بـ"تراوستي لوڤ" وأنا مصرٌ على تطبيق فلسفتي الإيجابية الجديدة في الحياة.

-

مرحبًا يا صديقي العزيز "تراوستي".

-

من هناك؟

-

صديقك "إينار" بالطبع. أكلمك من "أكوريري".

-

تبدو وكأنك في حفلة شرب.

-

لمَ تقول ذلك؟

-

لأنك لست بشخصيتك المعتادة. ليس الشخصية التي أنت عليها مؤخرًا بأي حال.

-

ألا يمكنني التصرف بلطفٍ مع محرري دون أن يتم اتهامي بالثمالة؟

فهمت من صمته أنه لا يعرف كيف يستوعب كلامي.

-

أردت إخبارك بأنني أرسلت لك بعض الأخبار. كنت تشكو من أنني لا أسلم أي نسخٍ من مقالاتي، صحيح؟

-

ماذا؟ نعم.

-

"تراوستي"، أريدك أن تعرف بأنني أبذل جهدي من أجلك ومن أجل الجريدة.

-

هل أنت واثقٌ من أنك لست مخمورًا؟

-

هذا هو الشيء الوحيد الذي أثق به الآن.

لا إجابة.

-

أنا أيضًا أتميز بالعطف الإنساني.

-

وهل ستتذكر إرسال فقرة "سؤال اليوم من أكوريري" يوم الإثنين؟

-

بالطبع. وسأفعل أكثر من ذلك.

-

حقًّا؟ ماذا؟

-

سأرسل إليك الإجابات أيضًا!

-

جيد.

-

نعم، هذا جيد. أليس كذلك؟ هذا رائع في الواقع. صحيح؟

لم يعرف ماذا يقول.

- وأخيرًا يا عزيزي "تراوستي"، أود أن أتمنى لك عطلة أسبوعية ممتعة بصحبة نساءٍ جميلات ونبيذٍ فاخرٍ جدًّا.

ردَّ بفظاظة:

- شكرًا، وتبًّا لك!

ثم أغلق الخط.

من الغرابة أن يكون الناس بهذه الغرابة وقلة الذوق وعدم الامتنان.

بعدما مارست بعض الإحسان في هذه المكالمة أحسست بشعور أفضل، فخرجت في الشمس المشرقة وذهبت إلى كافيه "أمور" المواجه للمقر والواقع في الميدان. طلبت "كابوتشينو" وجلست على مائدة خارج الكافيه. سارت الفتيات كاشفات بطونهن وسرَّاتهن، حتى من لا يليق بها ذلك منهن.

بعدما انتهت موضة بنطلونات الجينز الساقطة للرجال كي تظهر ملابسهم الداخلية،

أقنعت الموضة الفتيات بأنه حان دورهن للسير نصف عاريات. وهكذا سار الحال. اعتدت مسايرة الموضة في الماضي، لكن الموضة لم تعد تناسبني الآن.

كيف أقنعوا الفتيات بأن منظر الدهون المترهلة عند الخصر جذاب؟ ربما يبدو ظريفًا ويذكرنا بأنه لدينا بطون، لكنه ليس جذابًا! وماذا عن الفتيان الذين يرتدون بنطلونات ساقطة فتظهر مؤخراتهم القذرة ظنًا منهم أن هذا مدهش؟! كيف يحدث هذا؟ هل هناك مستحيل بعد الآن؟ تأملت في الأمر، بينما أدخن.

ثم فكرت في رغبتي التي لا تقاوم في الشجار مع محرري الأخبار. الآن عندما تقبل "أوسبيورن" أخيرًا أنه ليس أهلاً للوظيفة وأصبحنا أنا وهو صديقين، يتعين أحمقُ آخر أسوأ منه بكثير. وبالطبع تشاحنت معه منذ البداية. كيف يعقل هذا؟ هل أظن أني أعرف أفضل من محرري الأخبار بغض النظر عن هويتهم؟ ثم عندما عرضوا عليَّ المنصب رفضته!

ألا توجد حدودٌ لما هو ممكن؟

ما كنت لأحب أن أكون مديرًا على شخص مثلي. ربما أكره فكرة الخضوع للسيطرة. يجب أن نكون جميعًا زملاء، هذه هي الكلمة التي يجب استخدامها.

هل كنت لأرغب في أكون رئيسًا على شخصٍ مثلي؟ بالطبع لا! سأخوض خلافًا مع نفسي فورًا!

مرَّ شابٌ أعرفه، وكان في مزاج سيئ مثلما رأيته أول مرَّة. إنه "رونار فالياردسون"، ويرتدي البذلة السوداء نفسها مع القميص الأبيض وربطة العنق السوداء كما في جنازة شقيقه. بعثر النسيم شعره الطويل، بينما ينتظر اللحظة المناسبة لعبور الشارع.

نهضت وسرت إليه قائلاً:

- مرحبًا يا "رونار". هل تذكرني؟

تفاجأ، ثم ردَّ:

- ماذا؟ نعم.

نظر إليَّ بطرف عينه وهو يراقب السيارات العابرة.

- كنت أخطط للاتصال بك. لكنني أردت الانتظار لبضعة أيامٍ بعد جنازة أخيك. هل لديك وقتٌ للحديث الآن؟

أجاب وهو يحني كتفيه:

-

عذرًا، لا.

-

يا للأسف.

لم يرد.

قلت على الرغم من أن ملابسه توحي بالعكس:

-

لا بد أنك ذاهبٌ إلى المدرسة.

-

لا. أنا فقط لا أملك وقتًا للتحدث إليك الآن.

لا يبدو عدائيًّا، بل يبدو متوترًا.

-

متى يمكننا اللقاء؟

-

لا أعرف حقًّا.

-

ماذا عن الأحد؟ لا يوجد لديك مدرسة أو أي التزامات، صحيح؟

-

حسنًا. اتصل بي يوم الأحد.

-

شيءٌ آخر. كنت أتساءل من هو أقدم وأعز صديقٍ لـ"سكارفيدين". يبدو أن أخاك تمتع بشعبيةٍ كبيرةٍ. لكن من كان أقرب أصدقائه؟

من الواضح أنه يهتم بعبور الشارع أكثر من إجابة سؤالي، لكن سيارةً أخرى قطعت الطريق وأنقذت الموقف. واصلت كلامي:

- بغض النظر عنك بالطبع. فأنت كنت الأقرب إليه، صحيح؟

أومأ متفهمًا، ثم أجاب:

-

"موردور" على ما أظن.

-

أين يعيش؟

-

في "ريتارجيرتي". انتقل إلى هناك العام الماضي.

-

حسنًا، شكرًا لك. ما لقب عائلته؟

-

"نيالسون".

-

"موردور نيالسون" إذًا، شكرًا لك.

حانت لحظةٌ مناسبة للعبور، بينما أقول له:

- تبدو ذاهبًا لحفلٍ ما، أليس كذلك؟ حتى في يوم الجمعة؟

بدا مرتاحًا للتخلص مِنّي وهو يسير بخطواتٍ واسعة ليعبر الشارع. بالكاد سمعته يتمتم:

- لستُ ذاهبًا إلى حفل، بل إلى جنازة.

جنازة؟ هل هو جاد أم أنه ما زال ينعي أخاه؟ عدت إلى مقعدي خارج الكافيه وأنا أفكر.

استدعيت الجرسون وطلبت "كابوتشينو" آخر، ثم سألت إن كان لديهم نسخة من جريدة "مورنينج نيوز". بعد بضعة دقائق حصلت على كوبٍ ساخن من القهوة وسيجارة في فمي وجريدة "مورنينج نيوز". فتحت صفحة الوفيات لأعرف جنازة من ستقام اليوم. شخصٌ واحد فقط كتب عن وفاة "سولرون بياركاتوتير". إنها فتاة الثانوية التي مزحت في لحظة صفاء عن المكان الأكثر إمتاعًا لها ضمن فقرة "سؤال اليوم"، ثم في لحظة إحباط انتحرت.

أخجل من الاعتراف حتى لنفسي بأنني نسيت أمر هذه الفتاة تمامًا.

"قال رجلٌ حكيم ذات مرة إن المعرفة والبراءة لا يندمجان أبدًا. عزيزتي "سولرون"، أعرف أنكِ كنتِ تجدين صعوباتٍ في مواجهة مآسي حياتكِ مثل الآخرين. هذه المآسي كانت تتعارض مع براءتكِ الفطرية وإيمانكِ بالخير. "سولرون"، لم تكوني قوية كفاية لمواجهة المغريات التي بدت في لحظةٍ ما وكأنها تساعدكِ على تحمل الحياة. لكنكِ كنتِ قويةً جدًّا عندما يتعلق الأمر بهدفك في الحياة، ألا وهو تكريس نفسكِ لإسعاد من حولكِ وتشجيعهم. ثم جاء يومٌ عجزتِ فيه عن الاستمرار. ليس لأن العطاء قد نفد منكِ، بل لأنه تعرض لإساءة الفهم والتحقير. على الرغم من معرفة الناس الذين قابلتيهم في حياتكِ أصبحت لا تحتمل بالنسبة لكِ في النهاية، لا يزال مكانكِ في قلبي يشع بالفرح والامتنان لمعرفة شخص مثلكِ. أشعر بالامتنان لأنكِ سمحتِ لي بمعرفتكِ. ستظلين في قلبي للأبد، وستظل ذكراكِ مصدر قوةٍ لي.

ر".

على الرغم من أن الخاتمة تبدو نعيًا من "رونار فالياردسون"، قد أكون مخطئًا تمامًا. ربما كتبته امرأة، صديقتها مثلًا. إحدى الفتيات اللاتي كن معها في ذلك اليوم في الميدان. أو ربما شخصٌ آخر تمامًا، رجل أو امرأة.

مقارنة بشلال التعازي الذي نُشِر عند دفن "سكارفيدين"، يبدو هذا النعي حزينًا ووحيدًا على الرغم من المشاعر الجميلة التي عبرَّ عنها. ماذا يخبرنا هذا عن حياة "سولرون بياركاتوتير"؟

أحاط بي ضوء الشمس وعبير الربيع وزحام مرور الجمعة، فشعرت بالكآبة مجددًا. أخرجت تليفوني واتصلت بالمدرسة الثانوية، ثم طلبت التَّحدُّث مع "كيارتان أرنارسون".

قالت السكرتيرة:

-

إنه بالخارج. لن يعود اليوم. لقد ذهب إلى جنازة.

-

صحيح. هل تم إلغاء دروس اليوم من أجل جنازة "سولرون بياركاتوتير"؟

-

لا، بالنسبة لفصلها فقط. اقتربت الامتحانات كثيرًا، لذلك لا يمكننا منح إجازة للمدرسة كلها.

شكرتها ثم تفحصت الخبر في الجريدة. ستبدأ الجنازة في الواحدة والنصف، لذا توجهت للكنيسة.

تقطعت أنفاسي من صعود السلالم الطويلة إلى الكنيسة التي دخلتها بهدوء. إنها الساعة

الثانية، والجنازة جارية. هناك كثير من الأماكن الخالية خلافًا لزيارتي السابقة. ربع المقاعد فقط مشغول، والمعزون متفرقون في القاعة. وقفت عند الباب ولمحت "رونارفاليارِدسون" جالسًا أمامي بثلاث مقاعد وكان يبكي. شعرت فجأة بعدم الراحة. إنه شعورٌ أشبه بفوبيا الأماكن المغلقة. فتسللت خارج المبنى.

سرت وأنا مستغرقٌ في التفكير وعدت إلى السلالم الطويلة. رأيت "بال" يركض على التل العشبي ويطارد كرة. أمسك بها أخيرًا وأخذها عائدًا إلى شابةٍ صغيرة صفقت بفرح. قدَّم "بال" بفخرٍ جائزته إلى "بيورج".

يا له من مشهدٍ مؤثر وسار. أشعرني بتحسنٍ بالفعل.

عدت إلى المقر. كان "أوسبيورن" في قسم الاستقبال يتحدث إلى زائرٍ وهو يشرب القهوة. يبدو أقل إرهاقًا من ذي قبل. أمَّا الزائر فكان على سجيته.

نهض "أوسبيورن" من مقعده قائلًا:

- حسنًا، ها هو ذا.

ثم دخل مكتبه وأغلق الباب خلفه. وقف "أوسجير إفينتارسون" وحيَّاني بودٍ، ثم قال:

- كنت أتساءل لو كان بإمكاني رؤية شكل المقال في عدد الغد.

أجبت:

- هذا غريب. تنص القواعد على أن الضيف لا يشرف على عملية النشر كلها.

ردَّ بتهذيب:

- ربما الحال كذلك.

ثم أضاف:

- لكن القواعد وضِعَت ليتم اختراقها. أظن أنك كسرت واحدة أو اثنتين من قبل.

أتساءل ماذا أخبره "أوسبيورن" بالضبط؟ لكنني أدرك تمامًا أنه ليس صائبًا إهانة "أوسجير"، لقد فكرت في كل شيء.

- حسنًا إذًا. لكن عليك الذهاب إلى قسم الإنتاج معي الآن.

دعوت "أوسجير" للجلوس في مكتبي وشغلت الكمبيوتر. فتحت برنامج التصميم ووجدت الصفحات المطلوبة.

عنوان المقال الأساسي: "أوهام العقل؟".

أمَّا عنوان حواري مع "أوسجير" فهو: "هي وحدها تعرف شعورها".

قلت له:

- تفضَّل.

ارتدى نظارة القراءة ونظر بتمعنٍ في الشاشة، بينما يفتل شاربه الرمادي طوال الوقت. لا اعرف لماذا لكن لديَّ تحفظات حول الرجال ذوي الشوارب. ربما لأنهم يبدون مبهمين عندما لا يرغبون في لحيةٍ كاملة ويكتفون بالشارب.

لا أعرف. أشعر بانحيازٍ سخيف. هذا ما فكرت به، بينما أراقب "أوسجير إفينتارسون" يفتل شاربه. رغبتي المستمرة في تصنيف الناس إلى أخيارٍ وأشرار لم تفدني قط.

خلع "أوسجير" نظارته ووضعها في علبةٍ جلديةٍ.

وضعها في جيب سترته العلوي، ثم قال:

- عندما أقرأ هذا لا ستطيع منع تفكيري في أن ما حدث لـ"أوستيس بيورك" كان خيرًا لها لإنهاء عذابها.

نظرت إليه عاجزًا عن الكلام.

-

نعم، أعلم أنه قولٌ غريبٌ منِّي. لكن لم يكن بوسعنا فعل شيءٍ لها. لم نجد أملاً في الشفاء. كانت ستستمر في المعاناة والبحث عن سبلٍ جديدة لتسكين ألمها.

-

هل تعني أن موتها كان راحة؟ لها أم...

نظر بشرودٍ من النافذة إلى الجدار المقابل، وقال:

- إنه نوعٌ من الراحة، نعم. أتمنى فقط أن مقالك سيساعد الناس على فهم هذا المرض بشكلٍ أفضل و...

لم يكمل جملته، وخرج من المكتب.

تبعته، وقلتُ:

- سيد "أوسجير"، رأيت في ملصقٍ أنك أو مصنع "يام" أحد رعاة مسرحية "الساحر لوفتر" الخاصة بجماعة المسرح في المدرسة الثانوية.

قال، وهو يكمل طريقه إلى الباب:

-

نعم، هذا صحيح. نحن ندعم أنشطة الثقافة المحلية من آنٍ لآخر.

-

جديرٌ بالثناء أن يبذل القطاع الخاص جهدًا لرعاية الفنون.

رماني بنظرةٍ شاملة، وسأل:

-

لماذا تسأل؟

-

كنت أتساءل إن كنت تعرف شابًا يدعى "سكارفيدين فالياردسون"؟

-

"سكارفيدين فالياردسون"؟ أليس هو الفتى الذي وجدوا جثته في مكب النفايات؟

-

نعم، إنه هو.

-

لا أظن ذلك.

-

أليس هو من اتصل بك ليطلب منك دعم المسرحية؟

ردَّ:

-

ربما. لقد اتصل بي شابٌ وطلب مِنِّي الدعم. أهو الشخص نفسه؟

-

أظنه هو حتمًا.

-

ثم؟

خرج إلى السلالم دون أن ينتظر إجابتي.

ليس وكأني أملك واحدة.

لم أجد خطًا أرضيًّا مسجلاً باسم "موردور نيالسون" في "ريتارجيرتي". لذلك اتصلت بالدليل وطلبت رقم موبايله الذي أوصلني فورًا إلى البريد الصوتي: "هنا "موردور". اترك رسالة".

واتباعًا للقواعد، عليّ إجبار نفسي على إطاعة تلك الأوامر الفظة. لكن هذه المرّة لم أقدر على التفوه بحرف.

اتصلت بـ"أوسكار" في فندق "ريتارجيرتي"، وسألته كيف تجري الأمور في البلدة.

أجاب:

-

كالمعتاد. نحن منشغلون للغاية، وكل الأمور رأسًا على عقب.

-

هل من أخبارٍ عن "أكنار" ورفاقه منذ إطلاق سراحهم؟

ضحك قائلاً:

-

كالمعتاد أيضًا. إنهم منشغلون جدًّا بإثارة الفوضى في حياتهم.

-

ألم يحسنوا من سلوكهم؟

-

إنهم لا يحسنون من سلوكهم أبدًا. بل يتجولون بجموحٍ في المساء يشكون من الظلم تارةً ثم يثرثرون حول هزيمتهم لشرطة "أكوريري" تارةً أخرى. هؤلاء الفتيان مشاغبون تمامًا.

-

هل تم السماح لهم بالعودة إلى "رايتين"؟

-

لم يتم منعهم، لا أظن ذلك. لكن يتم طردهم بانتظام. سمعت أنهم ذهبوا إلى "أكوريري" للحصول على بعض المرح في إجازة نهاية الأسبوع.

-

هذا أمرٌ مُشوِّق.

-

ليس حقًّا. سمعت أنهم ينوون الانتقام.

-

أي انتقام؟ لماذا؟ ومِن مَن؟

-

لا أعرف. أشك في أنهم يعرفون حتى. إنه مجرد انتقامٍ أجوف من شخصٍ ما بسبب شيءٍ ما. هذا كل ما يحتاجه حمقى مثلهم.

-

حسنًا، حسنًا. بالمناسبة، هل تعرف شخصًا يدعى "موردور نيالسون"؟

-

"موردو"؟ بالطبع.

-

من هو؟

-

إنه فتى في العشرين من العمر كان يعيش في "أكوريري". انتقل إلى هنا للدراسة من أجل امتحانات الثانوية. إنه طالب انتساب، وهو يكتب شيئًا ما. لذلك أراد بعض الهدوء

والسكينة للعمل.

-

من المشكوك فيه إن كان الهدوء والسكينة يعمان هناك أم لا، صحيح؟

-

لا، لديه منزلٌ صغيرٌ عند حافة القرية. المكان هادئٌ هناك، وهو فتى هادئ.

-

هل تعرف كيف يمكنني التواصل معه؟

-

لا. لكنه أتى منذ يومين لشرب القهوة. قال إنه ذاهبٌ إلى "ريكيافيك" وسيمضى العطلة الأسبوعية هناك على ما أذكر.

تمتمت بفظاظة:

- رحلة سعيدة.

قبل أن أعود للمنزل وأستحم مع "بولي"، اتصلت بالمقر الرئيسي، وطلبت صديقي "جوفي". لقد انتقل إلى هناك من عمله القديم في قسم الأخبار الدولية وتمت ترقيته إلى قسم المال والأعمال بعد حصوله على مرتبة الشرف في ماجستير إدارة الأعمال من جامعة "ريكيافيك" الحديثة. "جوفي" هو أكثر من يفهم في تطورات الأعمال ومؤامرات المستثمرين والسعي خلف الملذات الدنيوية بعدما اختار مذهب الماركسية المتطرف في شبابه. أظن أن هذا هو ما يعنيه الجميع بكلمة "تقدم".

قال "جوفي" الذي أوشك على الانتهاء من عمله والعودة للمنزل ونعيم البيت:

- حسنًا، حسنًا يا صديقي القديم. ما هذا؟ إنه يوم الجمعة وتخطت الساعة الخامسة وأنت لم تذهب للبار بعد؟

عند سماع كلماته تمنيت لو أنني في البار حقًّا. تخيلت الألوان البراقة لزجاجات الكحول، والكؤوس اللامعة التي تنتظر من يملؤها ويفرغها مرارًا وتكرارًا. أمسكت كوب القهوة لكنني بصقت السائل البارد الكثيف بعد الرشفة الأولى. ثم أشعلت سيجارة عوضًا عن القهوة.

قال "جوفي" بتعجب:

- ماذا؟ هل هذا ما فعله بك هواء الشمال المنعش؟

قلت وأنا أتنفس بعمق:

- نعم، تمامًا.

قال:

-

ربما علينا تسويقه. كن مبتكرًا وبع هواء "أكوريري" المنعش في عبوات.

-

علينا الإسراع إذًا. فهم يخططون لتلويثه.

-

إنها إحدى طرق بيع الهواء المنعش على ما أفترض. على كلٍ، هذا أكثر طموحًا منّي.

-

اسمعني يا "جوفي". لا تزال هناك مصانع أغذية قديمة الطراز هنا. هل تعرف مصنع "يام"؟

-

بالطبع. الجميع يعرفه.

-هل أخبرتك مصادرك الموثوقة إن كان معروضًا للبيع؟

قال بلا تردد:

-

حسنًا، هناك إشاعة تقول إنه ربما يُعرض للبيع. لكن منذ بضعة أيامٍ سمعت أن المفاوضات جارية مع مصنع "تريت" في "ريكيافيك".

-

دمج، اتحاد، مقياس اقتصادي، وكل هذا؟

-

بالضبط. هذه المؤسسات العائلية القديمة أصغر من أن تلبي احتياجات اليوم والحصول على الأرباح. لقد انتهى زمانها حقًا.

-

ما مدى تقدم هذه المفاوضات؟

-

قليلاً جدًا لكنها مستمرة.

-

لن أعطلك أكثر وإلا ستتأخر في العودة إلى زوجتك في المنزل. كما أنني تأخرت على رفيقة غرفتي أيضًا. سأتصل بك لاحقًا.

-

هل معك شخصٌ ما؟ أخبرني بالمزيد؟ "إينار"؟ مرحبًا؟ اللعنة...

ابتسمت بسخرية وأغلقت الخط.

* * *

إنها خجلة قليلاً من وجودها في شقة "هايتا" التي لم تعتد عليها. إنها ليست معتادة على أن تتم دعوتها إلى العشاء.

قالت "يوا":

- أظنه الحب الحقيقي.

أومأت قائلاً:

- لقد أعطتني منظورًا جديدًا، وأضافت أفقًا أخرى لحياتي. إنه الوقت المناسب.

قالت "يوا":

-

لكنك لم تكن مرتاحًا معها في البداية. لقد ظننت أنها مزعجة.

-

هذا صحيح. أعترف بأنني غير ناضج.

جلس كلٌّ منا على مقعدٍ كبيرٍ ومريح وأبيض اللون. شاهدنا "بولي" وهي واقفة على أرجوحتها في قفصها الموضوع على مائدة مستديرة ومغطاة بمفرشٍ أبيض. وضعت رأسها تحت جناحها متظاهرة بالنوم، لكنني أعلم أنها تتنصت علينا.

خرجت "هايتا" من المطبخ حاملةً صينية وقدمت لنا القهوة. تناولت هي و"يوا" كحول "بايليز". شعرت بالانزعاج، فوقفت وتجولت في شقة "هايتا" المطلية بالأبيض في شارع "أتالسترايتي" وسط البلدة. هناك أواني نباتات في كل الأركان، ونوافذ علوية مذهلة، وأثاثٌ قديم لكن أنيق. توقفت عند مشغل الاسطوانات الموسيقية، وسمعت "يوا" و"هايتا" تتحدثان وتضحكان، لكنني لم أفهم ما تقولانه.

وجدت أسطوانة ألبوم "أفضل أغاني مادي ووترز"، واخترت منها أغنية "I'm Your Hoochie Coochie Man".

على الضوء الخافت لاثنين من الأباجورات الطويلة، رأيت مدى سعادة هاتين المرأتين. إنهما سعيدتان لأنهما معًا.

لديَّ شعورٌ قوي بأنني على وشك العودة لشرب الكحول. تناولنا طعامًا لذيذًا. أولاً المقبلات كانت من الأفوكادو والجمبري، ثم الطبق الرئيسي من فيليه لحم الخنزير. لذلك أنا لستُ جائعًا، بل متخم بالطعام. لكن المشكلة هو ذلك العطش اللعين في روحي. إنه أقوى هذه المرة من كل ما شعرت به منذ قدومي إلى الشمال.

منذ أن استيقظت هذا الصباح وأنا أتردد ما بين التفاؤل والتشاؤم، بين اليأس والحيوية. كالعادة حاولت كبح هذا الشعور المألوف، لكنه لا يلبث أن يهاجمني مجددًا.

رفعت كوبي لأشاركهما نخبًا، وقلتُ:

- سيدتيَّ، يا لها من أمسيةٍ سارة. كم أرغب حقًّا في الشرب معكما حتى الثمالة.

كانت "يوا" مشرقة طوال الأمسية وهي مرتدية بذلتها الفاتحة. حتى أنها وضعت المكياج احتفالاً بالمناسبة. لكنها صُدِمت لسماع جملتي، وقالت:

- إياك يا "إينار" وإلا أفسدت كل شيء وندمنا على دعوتك.

ابتسمت "هايتا" التي بدت جميلة بفستانها الأزرق القصير، وصححت:

- أنت و"بولي".

قلت:

- لا، لا. لا داعي للقلق. هذا ما أشعر به وحسب. كانت أعصابي مشدودة طيلة اليوم.

قالت "يوا":

-

هذا شيءٌ عليك احتماله. أنت تتعلم أمورًا جديدة وتحتاج إلى وقت لاستيعابها. ثق بي، كنت مثلك.

-

يا إلهي، أتمنى لو أنكِ محقة. أتمنى لو لم يكن هذا هو العطش القديم نفسه، و الشفقة على الذات نفسها، والهروب نفسه من الواقع.

قالت "هايتا":

- خذ، دخِّن قليلاً. سيجارة واحدة لن تقتلنا.

ناولتني علبة السجائر التي ظلت على المائدة ولم يلمسها أحد منذ وصلت مع "بولي".

غادرت في منتصف الليل وقدت وسط البلدة لأعود إلى المنزل. بدا الوضع أشبه بالهجرات الجماعية. في الشوارع وعلى الأرصفة حامت أجواء التوقع المختلطة بتوتر مجهول ويأسٍ وعدائية، وهذه أمور معتادة في ليالي أيسلندا. المرح على وشك البدء في المقاهي والبارات. يبدو أن الأمسية الهادئة اللطيفة كانت نذيرًا لليلةٍ جامحة.

رجل يحمل قفص ببغاء لا يناسب هذه الأجواء. ربما لهذا السبب أخذت معي "بولي". فلقد أدركت أن الشيء الوحيد الذي سيمنعني من الانجراف وراء الأهواء هو شعوري بالمسؤولية تجاه كومة الريش تلك.

ربما أدركت أن أخطائي وأخطاء الآخرين لن تكون أبدًا مانعًا فعالاً. أخطائي كثيرة؛ فأنا أقول جملاً مريعة لالتقاط الفتيات، وأبذل جهودًا سخيفة ويائسة لابتكار ردودٍ ذكية وسريعة، كما أنني فاشلٌ في تمثيل دور رجل الحفلات.

عندما وصلت إلى البيت استدرت إلى "بولي" التي ظلت تتأرجح طوال الطريق وتتشبث باستماتة بأرجوحتها، وانتظرت بصبرٍ حتى أحملها إلى الداخل.

قلت لها:

- ما رأيك يا عزيزتي؟ هل هناك ما عليَّ فعله؟

22 السبت

"أي أكاذيب لم تنشر بعد عن حرب العراق؟". "توقعات جوية متعارضة في قرية "تالفيك". "أغلبية الأيسلنديين يؤمنون بمبادئ ماركس وسبنسر". "الناشرون يتوقعون فوز أيسلندا بمسابقة الأغنية الأوروبية".

هذه هي عناوين الأخبار المكدسة في الصحف. قلبت الصفحات لكن لم يلفت نظري شيء. اختفت أخبار التحقيقات في وفاة "سكارفيدين فالياردسون" من كل وسائل الإعلام منذ إطلاق سراح فتيان عصابة "ريتارجيرتي" الثلاث.

كان فرع جريدة "أفتر نون نيوز" في "أكوريري" فارغًا هذا السبت، لكن وسط البلدة يعج بالناس السعداء بقدوم الربيع. شغلت الكمبيوتر وحاولت جمع ملاحظاتي وتسجيلاتي والمعلومات المتفرقة التي أعرفها عن الفتى المتوفي. كما توقعت. إنها ليست متكاملة، مهما حاولت تعديل مقالي. لقد أخذت قسطًا وفيرًا من الراحة وأستطيع التفكير بوضوح وفقًا لمعاييري على الأقل، لكن مهما فعلت ما زالت هناك فجوات في قصتي.

اتصلت بـ"ريكيافيك"، وأدركت أنه لا يمكنني تأجيل ما عليَّ فعله بعد الآن. الفكرة في بالي منذ أن استيقظت، ولن تغادر عقلي إلا إذا نفذتها. أطفأت الكمبيوتر والتقطت نسخةً من عدد نهاية الأسبوع، ثم سرت إلى الميدان المشمس بتثاقلٍ وتخوف مما هو آتٍ.

- "جونهيلتور" لم تستيقظ. لم تنهض من السرير اليوم.

هذا ما أبلغوني به حين اتصلت بدار رعاية "هوتل".

هذا ليس جيدًا. سألت:

-

هل يمكنني القدوم لزيارتها؟

-

حسنًا، لم تقل إنها لا ترغب بالزوار. ليس وكأنهم كثر على كل حال.

-

حقًّا؟ ألا يزورها كثير من الناس؟

-

لا، هذا ما يدعو للأسف. لا زيارات منذ وفاة ابنتها. كانت تأتي مرتين في الأسبوع في الشهور الأخيرة. اعتادت زيارتها يوميًّا، لكنها لم تكن بخير على ما يبدو.

-

نعم، هذا ما سمعته.

-

يبدو أنك اشتريت جريدة "أفتر نون نيوز". هناك مقالٌ عن ابنتها فيها.

لا أعرف ماذا أقول. سألته بغرابة:

- حقًّا؟ لم أقرأ الجريدة بعد. هل أعجبك المقال؟

أجاب:

- نعم. هناك كثير من المعلومات التي لا نعرفها. لكنني شعرت بأنه حزين.

سألت عن رقم غرفة "جونهيلتور" وحصلت على الاتجاهات. وقفت أمام باب غرفتها. يمكنني سماع تذمرها الخافت داخل الغرفة. طرقت الباب.

لا إجابة.

فتحت الباب بحذر واسترقت النظر. هناك سريران في الغرفة. ها هي "جونهيلتور" واقفة. كانت ترتدي قميصًا داخليًّا وتحاول ارتداء ثوبًا رماديًا. أدخلت رقبتها، لكنها عجزت عن إدخال ذراعيها. دخلت الغرفة وساعدتها على وضع يديها في الفتحات.

قالت قبل أن تنظر لتعرف من أنا:

- شكرًا لك.

ثم رأتني فتجمد وجهها العجوز لكن الجميل، وقالت:

- إنه أنت أيها الفتى المشاكس؟ من سمح لك بالدخول؟

أجابتها مازحًا في محاولة لتلطيف الأجواء:

-

في الواقع.. لم يقل أحدهم إنه يجب عليَّ عدم الدخول.

-

هذا هو بيتي. ربما لا أتحكم كثيرًا فيما يحدث هنا، لكنني أقرر من يزورني. أنا أقرر من أريد رؤيته.

زمجرت بغيظ فيما تواصل هي:

- وأنا لا أريد رؤيتك.

ناولتها الجريدة قائلاً:

- لكنني أردت أن أريكِ المقال حتى تتأكدي من أنه غير ضارٍ أبدًا. بل قد يكون مفيدًا...

أطاحت بالجريدة، وقالت:

-

لقد رأيت المقال اللعين. لم أحظ بلحظةٍ سلامٍ واحدة من جماهير مسلسل "ذا جايدينج لايت" هنا. لم أستطع حتى الاستلقاء على السرير دون أن يقاطعوني باستمرار. وكل هذا مقالك اللعين!

-

ماذا يقولون؟

-

ماذا يقولون؟! يظهرون تعاطفهم ويتظاهرون بالتفهم. لا أحتمل النفاق والتملق!

-

حقًّا؟ ظننت أنه من الجيد أن يزداد وعي الناس...

قلدت كلام الناس المشفقين عليها:

-

"عزيزتي "جونهيلتور"، لم أعلم قط ما حدث!"، "كما كان صعبًا عليكِ العيش مع "أوستيس بيورك"! هذا محزن جدًّا".

-

إممم...

-

اللعنة على هذه السخافات والأكاذيب التي يتفوَّه بها هذا الوغد "أوسجير". يريد أن

يحسن من صورته وحسب. لا أصدق أنك فعلت هذا بي!

هزَّت رأسها فتحرك شعرها الرمادي.

-

لكن المقال يعتمد أساسًا على المعلومات الطبية...

-

لا أصدق كلمةً مما يقول هؤلاء الأطباء الحمقى. لا أصدق سوى نفسي.

ثم عقدت ذراعيها أمام صدرها الضئيل وكأنها تعبرٌ عن استحالة إقناعها.

سألتها محاولاً تغيير الموضوع:

- هل تودين الخروج في الشمس؟ يمكننا السير قليلاً.

نظرت إليَّ بتساؤلٍ، ثم هزَّت كتفيها قائلة:

- عندما تنفد منك الخيارات فأي شيءٍ تقوله سيكون مقبولاً.

ساعدتها على ارتداء معطفها، ثم لفَّت وشاحًا حول عنقها. بعد ذلك تمشينا في حديقة دار الرعاية متشابكي الأذرع خطوةً بخطوة. النزلاء يتجولون فيها. وقفت ثلاث نساءٍ ورجلٌ واحد في مجموعةٍ صغيرة يدخنون. فكرت في التدخين أيضًا، لكن مرافقتي قالت للمدخنين: "هناك طرقٌ كثيرة لقتل أنفسكم والآخرين".

غيرَّت رأيي، ودسست يديَّ في جيبيَّ، وأمسكت سجائري بقوة.

نظرت للأعلى، وقالت:

- يا للشمس اللعينة! هل ستقتلنا من الحر؟ ما زاد على حده ينقلب لضده حتى لو كان مفيدًا!

تمشينا قليلاً حول المبنى بلا حديث، ثم قلتُ:

- هل المكان هنا لطيفٌ؟

قالت بسخرية:

-

الأمر يشبه السكن في فندقٍ خاص بالمطار. فأنت تقيم مع أناسٍ لا تعرفهم وتنتظرون

جميعًا الرحيل إلى الوجهة نفسها. انتظر أيها الشاب وسيحين دورك.

-

نعم، لقد خطرت لي هذه الفكرة بالفعل.

بدأت تسألني عن مكان نشأتي وعن عائلتي وعمري ودراستي ومحل عملي. حاولت الإجابة عن أسئلتها دون الدخول في تفاصيلٍ معقدة، فلديَّ منها الكثير. درنا حول دار الرعاية بالكامل ثم توقفت "جونهيلتور" أمام البوابة ونظرت إليّ بحدة بعينيها الزرقاوين الصافيتين وقالت:

- حسنًا، لقد تجولت معك ولم أمت بعد. والآن أخبرني ماذا تريد أن تقول.

قررت أن الصراحة أفضل وسيلةٍ للحوار فقلتُ:

- أنا حزين لأنكِ تشعرين بأنني خذلتكِ. هذه لم تكن نيتي حقًّا...

هزَّت رأسها دون كلام، فواصلت:

- ما زلت لم أجد بعد أي دليلٍ يثبت أن وفاة ابنتكِ ليس حادثًا نتيجة مرضها...

زفرت "جونهيلتور" وضربت الأرض بقدمها قائلة:

- هذا يكفي أيها الشاب. لقد قلتُ هذا من قبل بالفعل. لو كنت أتيت طالبًا غفراني لأحلك من الاتفاق فقد أضعت وقتك سُدى.

تجاهلتها، وواصلت:

- لكنني عرفت بالأمس أن "أوسجير" يتفاوض لبيع مصنع الحلوى. كنتِ محقة بشأن ذلك.

أضاء وجهها، وقالت:

- حسنًا، حسنًا. لقد حان الوقت لتعترف بذلك.

رفعت إصبعي لأوقفها قائلاً:

- قبل أن آتي لرؤيتك اتصلت بحفيدك "جوتمونتور" في الجنوب. ألمحت له أني مهتمٌ بمعرفة رأيه عن المقال في جريدة اليوم، فأنا تواصلت مع والده من خلاله. كان راضيًا عنه. قبل أن أودعه أخبرته أنني سمعت إشاعاتٍ في مجال الأعمال تقول إن والده يخطط لبيع مصنع "يام"، فقال: "هذا صحيح".

أخرجت مفكرتي لأقرأ منها:

- ثم قال حرفيًا: "آن الأوان لنا أن نخرج من عالم المال والأعمال. كان صراعًا متواصلاً أن نحاول إدارة الشركة. لكن أمي كانت معارضة تمامًا ودومًا لفكرة البيع. شعرت أنها إهانةٌ لها ولعائلتها. كانت دومًا تقول إن الشركة أمانة في أيدينا، ومن واجبنا الحفاظ عليها وزيادة قيمتها. لكن الحقيقة هي أننا لم نربح منها قط، بل كان صعبًا دفع الرواتب. كما قلت مسبقًا، لقد آن الأوان". هذا ما قاله حفيدكِ "جوتمونتور أوسجيرسون" الخبير الاقتصادي. لكنني أعترف أنه قال ذلك بشكلٍ غير رسمي.

لم ترد "جونهيلتور".

- "جونهيلتور"، لا شيء من هذا يثبت أن الزوج هو سبب وفاة "أوستيس بيورك". لا شيء أبدًا. لكنني لم أستسلم بعد. هذا ما أتيت لأخبركِ إياه.

أمسكت معصمي بشدة، وقالت:

- أخبرت عزيزتي "راكنا" أنك أحمقٌ قليلاً يا بني، لكن نيتك طيبة.

ثم تركتني قائلة:

- اتضح أنني كنت على حق.

استدارت وسارت مرفوعة الرأس وببطء إلى دار رعاية "هوتل".

عندما تشعر "جونهيلتور" بتحسن أشعر أنا أيضًا بالمثل. هكذا وبكل بساطة. اتصلت بـ"يوا" ودعوتها مع "هايتا" على العشاء في مطعم "فيدلارين".

تمتعت بالمنظر المشرق الخلاب للمضيق، بينما أنتظر ضيفتيَّ في البار الأخضر. دخنت سيجارة وتناولت صودا. الحياة تبدو مقبولة. والعطش الفتاك قد زال عني.. مؤقتًا.

دردشنا أثناء تناول الطعام، بما في ذلك لحم الغزال الفرنسي كثير العصارة الذي نتناوله. بعد ذلك عدنا إلى البار. لماذا قد يرغب أي شخصٍ في الذهاب إلى "كوبنهاجن" أو حتى "ريكيافيك"؟

بدأت "يوا" و"هايتا" بتناول القهوة والكونياك عندما رنَّ موبايلي فجأة. أجبت عليه:

-

مرحبًا.

-

هل أنت "إينار" صائد الأخبار؟

سألته:

- من أنت؟

أجاب الصوت الذي تعرفت على صاحبه للتَّوِّ:

- أنا المأمور "أولافيور جيسلي".

كانت "يوا" و"هايتا" تدردشان، بينما أتحدث.

قال المأمور:

-

يبدو لي أنك تتمتع بصحبة النساء.

-

ليس كما تظن، وليس كما أتمنى.

-

ممتاز. أظن أنه عليك المغادرة الآن إلى مكانٍ آخر.

-

حقًّا؟ أي مكان؟ هل حدث شيءٌ ما؟

-

نعم.

شعرت بالقلق فورًا، وسألت:

-

هل هذا المكان هو مسرح جريمة؟

-

مسرح جريمة، هذا صحيح.

-

حسنًا. أين عليَّ الذهاب؟

-

فرع جريدة "أفتر نون نيوز" في ميدان البلدية.

-

ماذا حدث هناك؟

-

لا يمكنني إخبارك على التليفون، ولن أخبرك حتى لو كنت أستطيع.

-

سآتي فورًا.

أنهيت المكالمة، ثم جلست ساكنًا لبضعة دقائق. هل اقتحم أحدهم المكتب؟ هل أشعل حريقًا؟ هل هناك من دمر المكان؟ هل حدثت جريمة قتل؟

- ماذا؟

انتفضت خارجًا من أفكاري. وجدت "يوا" و"هايتا" تنظران إليَّ بتساؤل فأجبتُ:

- لا أعرف حقًّا. اتصل بي "الدبدوب" للتّوّ و...

سألت "هايتا" بدهشة:

- "الدبدوب"؟

همست لها "يوا" موضحة:

- هذا هو الاسم الذي يطلقه "إينار" على المتصلين المجهولين.

واصلت كلامي:

-... وقال إنه عليَّ الذهاب فورًا إلى مكتبنا. يحدث شيءٌ ما هناك أو أنه حدث بالفعل. الله أعلم.

استدعيت الجرسون وطلبت الفاتورة، ثم قلتُ:

- آسفٌ يا فتيات، الواجب ينادي. وأنت يا "يوا"، أظن أنه عليكِ القدوم معي. قد نحتاج لالتقاط الصور.

أوضحت "يوا":

-

لكن كل عدتي هناك في المكتب.

-

حسنًا، لنأمل أن المكان لم يتم تخريبه وأن أدواتكِ لم تسرق أو...

زمجرت "يوا" قائلة:

- لماذا يحدث هذا وأنا بكامل أناقتي؟!

كانت أمسيةً هادئة في الميدان، بينما نسرع أنا و"يوا" من المطعم. لم تحن الساعة الحادية عشرة بعد، لذلك ما زال الليل في أوله. توقفنا في الميدان ونظرنا إلى المبنى. شقة "أوسبيورن" و"كارولينا" كانت مظلمة، أمَّا المكاتب فكانت مضاءة. نظرت حولنا فلم أجد سوى سيارة سوداء قريبة عند رصيف المشاة.

قلت:

- هذا غريب. لا أرى سيارات شرطة أو أي شيء.

التزمت "يوا" الصمت.

سرنا نحو المبنى، وصعدنا السلالم بهدوء، بينما شعرت بقلبي ينتفض بعنف. عندما وصلنا إلى باب المكتب نظرت إلى "يوا" فوجدتها شاحبة كالموتى. وضعت أذني على الباب فسمعت أصواتًا خافتة. استجمعت شجاعتي وأمسكت بمقبض الباب وفتحته. لم أجد أحدًا في قسم الاستقبال، فدخلت بحذرٍ خطوة بخطوة و"يوا" تتبعني.

كان باب مكتب "أوسبيورن" مواربًا. سمعته يتحدث ضاحكًا:

-... وهكذا أطلقوا عليه اسم "هاكون" الجبار!

- "هاهاهاها!".

إنها ضحكات للأمور المجلجلة.

فتحت الباب ففزعا من ظهوري المفاجئ. رأيتهما جالسين ومرتدين قميصين بنصف أكمام ويضعان أرجلهما على مكتب "أوسبيورن". كان وجهاهما أحمرين من الشرب على ما يبدو. رأيت كؤوس الصودا مع شيءٍ ما، وهناك نصف زجاجة من ال"فودكا" على المكتب.

أمَّا "بال" فكان مستلقيًا على الأرض و"يشخِّر".

عادا لرشدهما سريعًا، ورفعا كأسيهما تحيةً لنا.

صاح المأمور:

-

نخبكم! نخب صحفي التحقيقات. مرحبًا بك في مسرح جريمتنا.

-

"هاهاها! أهاهاها!".

قهقه "أوسبيورن" وهو يمسك ببطنه التي تهتز من الضحك.

قال "أولافيور جيسلي" بابتسامةٍ ساخرة:

- كنا نختبر فقط سرعة استجابتك.

نظر إلى ساعته، ثم أضاف:

- أربع دقائق ونصف. ليس سيئًا.

قال "أوسبيورن":

- ليس سيئًا؟! إنه بسرعة خدمات الطوارئ تقريبًا.. "هاهاها!".

نظرت إلى "يوا"، وقلتُ:

- إنه مقلب. هذان المخموران يمزحان على حسابنا. لنعد إلى المنزل.

انتفض "أوسبيورن" واقفًا بسرعةٍ لدرجة أنه ترنح. ثم أسرع إليَّ قائلاً:

- مطلقًا، مطلقًا يا عزيزي "إينار". اهدأ. كنا فقط نشرب قليلاً لنسترخي، أنا وصديقي القديم "أولافيور جيسلي". نود منك الانضمام إلينا. ظننا أنك وحدك.

أجبت بجفافٍ قدر المستطاع:

- هذا لطفٌ منكما.

أعترف أن منظرهما كان مضحكًا، وخصوصًا "أوسبيورن".

غمغم "أوسبيورن":

- عزيزي "إينار"، أنت لست سيئًا أبدًا كما كنت أظن. حقًّا، أنت.. أنت...

ظل يبحث عن كلمةٍ مناسبة، ثم لمعت عيناه عندما وجد تعبيرًا وعانقني حتى شممت رائحة عرقه. قال:

- حقًّا، أنت تمام. نعم، هذا ما أنت عليه. أنت تمام التمام.

وضع "أوسبيورن" يده على كتفي ونظر إليَّ بودٍ غير معتاد، ثم نظر إلى "أولافيور جيسلي" المبتسم بسخرية، وقال:

- "أولافيور جيسلي"، هذا هو "إينار". إنه تمام.

أخذنا نضحك أنا و"يوا".

تمتم "أوسبيورن":

- لكنه يُبقي الأمر سرًّا.

التفت إليَّ، وسألني:

-

لماذا تبقي الأمر سرًّا بخصوص كونك تمامًا؟

-

ربما لأنه يغيب عن بالي أحيانًا أنني تمام. هل تظن ذلك؟

لم يسمعني. إنه يعانق "يوا" الآن فظهر تعبيرٌ غريب على وجهها. قال لها:

- وأنتِ يا عزيزتي "يوا"، ماذا كنت لأفعل من دونكِ؟

أجابته:

- لا أعرف.

واصل:

- ماذا كنت لأفعل من دونك بحق الجحيم؟! "يوا"، دعيني أعطيكِ بعض الـ"فودكا"...

ثم التفت إليَّ، وقال:

- أعلم أنه لا يمكنني إعطاؤك أي خمر يا "إينار". فهذا ليس مناسبًا، خاصةً وأنت تبلي حسنًا في الامتناع عنه. "أولافيور جيسلي"، أعطِ "يوا" الكحول، وأعطِ الصودا لـ"إينار". و"إينار"...

تعثر وكاد يقع، فأمسكت كتفه، فيما واصل هو:

- انظر، أنا مخمورٌ تمامًا، وأنت لا. أنت صاحٍ وبكامل وعيك اللعين! "إينار"، صديقي...

فجأة أصبح جديًّا، وقال:

- أنا فقط أحتفل مع صديقي "أولافيور جيسلي"، إنه أعز أصدقائي على الرغم من أنك تمام التمام أيضًا يا أينار". ألست كذلك؟ أنا أحتفل بنقطة تحولٍ في حياتي. مفترق طرق. فصل جديد في حياتي.

ثم أضاف بعد صمتٍ درامي:

- لديَّ ابنة!

كان وجهه أحمر ومتعرقًا، لكنه رفع كأسه، وقال:

- يا أصدقائي الأعزاء، شاركوني نخبًا. لديَّ ابنة جميلة ومرحة.

قلنا جميعًا:

- نخبها!

شربوا ثلاث جرعاتٍ من الـ"فودكا" فيما شربت أنا ثماني جرعات من الصودا.

تمتم محدثًا نفسه أكثر منًّا:

- وعزيزتي "كارو". حبيبتي "كارو"، عزيزتي "كارو"...

سألته "يوا":

- نعم، كيف تلقت "كارو" الأخبار؟

أثناء تناول العشاء مع "يوا" و"هايتا" منذ قليل في "فيدلارين" رويت لهما قصة الابنة المفقودة منذ زمن.

أجابها "أوسبيورن":

- "كارو"؟ "يوا"، دعيني أخبركِ كيف تتقبل "كارو" الأمر. ستعتبر "بيورج" الابنة التي لم

ننجبها قط. نعم، مثل الابنة التي لم ننجبها قط! فكري في الأمر! هكذا تتقبل "كارو" الأمر. أليس هذا رائعًا؟

جفَّف عينيه، وأجاب سؤاله بنفسه:

- نعم، هذا رائع.

سألته:

- وأين "كارو" هذا المساء؟

ردَّ "أولافيور جيسلي" الذي ظل مبتسمًا بطرف فمه طوال حديث صديقه:

- ذهبت إلى "ريكيافيك" لإخبار والديها عن الأمر.

ثم أضاف بجديةٍ مفاجئة:

- أصبحت تصرفاتهما الطفولية عبئًا عليها على مدى السنين. كان "أوسبيورن" شديد القلق بسبب التعاسة المحيطة بزوجته. شعر بالعجز التام حتى انضم "بال" إلى العائلة.

جلس "أوسبيورن" يلهث في مقعده.

قال المأمور وهو يشرب بشراهة من زجاجة "فودكا":

- كنا نجلس هنا نتبادل النكات حتى وصولك. إنها عادتنا منذ المدرسة الثانوية.

مسح "أوسبيورن" دموعه وابتلع ما في كأسه، ثم قال:

- نعم، إنه دورك. أخبرنا مزحة.

ربت "أولافيور جيسلي" على خديه، وقال:

- نعم، لنرَ. ذات مرَّة ذهبت فتاة من المدينة إلى الريف لقضاء الصيف في مزرعة. في اليوم الأول ظلت في الحقل مع المزارع الذي سألها إن كانت تملك أي مهارات. سألها إن كانت تعرف الحلب؟ قالت بالطبع. جلست على كرسي الحلب بجانب إحدى البقرات، وبدأت تفرك الحلمات، شعر المزارع أنها استغرقت وقتًا طويلاً، فسألها ألن تبدأ الحلب؟ فأجابت الفتاة أنها تنتظر تصلب الحلمات!

قهقه "أوسبيورن جريمسون"، واهتزَّ من الضحك، وانضم له "أولافيور جيسلي". وأنا أيضًا انفجرت ضحكًا عندما لمحت "يوا" وهي تحاول كبح ضحكاتها.

بعد قليل تركنا الصديقين يشربان في "مسرح الجريمة" الخاص بهما.

استدرتُ إلى "يوا"، وقلتُ:

- حدثني "هانس" في موضوع عودتكِ. أظنني تمكنت من إعطائه كثيرًا من الأسباب المنطقية لكي لا تعودي إلى "ريكيافيك" الآن. أتمني أنني نجحت في إقناعه.

ركبنا سيارتي المركونة في الجراج، ثم بدأت "يوا" تتحدث عن خططها المستقبلية. قالت:

- أتمنى ذلك أيضًا. لا أغرب حقًّا في الرحيل الآن.

كنت أقود في شارع "سكيباجاتا" نحو الميدان. الشباب لا يتجولون بتباهٍ بسياراتهم الآن، والمرور في وسط المدينة مزدحم.

غامرت بسؤالها:

-

الأمر جادٌ إذًا؟

-

أنا في وضعٍ جيد.

هذا هو كل ما ستقوله "يوا"، وهو حقًّا كافٍ.

رأيت كافيه "أمور" القريب يمتلئ بالناس بينما مررنا ببطءٍ بجواره لنقود في شارع "ستراندجاتا". وكافيه "أكوريري" أيضًا يشاركه الحالة نفسها.

سألت "يوا":

-

ماذا عنك؟

-

أنا بخير بشكلٍ عام.

-

وماذا عن النساء؟ هل الأمور ليست على ما يُرام؟

نظرتُ إليها بطرف عيني، وابتسمتُ قائلاً:

-

سأقول إنني لستُ مرتبطًا الآن.

-

هل تأخذ استراحة؟

-

لا أعرف يا "يوا". أنا فقط...

اللعنة! هذه السيارة قريبة منَّا للغاية. يبدو كأنها تتبعنا.

قلت لـ"يوا":

-

أنا فقط لا أظنني مستعدًا بعد للتورط في علاقةٍ قد تكون أكبر منِّي. فأنا أعمل بدوامٍ كامل يحميني من حالة العطش التي تمر بها روحي. من الأفضل القيام بكل شيءٍ على حدة.

-

أنت صارمٌ في الالتزام إلى حدٍ مريع يا "إينار". أظنها حالةً من الفوبيا. صدقني!

قلتُ:

- محتمل.

بينما أتحدث شعرت بارتطامٍ في مؤخرة السيارة. قالت "يوا" وهي تنظر للخلف بشراسة:

- ما هذا بحق الجحيم؟ هل هذا الوغد صدمنا من الخلف؟

وصلنا تقريبًا لنهاية شارع "ستراندجاتا"، ومررنا بالمزيد من الملاهي الليلية مثل "فيلسميتيان" و"أودفيتين". توقفت عند الناصية دون إنذار.

- أيها الوغد!

هكذا صحت عندما لمحت السيارة التي مرَّت بجانبنا مباشرةً. إنها السيارة نفسها التي رأيتها عند مقر الجريدة. والسيارة نفسها التي كانت هناك عندما خرجنا. نظر إلينا "أكنار هانسين" من النافذة الخلفية وأشار لنا بحركةٍ بذيئة من إصبعه، بينما تمر سيارته. صرخت عجلات الـ"هوندا" السوداء عندما توقفت وانفتحت أبوابها ليقفز منها "إيفو" و"جارتار".

قلتُ:

- سحقًا!

عدت إلى السيارة مسرعًا، وشققت طريقي وسط الزحام. توجهت إلى شارع "ستراندجاتا" لأعود إلى الميدان.

سألتني "يوا":

- ما الأمر؟ من هؤلاء؟

أوضحت:

- إنهم عصابة "ريتارجيرتي".

لم أخبرها ما قاله لي "أوسكار" في فندق "ريتارجيرتي" حول أن ثلاثتهم يسعون للانتقام في "أكيويري".

نظرت "يوا" خلفها، وقالت:

- ما زالوا يتبعوننا. بضع سياراتٍ تفصلنا عنهم.

وصلت إلى ناصية شارعي "ستراندجاتا" و"جليرارجاتا". لست واثقًا أي اتجاهٍ سأختار. لا أحب فكرة أن أعلق في زحام البلدة مع هؤلاء المجانين، لذلك انعطفت يمينًا إلى "جليرارجاتا". قدت بأسرع ما يكون، فوصلنا إلى منطقة "ليتار". عندما وصلنا إلى منزلي ومنزل "بولي" - الذي هو منزل "يوا" أيضًا - ركنت السيارة، لكن ليس في المكان المعتاد. اخترت مكانًا أبعد قليلاً.

قلت وأنا أحاول إشعال سيجارة:

- "يوا"، أعلم أن منزل "هايتا" في الاتجاه الآخر، لكن يجب علينا عدم المخاطرة. تعالي معي. لننتظر ونرَ إن كنا استطعنا إبعادهم أم لا.

خرجنا من السيارة بصمت واسترقنا السمع. المنطقة هادئة وكأن الضاحية كلها مسكن طلاب. الجميع نائمٌ بسلام.

بعد ذلك أسرعنا بالدخول، وأغلقنا كل الستائر، وأضأنا أقل عددٍ ممكن من الأنوار.

اتصلت "يوا" بـ"هايتا" لتخبرها بما حدث، بينما دخلت غرفة النوم لأطمئن على "بولي". إنها نائمة ورأسها تحت جناحها.

قلت:

- كم أحسدكِ يا "بولي" الصغيرة. أنت آمنة ومرتاحة البال في قفصكِ.

23 الأحد

"ارقص يسارًا،

ارقص يمينًا...".

إنها أغنيةٌ قديمة ترددت من السماعات، أغنية بسيطة، لكن لافتة للنظر وتلقت نجاحًا ساحقًا في الستينيات. في ذلك الوقت لم يكن هناك ما يسمى فرقة فتيات.

كانت الحياة في غاية السهولة.

وجدت "يوا" اسطوانة قديمة اسمها "الفتيات والجيتار" ضمن مجموعة مالكة العقار. لسببٍ ما ذكرتني أغنية "الفتيات والجيتار" بأغنية "الفتيات والأسلحة". يا لها من مقارنةٍ خطيرة. إنها الرابعة فجرًا. بقينا جالسين نتحدث ونسمع الموسيقى، ونسينا تمامًا الخطر الذي هجم علينا منذ بضع ساعات.

ذهبت "يوا" إلى غرفتها وبقيت وحدي في غرفة المعيشة. الآن أنا مستلقٍ على الكنبة أدخن سيجارة وأستمع إلى أغنية هؤلاء الفتيات المتسلحات بالجيتار.

بعد ذلك استمعت إلى أغنيةٍ أخرى.

"إنهم الوحيدون".

يغنيها "بات بودريل" مع فرقته "ذا بودريلز". لم أسمع بهم قط، لكنها أغنية جيدة على كل حال.

لست واثقًا، لكنني أظني سمعت صوتًا غريبًا قادمًا من غرفتي التي أشاركها مع "بولي".

"لا أحد في هذا العالم المحير

يحاول أن يفهم...".

واصلت الفتيات الغناء.

فجأة انفتح باب غرفة النوم واقتحمها "جارتار جونسون" بجسده الطويل النحيلة وهيئته البشعة. كان يرتدي ذلك القميص المكتوب عليه "قوة البيض!"؟

قفزت فزعًا فيما تتواصل الأغنية.

"هناك من يعرف

ماذا يسبب ألم القلب.

إنهم الوحيدون...".

سار "جارتار" بعرجٍ إلى جهاز الموسيقى وأطفأه.

قال "أكنار هانسين" عندما دخل الغرفة:

- أنت تستمع إلى هذا الهراء التافه أيها الحقير.

كان يربط شعره ذيل حصان، ويرتدي بنطلونًا جلديًّا أسودَ اللون وجاكيت مطابقًا له.

جلس على المقعد المواجه للكنبة وفي فمه سيجارة حشيش.

انطلقت صرخات الرعب من غرفة النوم. تبادل "أكنار" و"جارتار" نظرة اتفاق فيما تجمدت مكاني على الكنبة.

نظرت لأرى مصدر الصرخات فرأيت "إيفو باتوراك" واقفًا عند الباب بهيئته الضخمة متشحًا بالسواد كالمرة السابقة. رفع قبضته الزرقاء وأطل من بين أصابعه الضخمة رأس صغير. إنها "بولي". لقد صمتت الآن لكنها تحرك رأسها باستمرار وتفتح منقارها عن آخره. وقف "إيفو" و"جارتار" على جانبيّ الزعيم الجالس.

قال "أكنار" ساخرًا:

- هل تنام مع الببغاء الآن أيها المختل الحقير؟

لمع الضوء على أسنانه الصفراء وعلى التقويم المركب لها.

حاولت أن أقول بصوتٍ ثابت قدر المستطاع على الرغم من قلبي الذي أوشك على الانفجار:

- أنت محق يا سيد "هانسين". لكنها أنثى ببغاء وليست ذكرًا. اسمها "بولي".

ضحكوا باستمتاع. حدقات أعينهم المتسعة وحركاتهم الغريبة أخبرتني أنهم تعاطوا الليلة شيئًا غير المهدئات بالتأكيد.

قلتُ مخاطرًا باستفزازهم:

- بما أن المضاجعة هي أول ما خطر ببالك عندما رأيت الببغاء، فلست مندهشًا من أنك تعاني مشكلات نفسية.

أسرع "جارتار" نحوي وركلني بقوةٍ في قصبة ساقي. مزق الألم رأسي كصاعقةٍ من البرق.

قلت وأنا أجز على أسناني لأكتم الألم:

- مهلاً، مهلاً. يجب أن تتمتعوا بحس الفكاهة. من اللطيف أن تزوروني أيها الفتيان. يمكنكم الخروج من الباب إذا أحببتم. لا داعي لأن يدخل ويخرج من المنزل ضيوفٌ محترمون مثلكم من النافذة.

أظنهم حصلوا على العنوان من الدليل. لكن كيف كنت مهملاً هكذا لأترك النافذة مفتوحة!

ردَّ "جارتار":

-

سنغادر حين نريد وبالطريقة التي تحلو لنا.

-

لماذا لم ترنُّوا جرس الباب؟ كنت سأدخلكم وأقدم لكم الشاي والكيك بلا مشكلات. أنا أنسى أصول اللياقة أحيانًا. ما الذي تريدون تناوله أيها السادة؟

يبدو أن كلامي أربكهم.

فكرت في المسكينة "بولي" الصغيرة التي تقبع ساكنة في قبضة "إيفو" الضخمة.

قلت بصوتٍ أعلى:

- حسنًا، إلى ماذا أدين بشرف وسرور هذه الزيارة؟ كيف يمكنني خدمتكم؟

أجاب "أكنار":

-

نحن نبحث عن شخصٍ آخر في "أكوريري". لكننا لم نجده، لذلك فكرنا في القدوم إليك عوضًا عنه.

-

يا لفرحتي.

سألني:

-

من وشى بنا إلى الشرطة؟

-

كيف لي أن أعرف؟

استعد "جارتار جونسون" لركلي مجددًا في ساقي، لكن "أكنار" أوقفه بإشارةٍ وقال لي:

- من الواضح من مقالك أنك تملك صلاتٍ مهمة. عليك حقًّا إخبارنا بما تعرف. وإلا سنقتل ببغاءك.

ضحكوا بسخرية.

أود حقًّا إخباره بأنني مندهشٌ لأنه يستطيع القراءة. أريد أن أوضِّح بأن من يتهجم على ببغاء يجدر به العودة لهوايته الأصلية وهي اصطياد الذباب.

قلت بصوتٍ مرتفع، وبينما أفكر في خطوتي التالية في هذه اللعبة الخطرة:

-

حسنًا، لقد افترضت ببساطة أن هناك من رآكم في هذا الحفل.

-

لا تفترض. فقط أخبرنا من هو.

لا أستطيع التفكير في الخطوة القادمة.

نظر إليَّ "أكنار" بثبات وهو يأمر "إيفو":

- "إيفو"، اسحق الطائر.

أطاعه "إيفو" فورًا. صرخت "بولي" بألم، أو رعب. مزقني صراخها كالسكين، وكأنني أنا من يسحقه "إيفو".

صرخت:

- لا، لا! أنا فقط أحاول أن أتذكر إذا ما كنت سمعت شيئًا عن الأمر.

أدى صوتي المرتفع الهدف المنشود. فمن خلف المقتحمين الثلاثة انفتح باب غرفة "يوا". تحركت بخفة مرتدية جواربها النسائية وتسللت إلى الصالة.

ماطلت قائلاً:

- مهلاً، مهلاً. هل يمكن أن يكون "فريدريك إينارسون"؟

اقتربت "يوا" بصمت.

-

لا، مستحيل. نحن نسيطر على هذا الأحمق. نحن نملكهم جميعًا.

-

إذًا من...

اختل توازن "إيفو" و"جارتار" فجأة حين ركلتهما "يوا" في ركبتيهما. ثم ضربتهما بعنفٍ على عنقيهما فانهارا على الأرض. فرد "إيفو" يديه فورًا نحو الأرض ليخفف سقوطه،

فهربت "بولي" وطارت إلى عمود الستارة، حيث وقفت تصرخ بغضب. بعد ذلك استدارت "يوا" إلى "أكنار هانسين" الجالس بلا حراكٍ في مقعده. جذبته من عنقه وطوحته بسهولة. نهضت لأساعدها، فجررنا "أكنار" إلى الكنبة وألقيناه به عليها. جلست "يوا" على رأسه لتقيد حركته. ظل يقاوم ويركل لكنه استسلم في النهاية عندما همدت حركة رأسه تمامًا تحت مؤخرة "يوا" الصلبة.

وقف "جارتار" بصعوبة وذهب إلى النافذة ليحاول الإمساك بـ"بولي"، لكنها ظلت تتحرك ذهابًا وإيابًا على عمود الستارة. شعر "إيفو" بالدوار وجلس بصعوبة، ثم أمسك وجهه المفلطح بيديه. ذهبت إليه وأمسكت منفضة سجائر زجاجية ورفعتها فوق رأسه الحليق مهددًا. قلت لـ"يوا":

- أحسنتِ عملاً يا "يوا".

قالت بابتسامةٍ واسعة:

- دروس الفنون القتالية أتت ثمارها أخيرًا.

حاولت تقليد أفلام التشويق الأمريكية التي تشبه وضعي الحالي، فتحدثت بتكاسلٍ قدر المستطاع:

- "جارتار"، توقف عن هذا واترك الطائر وشأنه. وإلا سحقت رأس زعيمك كالبيتزا وطحنت مخ "إيفو" كالتوابل ثم خلطتهما وجعلتك تأكلهما. أظنني أملك جبن بارميزان في الثلاجة ليناسب الوجبة.

صاح "أكنار" بألم قائلاً:

- حسنًا، تراجعا يا فتيان.

توقف "جارتار" في الحال ووقف بغرابةٍ عند النافذة. ذهبت إليه وركلته في قصبة ساقه، فجفل بألم. قلت له:

- أنت انتظر هنا.

ثم عدت إلى "إيفو" الذي كان متكومًا على الأرض. وضعت منفضة السجائر على مؤخرة رأسه ليعرف كم هي ثقيلة. اهتزَّت عضلاته بتوتر، مما يعني انه بدأ يفيق. قلت له:

- أما أنت يا "إيفو" فاهدأ.

عدت إلى "يوا" الجالسة على رأس "أكنار هانسين" بابتسامةٍ ساخرةٍ. أظنها تستمتع بذلك. ثم صاحت فجأة:

- احذر!

في تلك اللحظة مد "إيفو" يديه وأمسك بعنقي. لم يكن لديَّ أي خيار سوى ضربه بمنفضة السجائر على رأسه. خار كالفيلم ثم سقط أرضًا. لم تنكسر منفضة السجائر من الضربة، لكن "إيفو" كان ينزف من جرحٍ في فروة رأسه.

عنفته قائلاً:

- قلتُ لك اهدأ.

ذهبت إلى الحمَّام بسرعة لأجلب منشفة. بدا "إيفو" دائخًا، لكنه أمسك المنشفة فور أن وضعتها على رأسه.

قالت "يوا" بمرح:

- والآن أظننا اكتفينا من اللعب، صحيح؟

زمجر "أكنار" موافقًا فيما واصلت "يوا":

- "إينار"، ألا يجدر بنا الاتصال بضيوف الشرف؟

سألتها ملوحًا بموبايلي:

- الشرطة؟

انتحب "أكنار" قائلاً:

- لا! لا! أرجوك يا رجل لا تتصل بالشرطة. أرجوك، أتوسل إليك!

ردَّت "يوا":

- اسمع أيها الغبي، هل تظن أنك تستطيع اقتحام بيوت الأبرياء وسط الليل وتهددهم بعنف وتحتجز أحدهم رهينة ثم تخرج ببساطة؟

ناح "أكنار" مجددًا:

- أرجوكِ يا سيدتي. نحن آسفون. أرجوكِ.

قلتُ:

- أعلم أنكم تعملون في تحصيل ديون المخدرات من الناس أيها الفاشلون. وأنا واثق من أنكم تفخرون بأنفسكم. لكن لو ظننتم أنه يمكنكم معاملتنا مثلما تعاملون هؤلاء المساكين الذين يدينون لكم بثمن المخدرات، إذًا فأنتم مخطئون تمامًا.

ما زال "جارتار" واقفًا بلا حراكٍ عند النافذة، واستقرت "بولي" فوقه مباشرةً على عمود

الستارة.

قال "جارتار":

-

لا أحد يدين لنا بالمال. نحن لا نبيع المخدرات.

-

لا. أنا واثقٌ من أن حمقى مثلكم تتعاطونها بدلاً من المتاجرة بها. صحيح؟

لم يرد "جارتار"، لكن "أكنار" تمتم بشيءٍ يشبه الموافقة.

- إذًا، هل تحصّلون ديون المخدرات للناس الآخرين بين الحين والآخر؟

التزم "أكنار" الصمت فأضفت:

- كي تلغون ديونكم أنتم؟

غمغم "أكنار" مجددًا.

صاح "جارتار":

- يا للقرف! تبًّا! سحقًا!

سقط بعض القطرات على أنفه، فنظر للأعلى. رأى "بولي" على عمود الستارة وذيلها مرفوعٌ بعظمة، بينما تتبوَّل عليه.

لعن "جارتار" وهو يمسح فضلات "بولي" بظهر يده. ضحكت "يوا" فاهتزَّ جسدها وظل يرتطم برأس "أكنار" الذي تقيأ وسال لعب أسود من فمه على مخدة الكنبة.

قلت لها:

- عزيزتي "يوا"، أظنك تسحقين جمجمة "أكنار" بشدةٍ لدرجة أن مخه المتعفن بالمخدرات بدأ يتسرب من فمه.

صرخ "أكنار" بمزيجٍ من السعال والتقيؤ:

-

توقفي! توقفي!

-

من الذي تعملون لصالحه؟

تحرَّك رأس "إيفو". فنقرت على جرحه بمنفضة السجائر من باب الاحتياط فتوقف عن الحركة.

يبدو أنه لا أحد يريد الإجابة عن سؤالي.

- "أكنار"، لقد قلت للتَّوِّ إنكم تسيطرون على كل من كان بالحفل. لماذا؟

لم يرد "أكنار".

- "يوا"، أظن أن "أكنار" بدأ ينام. لا تجعليه مرتاحًا تمامًا.

أخذت "يوا" تقفز على رأسه فصرخ بألم، بينما سال لعابه الأسود أكثر:

- آه، آه. لا تفعلي ذلك...

قالت "يوا":

- ما الأمر؟ ألم تقل إنك تريد أن تصبح أكثر حميمية مع مثلية مسترجلة؟

قلتُ:

- هيا، أريد أجوبة.

تمتم "أكنار":

-

كل من بالحفل يدينون بثمن المخدرات. لكنهم لا يدينون لنا. نحن نجمع الديون منهم فقط بين الحين والآخر.

-

إذًا، كنت فقط تتباهى وتبالغ؟

همس مجيبًا:

-

نعم.

-

من الذي يدينون له؟ ومن الذي تدينون له؟

لم يجب "أكنار" ثم قال أخيرًا:

- لو أخبرتك فأنا هالكٌ لا محالة. هيا، أفضل أن تقتلني بسرعةٍ هنا والآن.
لا يمكنني فعل ذلك للأسف.

- عمّن كنتم تبحثون الليلة؟ من تظنه وشى بكم إلى الشرطة؟
قفزت "يوا" على رأسه مجددًا، فأجاب "أكنار هانسين" صارخًا:

-

"رونار"! الحقير "رونار"!

-

ماذا؟ شقيق "سكارفيدين"؟

أومأ برأسه قدر المستطاع.

-

لماذا هو؟

-

كما قلت بنفسك، الواشي هو أحد ضيوف الحفل حتمًا. إنه الوحيد الذي لا يتعاطى المخدرات. لذلك هو الوحيد الذي يجرؤ على الإبلاغ.

-

هل كان "رونار" في الحفل؟ هل أنت واثق؟

-

نعم، بالطبع. كان هناك.

-

أنت تعرف، أليس كذلك؟

-

لم أتحدث معه قط.

-

ماذا عن أخيه؟

-

سأخبرك بما قلته للشرطة، لقد واجهنا وطردنا.

-

هذا ليس لطفًا منه.

ساد الصمت.

- كنت تضايقه بسبب الزيِّ التنكري الذي ارتداه، صحيح؟

المزيد من الصمت.

قلتُ:

- حسنًا؟

قال "جارتار يونسون":

-

لقد واجهنا من قبل. كان يزعجني بشأن قميصي المكتوب عليه "قوة البيض!". قال إن "إيفو" محظوظ، لأنه ليس أسودَ على الرغم من بشرته الداكنة، أو ما شابه ذلك.

-

وماذا الذي خططتم لفعله مع "رونار"؟

ردَّ "جارتار":

-

القليل من المرح كي يتعلم ألا يتدخل في شؤون الآخرين.

-

موت شقيقه ليس من شأنه؟

-

هذا ليس ما عنيته. أعني أنه لا حق لديه في توريطنا. لم نكن هناك.

-

هل كان "سكارفيدين" يتعاطى المخدرات؟

لم يرد "أكنار" فقلتُ لـ"يوا":

- لو سمحتِ يا "يوا"، أقنعيه قليلاً.

قفزت على رأسه فصاح:

-

آآآآآه. لا تفعلي! كل ما أعرفه هو أنه كان يتصرف بجنونٍ تام.

-

تقول الشرطة إنكم كنتم تجمعون ديون مخدراتٍ من "سكارفيدين" وانتهى الأمر بقتله. أليس هذا ما حدث؟

-

لا! لا! مستحيل! لا علاقة لنا بموته. لا نعرف شيئًا.

-

أين كنتم تبحثون عن "رونار" الليلة؟

-

في البلدة. وذهبنا إلى منزله.

-

ثم؟

-

لم يكن هناك. أخبرتنا والدته أن نرحل من هناك بحق الجحيم وإلا اتصلت بالشرطة.

فكرت في الأمر، ثم قلتُ:

- أتفق معها. ارحلوا بحق الجحيم. إن نظرتم إلى "يوا" أو إليَّ سنبلغ عنكم الشرطة بتهمة الاقتحام والاعتداء.

زمجر "جارتار" قائلاً:

- نحن من تعرض للاعتداء، وليس أنتما.

قالت "يوا":

- هل نحن من دعاكم إلى هنا ثم ضربناكم؟ إن كنت تعتقد أن الشرطة ستصدق كلمةً من هذا فأنت أغبى مما تبدو عليه.

أضفت:

- لو كان هذا ممكنًا أصلاً.

ثرثر "أكنار" قائلاً:

- لا، لا. تبًّا! سنترككم وشأنكم. كانت غلطة. آسفون! آسفون!

قلت:

- من الأفضل أن تلتزم بوعدك وتتركنا وشأننا. أنتم تحت رحمتنا الآن، مثل طائرٍ صغير في قبضة يدنا.

غادروا بسرعة ثم جلسنا أنا و"يوا" في صمتٍ شاعرين بالإرهاق الجسدي والنفسي. نزلت "بولي" من على عامود الستارة ووقفت على ياقة قميصي. أخذت تنقر عنقي بلطفٍ بين

الحين والآخر. ومن دون كلمةٍ أخرى أومأنا لبعضنا، ثم نهضنا لنبدأ العمل على إزالة آثار ضيوفنا الحمقى الذين جاؤوا إلينا بالقيء والعنف والخوف.

* * *

ضغطتُ الجرس الخاص بالطابق الثالث والعلية اللذين يخصان "سكارفيدين". هذه المرَّة تم السماح لي بالدخول، ففتحت الباب ودخلت.

قبل هذا أوصلت "يوا" إلى منزل "هايتا"، ثم حاولت النوم. لكن كل عصب في جسدي كان يئن، وكل عضلاتي كانت منقبضة فلم أستطع الاسترخاء. رفضت "بولي العودة لقفصها. ظلت ترفرف بجموح وترتطم بالقضبان، فسمحت لها بالبقاء على كتفي، بينما أستلقي على السرير. نامت بسرعة ورأسها تحت جناحها. لم ينعم كتفي بالراحة. لم تتحرك "بولي" عندما نهضت من على السرير وصنعت بعض القهوة، ثم شغلت الراديو وقرأت صحف الأحد حتى موعد الغداء.

وجدت الورقة التي دونت عليها رقم "رونار فالياردسون" واتصلت به فأجاب. كما توقعت، كان يقيم في شقة أخيه. أخبرته عن زوارنا الذين انقضوا علينا ليلاً. قال إن والدته اتصلت به لتبلغه بقدومهم ليلاً. لذلك قرر عدم العودة إلى بيته، بل البقاء في شقة أخيه.

انتظرني عند الباب مرتديًا بنطلونًا من الجينز وقميصًا أبيضَ طويلاً. بدا أشبه بأخيه أكثر من ذي قبل.

دخلتُ الصالة ذات الأرضية الخشبية وأنا أقول:

- أهلاً. سمعت أنك تنوي الانتقال للعيش هنا في شقة أخيك.

سأل بدهشة:

-

من أخبرك بذلك؟

-

فتاة صغيرة هنا في المبنى. اسمها "أوسب"، لكنها تكره هذا الاسم.

ابتسم ابتسامةً خفيفة فيما تابعت كلامي:

- يبدو أنها متشوقةٌ حقًّا لانتقالك. إنها تظنك أكثر جاذبية من "سكارفيدين".

ردَّ "رونار" بكآبة:

- إنها فتاة لطيفة.

انتهزت الفرصة وسألته:

- على ذكر الفتيات، لم أظنك تعرف "سولرون بياركاتوتير".

لم يجب، لم أقصد بكلامي أن يكون سؤالاً بأي حال.

حاولت تحسين صيغة كلامي:

- لا بد أنكما كنتما مقربين. نعيك كان جميلاً جدًّا في حقها.

نظر إليَّ وقال:

- كيف عرفت أنه أنا من كتبه؟

هززت كتفيَّ، وأجبتها:

- لم أعرف سوى الآن.

قال:

- كنا صديقين مقربين جدًّا.

قادني "رونار" إلى غرفة معيشةٍ واسعةٍ ومضيئةٍ، بها نوافذ طويلة وجدران بيضاء وأرضية خشبية. الأثاث عصري وأنيق وألوانه فاتحة. توجد صورٌ فوتوغرافية على الجدران لمختلف الأماكن في شمال أيسلندا. "هولار" في إحداها.

قلتُ معلقًا:

- رائع.

وافقني "رونار":

- نعم. إنها شقةٌ جيدةٌ.

اضطررتُ لسؤاله:

- هل والداك ثريان؟

هزَّ رأسه نفيًا:

-

على الإطلاق.

-

كيف تحمَّل "سكارفيدين" كلفة إيجار سكنٍ كهذا؟

هزَّ كتفيه، وقال:

-

الشقة ملكٌ لأحد أصدقائه.

-

هل تعني "موردور نيالسون"؟

-

نعم، لقد انتقل إلى "ريتارجيرتي" وعرض الشقة على "سكاربي" أثناء سفره.

-

"سكاربي"؟ أنت الشخص الوحيد الذي سمعته يطلق هذا الدلع عليه. هل هي قاعدة أن تناديه هكذا؟

-

أنا ووالدينا فقط من نستخدمه.

-

والآن سمح لك "موردور" بالإقامة هنا؟

أومأ مجيبًا:

-

نعم، إلى حين عودته فقط.

-

إذًا، انتقاله إلى "ريتارجيرتي" ليس دائمًا؟

-

لا أعرف متى سيعود.

-

حتمًا هو ثري.

ردَّ "رونار":

- أظن ذلك.

أنت لست ثرثارًا يا "رونار". سألته:

- هل كل محتويات الشقة ملكٌ لـ"موردور"؟

قال:

- كل شيءٍ ما عدا الصور. إنها.. إنها لـ"سكاربي". كان "موردور" يعلق لوحًا من الفن المعاصر على الجدران.

تجوَّلتُ في المكان. لا يوجد رفوف كتبٍ في أي مكان، بل شاشة مسطحة عملاقة. بعد غرفة المعيشة هناك غرفة طعام واسعة جدًّا. فيها مائدة خشبية فاتحة اللون، وثمانية كراسي ودولاب ضخم لتخزين الخمر. جوار غرفة الطعام هناك مطبخٌ كبيرٌ بتصميم عصري. يفصل بابان بين المطبخ وغرفة الطعام. أحدهما يقود للحمَّام، والآخر للسندرة.

- هل يمكنني أن ألقي نظرة في الأعلى؟

تردد قليلاً، ثم صعد أمامي.

وكأنه يفعل ذلك رغمًا عنه لأنني من طلب. إنه تابعٌ وليس مبادرًا. لكن من غير الحكمة التسرع في الاستنتاجات بالاعتماد على أساليب الحياة المحدودة التي يظهرها "رونار".

كانت السندرة مضاءة. إنها غرفةٌ طويلة ذات سقفٍ مائل مغطى بالخشب مثل بيوت الريف القديمة. في أحد طرفيّ الغرفة هناك ركن نومٍ واسع بسريرٍ ذي أربعة أعمدة. أمَّا في الطرف الآخر فهناك ركنٌ للعمل يحتوي على مكتبٍ تعلوه نافذةٌ في السقف. يستقر على المكتب جهاز كمبيوتر وطابعة وكومة من الأوراق. الكتب تملأ الأرفف وتتكدس على الأرض. رأيت مشغل أغانٍ مع كومةٍ من الاسطوانات، وفوقه جهاز جرامافون عتيق الطراز. أسطوانات الجرامافون مرتبة في صندوقٍ خشبيٍ قديم كان مخصصًا لزجاجات الصودا سابقًا.

جو هذه الغرفة مختلفٌ تمامًا عن الغرف الأنيقة بالأسفل. الإضاءة خفيفة، والأجواء تبدو قديمة وعتيقة. قلتُ معلقًا:

-

أظن أن "سكارفيدين" هو من وضع لمساته في هذه الغرفة، صحيح؟

-

نعم. هذا هو ذوقه.

-

لست مضطرًا للبقاء هنا معي. أريد فقط إلقاء نظرةٍ سريعةٍ.

تردد قليلاً، ثم بدا مرتاحًا، وقال:

- حسنًا.

ثم نزل السلالم.

انتظرت قليلاً قبل الذهاب إلى المكتب، ثم بدأت أتفقد الأوراق. إنها ملاحظاتٌ كثيرة عن مقالاتٍ وفقرات. مكتوبٌ في إحدى الأوراق المطبوعة:

"الأطفال الذين يتعرضون لمحفزاتٍ من الأفلام والتليفزيون وألعاب الكمبيوتر، وأيضًا من الأخبار العنيفة بكل أنواعها، مثل جرائم القتل والتشويه والاغتصاب، سيشعرون حتمًا بتأثير هذه المحفزات عاجلاً أم آجلاً. أمَّا الشكل الذي يتخذه هذا التأثير فيعتمد على الجينات والتربية؛ هل سيرفض الطفل الواقع الذي يقدّمه الإعلام له أم سيتأقلم معه؟ معظم الأيسلنديين معارضون لفكرة القتل، وهذا يعكس التأثيرات الثقافية والتعليمية. فنحن في أيسلندا لا نملك تقاليد عسكرية ولا نعظم الأسلحة مثلما يفعل كثير من المجتمعات الأخرى بمختلف الطرق، ممَّا يضعف المعارضة الفطرية فيها. عادةً ما يكونون أطفالاً يهملهم آباؤهم فيكبرون بلا روادع أو انضباط أو حب. فيصبحون أقلية.. شريحة صغيرة يتخذون قرارًا بفعل ما يحلو لهم، بغض النظر عن البيئة أو العائلة أو المجتمع، كل ما يهتمون به هو تنفيذ رغباتهم. لا يتأثرون بالآباء أو العوامل البيئية المحيطة بهم، بل يتبعون منطقهم الخاص".

لا يوجد سياقٌ محدد، بل بعض الأفكار. يمكنها أن تكون جزءًا من مقالٍ صحفي، مثل المقالات التي كتبها "سكارفيدين" ووجدتها في أرشيف جريدة "مورنينج نيوز". الأسلوب متشابهٌ تمامًا.

حركت فأرة الكمبيوتر الموضوع على المكتب فأضاءت الشاشة، وهذا ما ظهر:

"اعتناق العقيدة المسيحية في بداية تاريخ أيسلندا".

مقالٌ بقلم "رونار فالياردسون".

تحت العنوان هناك تفاصيلٌ عن فصل "رونار" الدراسي ومدرسه "كيارتان أرنارسون"، ثم يبدأ المقال. ما من سببٍ لأقرأه كله، لكن الأسلوب لا يشبه أبدًا أسلوب الفقرة التي قرأتها

للتو.

تضم الاسطوانات المدمجة مجموعة مختلفة من الأغاني القديمة والحديثة. أمَّا اسطوانات الجرامافون فتضم موسيقى ال"روك" الكلاسيكية من الخمسينيات والستينيات. شغَّلتُ مشغل الأغاني من باب الفضول وأخفضت الصوت. تعرفت على الأغنية من أول نغمة.

تردد صوت "مايك جاجر" وهو يغني:

"من فضلكم دعوني أقدم نفسي،

أنا رجلٌ ثري وانتقائي.

كنت موجودًا منذ زمنٍ طويلٍ،

سلبت أرواح الرجال وإيمانهم.

وكنت موجودًا عندما واجه المسيح

لحظات شكوكه وآلامه.

تأكدت من أن الحاكم "بيلاطس"

تبرَّأ من دمه بعدما أمر بالقضاء عليه".

نظرت إلى رفوف الكتب. المجموعة عجيبة كما هو حال الأغاني. هناك كلاسيكيات أدبية وكتب أيسلندية وأجنبية من تأليف "يون تراوستي"، و"ثورجيلز"، و"جريمور ثومسين"، و"يوناس هاتلجريمسون"، و"يوهان سيوريونسون"، و"هاتلدور لاخنيس". لاحظت بعض الكتب عن الشعوذة وصيد الساحرات وما وراء الطبيعة، بما في ذلك الناسك الإنجليزي "أليستير كراولي" الذي قرأت عنه. كما وجدت كتاب "مطرقة الساحرات" بقلم "هينريتش كريمر".

ما زالت كلمات الأغنية تتردد في الغرفة:

"يشرفني مقابلتك،

أتمنى أن تخمن اسمي.

لكن ماذا يحيرك

هي طبيعة اللعبة...".

لم أحب قط أغنية "الشفقة للشيطان" "Sympathy For The Devil" لفرقة ال"رولينج ستونز". ليس حتى الآن على الأقل. لا أعرف إن كان "سكارفيدين" وضعها في الجهاز قبل وفاته أم شقيقه من شغَّلها عندما جاء بعد ذلك.

هل تعني شيئًا ما؟

عدت إلى المطبخ وجلست مع "رونار" الذي يتناول زجاجة صودا من الثلاجة. قلت له:

- إنها جميلة.. أغنية "الشفقة للشيطان".

ردد بحير:

-

"الشفقة..." ماذا؟

-

لقد ضغطتُ على مشغل الأغاني بالخطأ، فترددت أغنية للا"رولينج ستونز" القديمة.

هزَّ كتفيه، وقال:

- لا بد أن "سكاربي" كان يستمع إليها.

هناك درجٌ موارب لمحت بداخله موبايل في جرابٍ مزخرف من الجلد البني. لقد رأيته من قبل، أو ربما رأيتُ مثله.

سألني وهو يشرب من زجاجته ويغلق الدرج:

-

هل تريد بعض الصودا؟

-

لا، شكرًا لك. من الأفضل أن أذهب.

ذهبت إلى غرفة المعيشة فتبعني وسألته:

- هل تمانع أن أدخن؟

أجاب "رونار":

- لا بأس.

توقفت أمام التليفزيون الذي يعلو بضعة أرففٍ تحمل جهاز استقبال القنوات ومشغل أسطوانات الأفلام وجهاز فيديو. تحت تلك الأجهزة يوجد صفٌ من أشرطة الفيديو. أشعلت سيجارة وانحنيت لأتفقد الأشرطة. التقطت واحدًا أعرفه.

-

"ستريت رايدر". أذكره. لعب أخوك دور البطولة فيه.

-

نعم، صحيح.

نهضتُ ممسكًا الشريط، وقلتُ:

- يبدو أن "سكارفيدين" أراد أن يصبح نجمًا في كل المواقف.
صمت "رونار" بضع ثوانٍ، ثم قال:

-

ليست مسألة رغبة. لقد كان كذلك وحسب. الجميع أراده أن يكون كذلك.

-

نعم، قائد بالفطرة.

-

نعم. هكذا كان.

-

وأظنه أراد وضع علامته في المجتمع.

لم يرد، فسألته بينما أنحني بجانب التليفزيون:

-

عرفت أن موبايل أخيك لم يظهر. أتساءل ماذا حدث له؟

-

"سكارفيدين" لم يملك موبايل.

-

صحيح، سمعت ذلك من أحدهم. هل يمكنني استعارة فيلم "ستريت رايدر" منك؟ أود مشاهدته مجددًا.

-

لا أمانع.

-

لن أبقيه طويلاً.

توجهتُ نحو الباب وأنا أدخن وقلتُ له:

- شكرًا لسماحك لي بالقدوم.

قال "رونار":

- ظننتك تريد التَّحدُّث عن "سكاربي".

أجبته:

-

نعم، بالطبع أريد. لكني مررت بليلةٍ عصيبة. لا أظنني أستطيع التَّحدُّث الآن.

-

لقد ذهبوا إليك بسببي...

-

ليس حقًّا. إنهم مجموعةٌ من الحمقى. من الأفضل أن يزعجوني بدلاً من أن يزعجوك. لا بد أنك مشغولٌ جدًّا بكتابة المقالات والمذاكرة للامتحانات، صحيح؟

ردَّ بشرود:

-

نعم.. لكن من الصعب التركيز الآن بسبب الأوضاع الحالية. على الأقل أحظى بالهدوء والسلام هنا.

-

هل تهتم بالقضايا الاجتماعية والتاريخ مثل أخيك؟

-

نعم.

-

هل تتبع خطاه؟

لم يرد.

* * *

اتصلت بـ"كيارتان أرنارسون" مساءً وكان سعيدًا بالتحدث إليَّ، لكنه قال بحزن:

-

نعم، إنه أمرٌ محزن. مأساة.

-

بعد أزمة فقرة "سؤال اليوم" أخبرتني أن "سولرون" كانت غاضبة. هل بدت في مزاجٍ سيئ؟

-

ليس حقًّا. بالطبع لم أكن مدركًا تمامًا لشعورها. ليس في ذلك الوقت. لكنني سمعت أنها تأثرت بشدة بوفاة "سكارفيدين".

-

فهمت. بسبب شقيقه "رونار".

-

لا، لا. بل بسبب "سكارفيدين" نفسه.

-

"سكارفيدين"؟

-

نعم، من الواضح أنها كانت مغرمة به تمامًا.

تشتت أفكاري مجددًا.

-

هل كانت مقربة من "رونار"؟

-

كانا صديقين مقربين. أعلم ذلك. لكنها كانت مفتونة بالأخ الأكبر تمامًا.

-

حسنًا، حسنًا.

هذا كل ما استطعت قوله، فقال "كيارتان":

- أتذكر صديقتيها اللتين كانتا معها أثناء مزحة "سؤال اليوم"؟ إنهما ليستا صحبةً مناسبة لفتاة حساسة مثلها. عرفت منهما أن المزحة السيئة عنّي كانت محاولة مضللة لجذب انتباه "سكارفيدين". أرادت رد فعلٍ عام، أرادته أن يشعر بالغيرة.

كررت:

- حسنًا، حسنًا.

قال:

- لا أعرف. الأمر كله غريب. غريب ومعقد.

أوافقه تمامًا.

-

أنت تدرّس لـ"رونار"، صحيح؟

-

نعم. إنه في الصف الأول الذي أدرس له.

-

هل هو مثل "سكارفيدين"؟

-

كلاهما عبقري. لكن "سكارفيدين" كان اجتماعيًّا تمامًا، بينما "رونار" منطوٍ. يبدو مقهورًا جدًّا بشكلٍ ما.

-

ربما لأن شقيقه كان ناجحًا جدًّا وله شعبية كبيرة؟

-

ربما. وقد يكون سببًا آخر.

* * *

بعد مشاهدة "ستريت رايدر" مجددًا مع صغيرتي "بولي"، شعرت أنني في قمة الإرهاق. عندما شاهدته للمرة الأولى شعرت بوجودٍ كثير من الوجوه المألوفة، وليس فقط "سكارفيدين" و"أورفار باوتل". وقد كنت محقًّا. انتصف الليل وما زلت مستيقظًا. ظهر اسم "سولرون بياركاتوتير" في تتر النهاية بدور كومبارس. لعبت دورًا صامتًا. كانت ضمن الفتيات اللاتي يصاحبن البطلة التي وُلدت وفي فمها معلقة من ذهب كالأميرات. لعبت "إنيا لينا" دور البطلة، وهي متوفاة الآن. بدت "سولرون" أنحف مما رأيتها، وجهها الجميل بدا صادقًا ويافعًا. في مشاهدها القصيرة كانت تبالغ في التمثيل وكأنها تصرخ طلبًا للانتباه. كأنها تقول: "أنا هنا! انظروا إليَّ!".

الساعة الواحدة وما زلت مستيقظًا. أخذت نسختي القديمة من مسرحية "الساحر لوفتر" من الكومودينو. بدأت الفصل الثالث ووصلت إلى جملةٍ قالها "لولتر". رأيتها من قبل في نعي "سولرون".

"المعرفة والبراعة لا يندمجان أبدًا".

24 الإثنين

"إنيبيورج سيورلينا أدالجيرستوتير".

بالأمس كتبت الاسم الكامل لـ"إنيا لينا" بطلة فيلم "ستريت رايدر". ومثلما حدث مع الكومبارس "سولرون بياركاتوتير"، تخطت "إنيا لينا" الشهرة السريعة. انتقلت الفتاتان إلى مرحلةٍ أخرى لا فرق فيها بين النجوم والكومبارس.

عدت للخلف ست سنواتٍ في أرشيف "مورنينج نيوز" الإلكتروني وأدخلت اسمها. وجدت ثلاثة إعلانات وفاة نُشِرت عند وفاة "إنيبيورج سيورلينا"، كما وجدت تعليقًا إيجابيًّا في مقالٍ عن الفيلم. يقول الناقد: "البطلان الشابان، "سكارفيدين فالياردسون" و"إنيبيورج سيورلينا"، أدَّيا دوريهما ببراعة. عوَّض شغفهما عن نقص الخبرة لديهما. إنهما واعدان بحق".

توفيت "إنيا لينا" بعد أقل من عامٍ على نشر المقال. كانت إعلانات الوفاة اعتيادية، وصفوها بأنها فتاة مرحة واجتماعيةٌ ومتعددة المواهب وذات مستقبلٍ واعد. قال أحد كتاب النعي المتدينين: "لكن الفوز بالسباق ليس دائمًا للأسرع، والمعركة ليست دومًا لصالح الأقوى. ضلت "إنيا لينا" طريقها في الحياة العصرية التي بدت أشبه بالغابة لكثير من الصغار والكبار...".

لم أتعرف على أيٍ من أسماء المعزين، ولا حتى أسماء والديها. يبدو أنها كانت طفلة وحيدة. بحثت في دليل التليفون عن والدها. مكتوبٌ أنه يعمل نقاشًا محترفًا. وجدت رقم تليفون أرضي، وآخر موبايل.

اتصلت برقم موبايله، فردَّ صوتٌ يقول:

- هنا ورشة نقاشة "أدالجير".

سمعتُ صخبًا في الخلفية بالإضافة إلى الجلبة المعتادة في ورش العمل.

قدمت له نفسي، وأوضحت أنني أتصل للحديث بشأن ابنته المتوفاة.

اندهش، وقال:

- "إنيا لينا"؟ لماذا؟ لقد مضت ست سنواتٍ على وفاتها!

أجبت:

- أعلم. لكنَّ اثنين من الشباب الذين شاركوها في فيلم "ستريت رايدر" توفيا مؤخرًا.

خبت الضوضاء التي في الخلفية. يبدو أنه انتقل إلى مكانٍ أكثر خصوصية.

-

اثنان؟ قرأتُ عن "سكارفيدين". لكن من الآخر؟

-

إنها فتاة لعبت دورًا ثانويًا. اسمها "سولرون بياركاتوتير".

لم يقل شيئًا ثم كرر قائلًا:

- "سولرون بياركاتوتير"؟ لا أعرف شيئًا...

انتظرتُ.

- إلا إذا كان هذا هو اسم الفتاة التي...

توقف فحثثته على المتابعة:

-

الفتاة التي ماذا؟

-

الفتاة الأخرى التي وقعت في غرام الفتى "سكارفيدين". أظنها و"إنيا لينا" تصارعتا عليه.

-

هل كان "سكارفيدين" وابنتك يتواعدان؟

-

يتواعدان؟ من الصعب إطلاق هذه الكلمة على طفلين يبدآن علاقتهما الأولى. لكني عليَّ القول إن ابنتي تأثرت بشدة بهذه التجربة.

-

هل تعني اشتراكها في الفيلم وتحولها إلى نجمة؟

-

هذا كان جزءًا من الأمر. لقد حظت باهتمامٍ كبير، ثم تحطم قلبها بسبب ذلك الفتى عندما انتهت القصة وانفصلا. كانت فتاة حساسة. لم تدرك أن الحياة تستمر بعد انتهاء فترةٍ أو تجربةٍ ما في حياة الإنسان. لكن...

انتظرته ليكمل.

-

لكن أسوأ ما في الموضوع هو أن الأطفال بدؤوا يتعاطون المخدرات. هكذا تحدد مصير "إنيا لينا". بعد ذلك بدا الأمر وكأنه بلا رجعة. لكنها لم تخبرنا، لا أنا ولا أمها، عن أي شيء. كانت فتاة كتومة.

-

يميل المراهقون إلى الكتمان، عن والديهم على الأقل. يريدون الاحتفاظ بشؤونهم الخاصة والحصول على الخصوصية. هذا جزءٌ من عملية النضوج والمطالبة بالاستقلالية. ربما هو محاولة للنضوج؟

-

بالطبع. أتذكر ذلك بوضوح من سنوات مُراهقتي. لكن بشكلٍ ما ننسى جميعًا هذا الأمر عندما نصبح آباء ونحاول تحمل المسؤولية. نفقد ذاكرتنا وتعاطفنا مع المراهقة وتقلب المزاج.

-

هل عانت "إنيا لينا" من الاكتئاب؟

-

ليس قبل التعاطي قط. لكنها انضمت إلى صحبة سوءٍ مع تعاطيها المخدرات، وعندها فقدت الأمل. ذهبت إلى المصحات عدة مرَّات، لكنها لم تستمر قط. كانت تهرب بمجرد وصولها. حاولت أنا وأمها كل شيء...

من الواضح أنه يجد صعوبةً في متابعة كلامه.

-

هل كان موتها حادثًا أم...

-

تعاطت جرعةً زائدةً من المخدرات القذرة.. لا أعرف، لن نعرف أبدًا. هل كان حادثًا؟ أم رد فعلٍ نهائي نتيجة الاكتئاب واليأس؟ هذا لم ولن يتضح أبدًا. أظنه أحد الأسباب التي قضت على زواجنا تمامًا حتى لم يبق منه سوى قشرةٍ هشّةٍ.

-

هل طلقت زوجتك؟

-

بعد ثلاث سنواتٍ من وفاة ابنتنا. كان الحل الوحيد. والآن عندما بدأت أستعيد توازني يصل صحفي ليفتح الجراح القديمة.

لم يبدُ غاضبًا، بل بدا متفاجئًا من مسار الأحداث غير المتوقعة.

- أنا لا أسعى حقًّا إلى فتح الجراح القديمة. لكن من الغريب أن هؤلاء الشباب الثلاثة الذين رافقوا بعضهم طويلاً في الماضي قد توفوا جميعًا الآن.

التزم الصمت قليلاً، ثم قال:

- نعم، هذا غريب. لكنني أتمنى ألا تتحدث عن مأساة عائلتي في جريدتك. إلا إذا كان لا مفر من ذلك، أعني إن كانت متصلة بحادثتي الوفاة الأخيرتين.

أكدت له بأنني سأتعامل مع الأمر بسريةٍ كالمعتاد، ثم شكرت والد "إنيبيورج سيورلينا أدالجيرستوتير" وودعته. وبينما أنهي المكالمة، أدركتُ كم أشعر بالامتنان لأنني لست في مكانه.

* * *

حاولت الاتصال بـ"موردور" مجددًا فتلقيت الرد نفسه: "هنا "موردور". من فضلك اترك رسالة". إما أنه لا يستخدم الموبايل كثيرًا، أو أنه يراقب الاتصالات الواردة ولا يرد. وربما الاثنان.

رفعت قدميَّ على المكتب واتصلت بفندق "ريتارجيرتي". أجابني "أوسكار":

-

نعم، كان "موردور" يتناول الغداء هنا. لقد جاء من "ريكيافيك" بسيارته.

-

هل هو هناك الآن؟

-

لا، لا. لقد عاد لمنزله بعدما أكل.

نظرتُ في ساعتي. مع قليلٍ من الحظ والجهد يمكنني الوصول إلى "ريتارجيرتي" بحلول الساعة الخامسة.

* * *

ها هي "كارولينا" تعمل في الاستقبال، بينما تُدندن بصوتٍ متحشرج. لم ترفع نظرها إليَّ حين حضرت لنفسي قهوةً من أجل الطريق. "يوا" مع "أوسبيورن" في مكتبه يضعان الخطط التسويقية في المنطقة. عندما لمحت "يوا" تذكرت فجأة أنه عليَّ عمل فقرة "سؤال اليوم" وإرساله للمقر لعدد يوم الثلاثاء. بعد أربع دقائق كنا أنا و"يوا" في ميدان البلدية. طلبت من خمسةٍ من المارة إجابة السؤال المهم: "هل تراهنون في اليانصيب؟".

أرسلت الإجابات. وفي طريقي للخارج قابلت الشابة "بيورج" والكلب "بال" وهما يدخلان. اندفع "بال" و"كارو" يرحبان ببعضهما بحرارة، كما تعانقت "كارو" و"بيورج" بعاطفة. بدا المشهد كأن الجميع يعيشون في سعادةٍ أبدية. وكأنها نهاية أحد أفلام الكرتون.

صافحت "بيورج". بعد التحيات الودودة خطرت لي فكرة، فعدت إلى مكتبي الصغير. فتحت التعازي الخاصة بـ"سولرون بياركاتوتير" في أرشيف "مورنينج نيوز" ووجدت أسماء والديها. "سولرون" من "ريكيافيك"، فبحثت عن أسماء والديها في دليل تليفونات "ريكيافيك". ثم تحدثت سرًّا مع "بيورج".

* * *

قُدتُ في أنحاء "ريتارجيرتي"، وحصلتُ على الاتجاهات من "أوسكار" في الفندق، ثم وجدتُ منزل "موردور" بسهولة. إنه في الطرف الشرقي من القرية، وقف وحيدًا ومحاطًا بالعشب المهمل. الجدران الخرسانية التي كانت بيضاء في الماضي تضررت من أثر العوامل الجوية. هناك بقايا صدئة من معدات المزرعة القديمة، ومحاور عجلات، وبراميل فولاذية بالية، كل هذا مبعثرٌ على العشب. تقف أمام المنزل سيارة "مرسيدس بينز" باللون الفضي اللامع لتشير إلى عصر الازدهار. ركنتُ سيارتي الصدئة بجوارها لأشير إلى أن متاع الدنيا زائل.

اقتربتُ من المنزل المكوَّن من طابقين. بدا القبو مهجورًا ويستخدم للتخزين. السلالم الخرسانية التي تؤدي للباب الأمامية كانت متدهورة بسبب الظروف الجوية والرياح، وعلى الرغم من الربيع ألقى بوادره اليوم.

في المكان الذي يُفترض وجود جرس الباب فيه وجدتُ سلكين خارجين من الحائط بلا هدف. وهكذا طرقت الباب.

أجاب شابٌ رأيته سابقًا. كان يجلس على المائدة ذاتها مع "أكنار هانسين" في بار "رايتين" في أول مرةٍ رأيته. نهض وغادر عندما تحدثتُ إلى "أكنار". ثم رأيته مجددًا في بار الفندق عندما كنت في "ريتارجيرتي" من أجل الاجتماع العام. لو أنني لم أره مرَّتين متعاقبتين ربما ما كنت لأتذكره. بدا "موردور" عاديًا وهو يرتدي بنطلونًا بنيًّا من القطن المضلَّع وقميصًا أزرق اللون. طوله متوسط، وكذلك بنية جسده. كان حليقًا، وكان شعره قصيرًا، وملامحه عادية، ليس بها ما يميزها، وكأن طفلاً رسمها. يرتدي نظارةً دائرية بإطارٍ ذهبي، جعلته يبدو مندهشًا.

قلتُ:

- آسف للإزعاج. اسمي "إينار". أعمل صحفيًّا في جريدة "أفتر نون نيوز".

أومأ قائلاً:

-

أعرف من تكون.

-

أود التَّحدُّث إليك بشأن صديقك "سكارفيدين". أكتب مقالاً عنه.

نظر حوله، ثم قال:

-

ألم تحضر مصورًا معك؟ أنا لا أريد التقاط صوري.

-

لا، لا أحتاج إلى صور. بل معلومات فقط.

لم يبتسم ولم يعبس. وجهه الخالي من الملامح ذكَّرني بوجوه السياسيين أو البيروقراطيين عديمي التعابير.

سأل:

-

ما الذي تريد معرفته؟

-

بدايةً.. منذ متى تعرفان بعضكما؟

-

تقابلنا منذ ست سنوات.

-

في "أكوريري"؟

-

لا، "ريكيافيك".

لا يبدو أنه يفكر في دعوتي للدخول. حاولت اختلاس النظر من خلفه، لكن كل ما رأيته هو جدار الصالة القذر. قلتُ:

-

يبدو أن هذا حدث عندما كان "سكارفيدين" في الجنوب لتصوير فيلم "ستريت رايدر"، صحيح؟

-

صحيح.

-

هل اشتركت في الفيلم؟

-

لا، على الإطلاق. تقابلنا في البلدة وحسب كما يحدث لأي شخص.

سألته:

-

أنت من "ريكيافيك"، صحيح؟

-

نعم.

-

كيف أصبحتما صديقين مقربين؟

-

حدث ذلك وحسب.

-

هل لديكما الاهتمامات نفسها؟

-

الفلسفة نفسها.

-

وماذا كانت فلسفة "سكارفيدين"؟ من المستحيل أن تكون قد تشكلت بالكامل في ذلك العمر الصغير. فأنتما كنتما في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة فقط وقتها.

نظر إليَّ بتمعنٍ وعيناه الخضراوان تختفيان وراء النظارة، ثم قال:

- لا يهم كم عمرك حين تكتشف الحقيقة البسيطة التي تنص على أن الحياة خلُقت لنستمتع بها.

نظرتُ إليه بدوري ولم يتكلم أحدنا. شعرت بترقبٍ يختفي خلف تعبيره المندهش. ثم قلتُ له:

- إذًا، هذا هو سر الفلسفة التي تجمعكما أنت و"سكارفيدين"؟ الحياة لأجل المتعة؟

ارتعش جانب فمه وهو يقول:

-

إنها فلسفة عميقة، صحيح؟

-

ربما أعمق مما يبدو عليها.

هزَّ كتفيه، وسألته:

-

متى انتقلت للشمال؟

-

منذ ثلاث سنوات.

-

لكي تكون قريبًا من صديقك؟

-

فسِّرها كما شئت. لكنك قلت إنك تبحث عن معلوماتٍ عنه وليس عنِّي.

-

لا يمكن معرفة أحدكما دون الآخر. فحسب علمي أنت أفضل أصدقائه وأقربهم إليه.

-

من منظوري للأمر كان أفضل أصدقائي وأقربهم إليَّ أيضًا.

-

هل درستما معًا في المدرسة الثانوية ذاتها؟

-

بدأت هناك ثم تركتها وسجلت اسمي كطالب انتساب.

-

أظن أن "سكارفيدين" ساعدك في المذاكرة مثل أي صديقٍ وفي، صحيح؟

-

بالطبع.

-

أعلم أنه كان يساعد الآخرين أيضًا.

-

بالتأكيد. "سكارفيدين" كان كريمًا ويحب مشاركة قدراته ومشاعره.

لا يبدو أنني سأستفيد بمزيد من هذه النقطة. قلتُ:

-

تقول كريمًا.. وأنت أعرته شقتك في "أكيويري" عندما انتقلت إلى هنا في الريف؟

-

بالطبع فعلت.

قلت وأنا ابتسم بسذاجة:

-

لديك مكان جميل في "أكيويري". كما أنك اشتريت هذا المنزل أيضًا، أتمنى لو أملك موهبتك في الحصول على المال!

-

لقد اشتريتهما في توقيتٍ جيدٍ. ابتعت المنزلين برخص التراب حقًّا.

-

الزمن يتغير حتمًا. سوق العقارات في ازدهار. لا بد أن قيمة أملاكك ارتفعت كالصاروخ!

-

المكان هادئ ومُسالم هنا. هذا يناسب المذاكرة والكتابة.

حافظت على نظرتي البريئة وقلتُ:

-

هل تكتب شيئًا لا يتعلق بالدراسة؟ ربما كتاب؟

-

ما أكتبه هو من شأني.

بدأت أشعر بالسخافة لوقوفي عند عتبة الباب. قلت:

-

حسنًا، هل صحيحٌ أن "سكارفيدين" كان من قلائل بني جيلك الذين لم يحملوا موبايل؟

-

لم يرغب بواحد.

-

نعم، أعرف. لكنني رأيته ممسكًا بواحد.

-

لا أعرف.

وقف عند الباب واضعًا يديه على خصره وثابتًا كالصخرة.
تنحنحت محاولاً التفكير في خطة. ثم قلتُ مباشرةً:

- ماذا حدث له في رأيك؟

تفاجأ "موردور" أخيرًا بالسؤال.

-

لا يمكنني الإجابة عن هذا.

-

لا بد أن الشركة تحدثت معك، صحيح؟

-

ذهبت إلى القسم وقلتُ إفادة صغيرة. لم أستطع مساعدتهم حقًّا. كنت في "ريكيافيك" في عيد الفصح.

-

لكن ليس في يوم اثنين الفصح. كنت في الاجتماع العام في الفندق.

-

غادرت يوم الأربعاء وعدت إلى هنا مساء أحد الفصح.

-

هل تذهب إلى "ريكيافيك" كثيرًا؟

-

بين الحين والآخر. تعيش أمي هناك. صحتها ضعيفة.

-

إذًا، لا فكرة لديك عن قاتل صديقك؟

لاح شيءٌ ما في عينيه الخضراوين.

-

الأفكار ليست أدلة. لا تستند حتى إلى خيوطٍ قوية يمكن الانطلاق من عندها. لا فائدة من التخمينات. ربما هو زوجٌ غيورٌ؟ من يعرف؟

-

زوجٌ غيورٌ؟ هذه فكرة تستحق النظر فيها. من الواضح أن "سكارفيدين" كان زير نساء، إن عذرتني في ألفاظي.

ما زال واقفًا ساندًا يديه على وركيه وصامتًا.

ضربت على هذا الوتر قائلاً:

- كان لعوبًا، صحيح؟ ينام مع أكثر من امرأة في الوقت نفسه؟

ارتعش فمه مجددًا، لكنه لم يقل شيئًا.

اندفعتُ وسألته:

-

هل كان ينام مع المرأة الساكنة في الطابق أسفل شقتك في "أكوريري"؟

-

ليس لديَّ ما أقوله عن الأمر، فيما عدا أن "سكارفيدين" لم يؤمن بالالتزام في العلاقات الإنسانية. في رأيه أن من حق الناس إقامة علاقاتٍ إن أرادوا، وهم مسؤولون عن هذه الرغبة.

-

هل تتحدث عن المضاجعة؟

-

إنها إحدى العلاقات الإنسانية، صحيح؟

-

ماذا عن الحب؟

-

الحب هو رابطة دم. إنه ينطبق فقط على العائلة. بعيدًا عن العلاقة بين الآباء والأبناء، كل شيءٍ آخر مجرد تظاهر.

-

أنت و"سكارفيدين" كنتما متفقين من الناحية الفلسفية؟

أتى صوتٌ نسائي من الداخل يقول:

- "موردور"، أغلق الباب فالجو بارد.

نظر "موردور" خلفه. ظهرت في الصالة فتاة شابة لا ترتدي شيئًا سوى منشفة. اندهشت لرؤية غريبٍ على الباب، فتراجعت بارتباك. لكنني تعرفت على وجهها بالفعل، إنها إحدى الفتاتين المرافقتين لـ"سولرون" في ذلك اليوم في الميدان.

استدار "موردور" برباطة جأش ودخل دون كلمةٍ إضافيةٍ وأغلق الباب خلفه.

* * *

كانت العاشرة مساءً حين عدت إلى المنزل إلى "بولي". فرحت برؤيتي وهذا أسعدني بعدما كنت مستاءً لسفري كل تلك المسافة من أجل القليل من المعلومات.

هذا ما أحب رؤيته في رفاق الغرفة. الترحيب بعودتني حتى ولو كنت بلا فائدة.

أو ربما أنا كذلك؟ هناك سرٌّ في الأمر. هناك حتمًا سرٌّ في الأمر.

فكرت في الاتصال بـ"أولافيور جيسلي" ومشاركته بما عرفت، لكنني لا أظن أنني أملك الكثير.

اتصلت بـ"جونسا" لأعرف أحوالها. إنها تذاكر بجهد.

ثم اتصلت بـ"بيورج". أتمنى فقط أن خطتي قد نجحت. لقد قالت إنه عليَّ الاتصال بها في البيت في الساعة العاشرة والنصف، وهذا ما فعلته بالضبط.

قالت:

-

نجحت الخطة.

-

إلى من تحدثتِ؟

-

والدة "سولرون".

-

ماذا أخبرتها؟

-

أخبرتها بأنني صديقتها من المدرسة الثانوية...

قلت:

-

إنها ليست كذبةً سوداء تمامًا.

-

إنها كذبةٌ بيضاء.

-

أنتما تعرفان بعضكما.

-

نعم، إلى حدٍّ ما. كما طلبت منّي، لقد أخبرتها أن صديقًا مشتركًا بيني وبين "سولرون" اسمه "رونار" كان يبحث عن تليفون أخيه "سكارفيدين". قلت إنه من المفيد أن نعرف رقم تليفونه، لكن "رونار" أضاعه.

-

ثم؟

-

قالت إنها لا تعرف شيئًا عن الأمر. ثم سألتها إن كانت "سولرون" تملك موبايل. وكان لديها بالفعل. تم إرساله إلى والدتها مع باقي حاجاتها.

سألتها بفضولٍ متزايدٍ:

-

و؟

-

بحثت في جهات الاتصال في تليفون "سولرون" فوجدت رقمه.

صحتُ:

- عظيم!

أملتني الرقم الذي حاولت البحث عنه طويلاً، ثم قالت:

-

شعرت بالذنب بعدما تحدثت إليها. بدأت والدة "سولرون" بالبكاء وقالت إنه لولا ملاحقة "سولرون" لذلك الفتى إلى الشمال لما ماتت.

-

ذلك الفتى؟

-

نعم.

-

من تقصد؟ "سكارفيدين" أم "رونار"؟

فكرت قليلاً، ثم قالت:

-

أظنه "سكارفيدين". تحدثت عن فيلمٍ ما اشتركت فيه "سولرون" مع ما أطلقت عليه "ذلك الفتى". بعد ذلك تغير حال ابنتها تمامًا.

-

هل شرحت لكِ ما قصدته؟

-

لا. ولم أستطع سؤالها. لم أستطع وحسب. كنت أشعر بذنبٍ شديدٍ بسبب خداعي لها.

-

لا تشعري بالذنب حيال ذلك. ما فعلته على الأرجح سيلعب دورًا حاسمًا في الكشف عن ملابسات وفاتهما.

تنهَّدت "بيورج" قائلة:

-

أتمنى ذلك حقًّا.

-

هل فكرتِ قط في أن تصبحي صحفية حين تكبرين؟ أعني حين تكبرين أكثر.

ضحكت، وقالت:

- حسنًا، بحسب ما كشفته مؤخرًا قد يكون الأمر يسري في جيناتي. صحيح؟

* * *

لا أراهن في اليانصيب. هذا جو جوابي عن "سؤال اليوم" بوضوح واختصار. مهما كانت ذنوبي، أنا لا أقامر. لكن يبدو أن المثل القديم على حق: "لا ربحَ دون مخاطرة". فكرتي اللامعة هي أنه ربما أن الأموات هم الوحيدون الذين لن يحاولوا إخفاء حقيقة امتلاك "سكارفيدين" موبايل. ليس لدى "سولرون" ما تخفيه الآن. لكن ما الذي يخفيه الجميع؟ ولماذا؟

استعدت هدوئي بعد الحماس الذي اجتاحني أثناء المكالمة. نظرت إلى الرقم الذي حصلت عليه أخيرًا. ثم دخَّنت سيجارة وحممت "بولي" في الحوض. بعد ذلك استحممت أنا. تلك اللحظات الحميمية البسيطة هي ما تجعل الحياة أحلى.

جلست على الكنبة في غرفة المعيشة بحلول منتصف الليل. ارتديت البيجامة واستغرقت في التفكير. أفكر هل أنام أم لا. أخيرًا قرأت بضع صفحاتٍ من "الساحر لوفتر" ثم نمت بعمق.

* * *

لا ربح دون مخاطرة؟

أمسكت تليفوني وطلبت الرقم.

ظل يرن ويرن كثيرًا حتى كدت أنهي الاتصال، لولا أنني سمعت صوتًا يقول:

- مرحبًا؟

بدا التوتر والألم في الصوت الذي سمعته.

كرر الصوت:

- مرحبًا؟

قلتُ:

- "رونار"، أنا "إينار".

تمتم:

- نعم. تعرفت على رقمك. لهذا أجبت.

سألته:

-

هل من مشكلة ما؟ أين أنت؟

-

في الشقة.

-

شقة "سكارفيدين"؟

-

نعم.

علّقتُ بسخرية:

- هل ترد على الموبايل الذي يُفترض أنه لم يمتلكه؟

لم يرد.

- "رونار"؟

كسر رنينٌ مزعج حاجز الصمت.

استمر الرنين بمعدلٍ ثابت.

أدركت أنه صوت الجرس.

-

"رونار"! ماذا يحدث؟

-

عليَّ الهرب من هنا... إنهم...

-

مرحبًا! "رونار"!

انقطعت المكالمة.

أعدت الاتصال مجددًا أكثر من مرّة.

ثم اتصلت بتليفون "رونار" أكثر من مرةٍ أيضًا. ما من ردٍ سوى الرسالة المسجلة:

"هذا التليفون ربما يكون مغلقًا أو غير مُتاح. من فضلك، حاول الاتصال في وقتٍ لاحق".

25 الثلاثاء والأربعاء

هناك ثلاثة احتمالات:

إما أن التليفون قد انطفأ، أو أنه خارج نطاق الخدمة، أو أن الشبكات مشغولة.

هذا ليس جوابًا.

لو أن التليفون قد انطفأ، لماذا؟

لو أنه خارج نطاق الخدمة هكذا فجأة، لماذا؟

وكيف يُعقل أن جميع الشبكات مشغولة في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

هل يسمون هذه خدمة اتصالات؟

بعد التفكير في هذه الأسئلة لبعض الوقت دون إجابات، قررت أنه قد حان الوقت لأتوقف عن تسلية نفسي بأفكاري الحمقاء.

ظللت أسير جيئةً وذهابًا وأدخن وأتصل كل خمس دقائق. لكن الآن عليّ فعل شيءٍ منطقي. يجب أن أتصرف.

وكما هو الحال مع شركة الاتصالات، هناك ثلاثة احتمالات: أتصل بالشرطة أو أتصل بوالديه أو أذهب إليه بنفسي.

الخيار الأول للشرطة، والخيار الثاني للوالدين، والخيار الثالث للمتاعب.

اخترت الخيار الثالث بالطبع.

تفقدت جميع النوافذ مرّتين قبل مغادرتي. جميعها مغلقة. تركت مصباحًا مضاءً في كل غرفة. وأخيرًا تأكدت إن كانت "بولي" نائمة. إنها كذلك.

أدرت السيارة وفكرت مجددًا كم هو لطيفٌ أن تكون ببغاءً صغيرًا بريئًا. أو طفلاً صغيرًا يرتاح بين ذراعيّ والدته.

فات الأوان. فات الأوان.

بالنظر إلى الأوضاع، فإن وجود مسدسٍ في جيبي سيشعرني بأمانٍ أكثر.

في الساعة الواحدة صباح الثلاثاء كانت شوارع "أكوريري" مهجورةً تقريبًا. بينما أنعطف إلى "هولابراوت" عبرت قطة سوداء أمام سيارتي فجأة. ضغطت على الفرامل وتوقفت على بعد بضعة منازل من شقة "سكارفيدين"، أو شقة "موردور" سابقًا، والآن هي لـ"رونار". كبحت مخاوفي المتشائمة بسبب القطة السوداء والحظ التعس، ثم نظرت إلى المبنى. أول طابقين مظلمان، لكن هناك ضوءًا خافتًا عند نوافذ الطابق الثالث.

لا أثر لوجود الـ"هوندا" السوداء، ولا يبدو أن هناك من يحوم عن قرب.

خرجت من السيارة واقتربت من المبنى ثم ضغطت على جرس الطابق الثالث. ضغطته مرارًا وتكرارًا. ما من مجيب. جن جنوني وواصلت الضغط على الجرس بلا انقطاع، لكن بلا فائدة. أتساءل إن كان عليّ رنُّ جرسيّ الطابقين السفليين. لكنني لن أتحمل الشجار المتوقع.

ما العمل الآن؟

ركبت السيارة واتصلت بالدليل. حصلت على عنوان والديَّ "رونار فالياردسون". إنهما يعيشان في منطقة "ليتار"، مثلي. فتحت الـ"تابلوه" وأخرجت خريطة البلدة ووجدت العنوان.

يعيش "كريستين رونارسدوتير" و"فاليادور سكارفيدينسون" في الطابق الرابع من مجمع شققٍ حديث. استجمعت شجاعتي وضغطت جرس الإنتركوم الداخلي للمبنى.

لم أنتظر طويلاً قبل أن أسمع صوت امرأةٍ حاد يقول:

-

"رونار"؟

-

لا، اسمي "إينار". أنا صحفي في جريدة "أفتر نون نيوز". آسف للإزعاج في هذه الساعة. لكنني تحدثت مع "رونار" منذ قليل وبدا وكأنه يواجه متاعب. والآن لا يمكنني إيجاده.

شهقت، وسألت:

-

ألم يكن في شقة "سكارفيدين"؟

-

كان هناك. لكنه لا يرد الآن على التليفون أو الباب.

صمتت، فسألتها:

-

هل يمكنني الدخول؟

-

نعم، اصعد.

ضغطت على الزر لتسمح لي بالدخول، فصعدت السلالم. في الطابق الرابع كان باب إحدى الشقتين مواربًا، فطرقت برفقٍ على إطار الباب.

أتت "كريستين" إليَّ وهي ترتدي روبًا رماديًّا على ثوب نومٍ وردي. وجهها البيضاوي الذي كان مكسوًا بالمكياج في جنازة ابنها، بدا الآن شديد الشحوبِ ومجعدًا. هناك هالاتٌ داكنة تحت عينيها البنيتين. أمَّا شعرها الرمادي فملفوفٌ حول رأسها كخوذةٍ صلبةٍ.

قلتُ:

- أتمنى ألا أكون قد أيقظتكِ.

ردَّت المرأة:

- وصلت منذ قليل. أعمل في نوباتٍ بالمستشفى.

قادتني إلى المطبخ يمين باب المنزل. بعد ذلك هناك غرفة الطعام التي تضم مائدة خشبية سوداء ومقاعد. وفي الطرف الآخر هناك غرفة معيشة تضم أثاثًا ضخمًا أسود اللون منجد بالأحمر الداكن. يزدحم المطبخ بأطقم البورسلين وأدوات المطبخ الزائدة عن الحاجة. على اليسار يوجد ممرٌّ به ثلاثة أبوابٍ مغلقة وباب مفتوح يقود للحمام ذي السيراميك الأخضر. الشقة بكاملها مطلية بدرجات ألوان هادئة.

شغلت "كريستين" غلاية الماء وسألتني:

- هل تود شرب بعض الشاي؟

لم تبدُ مرتبكةً أبدًا بزيارتي المفاجئة في منتصف الليل.

لكن رد فعل الناس على الأمور المفاجئة قد يكون مفاجئًا أيضًا.

جلست على كرسيٍّ خشبي حول مائدة المطبخ الصغيرة المغطاة بالبلاستيك وقلتُ:

- إن كان لديكِ.

أخرجت كوبين من كومة الأطباق. سألتها:

- هل توقعتِ قدوم "رونار" الليلة؟ بما أنكِ ظننتِ أنه هو الطارق؟

أجابت:

-

لم أكنت واثقة. لكنني تمنيت لو يأتي.

-

هل اتصل بكِ في الساعات القليلة الأخيرة؟

قالت وكأنها لم تلحظ سؤالي:

- لا يعرف المرء علام ينوي أولاده وهم في هذا العمر. أظن أنه يجب أن نكون شاكرين عندما يتصلون بنا.

فكرت في "جونسا" وحمدت الله، ثم عدت أقول:

- أنتِ محقةٌ بالتأكيد. انتقل "سكارفيدين" منذ مدةٍ طويلة، صحيح؟ أولاً إلى مسكن الطلبة، ثم إلى شقة صديقه "موردور". لا بد أنكِ وزوجكِ انزعجتما حين غادر البيت؟

قالت وظهرها ما زال مواجهًا لي:

- هناك كثير من الأمور التي يجب علينا التعامل معها في الحياة.

وضعت أكياس الشاي في الكوبين وأسندت يدها على الغلاية، وكأنها ستغلي أسرع هكذا.

-

يبدو أن "سكارفيدين" كان شابًا مستقلاً إلى حدٍّ كبير. هذا ما قيل لي.

-

نعم. لقد تغيرَّ في مُراهقته.

-

هل تقصدين عندما ذهب للجنوب ليشارك في الفيلم؟

ردَّت ببطء:

- نعم، في ذلك الوقت.

لم أرد.

استدارت إليَّ واتكأت على المائدة، ثم أضافت:

- لكنه لم يعد يقلقني الآن، بل "رونار".

تمتمت:

- بالطبع.

لديها طريقةٌ غريبةٌ لصياغة الأمر.

تعبيرها حاد. كاد يكون قاسيًا، بينما تقف شابكةً ذراعيها وتنظر إليَّ بحدَّة. سألتني:

-

لماذا أنت هنا؟

-

لأنني أظن أن هناك بعض الأشرار الذين يسعون خلف "رونار".

-

وما علاقة هذا بك؟

أحرجني سؤالها. قلتُ:

- حسنًا.. لقد اقتحموا منزلي ليلة أول أمس وأحالوا الدنيا جحيمًا. قالوا إن السبب هو عجزهم عن إيجاد "رونار".

غلى الماء، فاستدارت لتصب الشاي.

-

هل تريد حليبًا و"سكر"؟

-

سكر فقط من فضلكِ، إن كان لديكِ.

دفعت "كريستين" نحوي بالسكرية وللملعقة، ووضعت الكوبين على المائدة. لاحظت أن أظافرها مقضومة بالأسنان. أخذت هي ملعقة شاي وقلبت كيس الشاي لوقتٍ طويلٍ جدًّا.

- لماذا يطاردونك؟

أجبتها وأنا أقلب السكر في الشاي:

-

لا أعرف حقًّا. إنهم مجانين. منتشون معظم الوقت. قد يكونون في غاية الخطورة.

-

جاءوا بالأمس بحثًا عن "رونار". ماذا أرادوا منه؟

-

لا أستطيع إجابة ذلك. عليكِ بسؤاله أو سؤالهم.

-

هل يتعلق الأمر بأخيه؟

-

لستُ واثقًا. ربما.

نظرت بشرودٍ أمامها.

-

هل أتوا الليلة؟

-

وصلت إلى المنزل للتَّوِّ. أما زوجي فلا يفتح الباب.

ساد الصمت بعض الوقت حول مائدة المطبخ. شربنا الشاي ذا نكهة الليمون المنعشة. كسرت حاجز الصمت قائلاً:

- ماذا يعمل زوجكِ؟

رفعت نظرها عن كوب الشاي، وقالت:

-

إنه معاق. عاجز.

-

إذًا، أنتِ تعتنين بالمرضى في العمل ثم تعودين إلى المنزل لتقومي بالعمل نفسه؟

لا تعليق.

-

ماذا كان يعمل قبل أن يمرض؟

-

كان طبيبًا صيدلانيًّا.

-

وأنتِ درستِ التمريض. هل تقابلتما في الكلية؟

رفعت كوبها لتؤكد كلامي، ثم شربت منه.
سئمت من هذه المماطلة، فسألت:

-

أين تظنين "رونار"؟

-

هل يمكن أن يكون في الشقة؟

-

هذا محتمل. لكنه لا يرد على التليفون أو الباب.

-

ربما يكون نائمًا.

-

لا أظن ذلك. بدا منزعجًا جدًّا حين تحدثت إليه منذ أقل من ساعة.

قالت بعد صمتٍ قصير:

- لديَّ حدسٌ بأن "رونار" على خير ما يُرام.

واصلت كلامها:

-

المرء يحصد ما يزرع.

-

هل هذا ما حدث لأخيه أيضًا؟

لم تقل شيئًا. لكن ظهرت لمحةٌ من التوتر على تعبير وجهها الجامد.

سمعت صوت بابٍ ينفتح في آخر الممر. سألتها:

-

ألا يجب علينا الاتصال بالشرطة؟

-

هذا ليس من شأنك. عليك العودة إلى المنزل والنوم قليلاً. وأنا أيضًا. أيامي طويلة ولياليَّ قصيرة.

وقفت.

فعلت المثل.

قادتني إلى الباب مسرعةً وهي تقول:

- شكرًا لاهتمامك يا بني.

التقينا بزوجها "فاليادور سكارفيدينسون" في طريقنا للخارج. كان يرتدي بيجامة مقلمة بالأزرق تحيط بجسده الهزيل، فبدت الثياب وكأنها معلقة على حبل الغسيل. شعره الكثيف كان أشعث، وذقنه غير الحليقة تلقي ظلالها على وجهه. سار إلينا ببطء. وجهه ذو العظام البارزة بدا خاليًا من التعبيرات أو الحياة. عيناه اللتان أخفاهما خلف نظارةٍ سوداء في جنازة ابنه، ظهرتا الآن. إنهما زرقاوان، لكنهما خاويتان. وكأنه لا يرانا.

بينما تحثني زوجته على الخروج من المنزل سمعتها تقول له:

- عزيزي "فالي"، يجب أن تكون في السرير.

بعد مواجهتي غير المثمرة مع والديَّ "سكارفيدين" و"رونار"، استوعبت لماذا تعجل الولدان

لترك بيت والديهما. إنه ليس مكانًا سعيدًا. بحلول الساعة الثالثة والنصف كنت قد تجولت في معظم أنحاء "أكوريري"، بينما أتصل برقميّ المحمول كل ربع ساعة. قررت الاكتفاء الليلة والتوجه للبيت. بدا كل شيءٍ على ما يُرام عندما وصلت. لكنني قمت بمحاولةٍ أخيرة قبل الدخول.

استجاب رقم "سكارفيدين" أخيرًا. رد "رونار" بصوتٍ مختنق:

- "إينار"؟

سألته:

- أين أنت؟

صمت قليلاً، ثم تمتم:

-

في مكب النفايات.

-

هل تعني ساحة الخردة؟

لا إجابة.

-

ماذا تفعل هناك؟

-

علمت أنهم لن يجدوني هنا.

-

انتظر هناك. لا تتحرك. أنا آتٍ إليك حالاً.

عند هذا انغلق تليفوني أو أصبح خارج التغطية أو الشبكات مشغولة.

شعرت ببرودة الليل وضبابه عندما خرجت من السيارة أمام البوابة المقفلة أمام مكب الخردة. أنرت الأضواء الأمامية ثلاث مرَّاتٍ وتركتُ الموتور دائرًا. فجأة ظهر من الظلام جسدُ منحنٍ يرتدي بنطلون جينز وجاكيت جلد قصيرًا. وقف "رونار" صامتًا بلا حراك لوهلةٍ أمام

البوابة، ثم قفز وتسلق برشاقة. إنه يهتز كورقةٍ في مهب الريح، إما من البرد أو الرعب المطلق.

وضعت ذراعي حول كتفيه وقدته إلى السيارة بينما أقول:

- كان بإمكانك اختيار مخبأٍ أقل مبالغةً من هذا.

سار معي بطاعةٍ كولد حسن التربية. أشعلت سيجارةً عندما دخلنا السيارة.

قال "رونار":

- أردت أن...

سألته، بينما أفتح النافذة وأنفث الدخان خارجًا:

-

ماذا؟

-

لو أنهم... لو وجدوني وقتلوني؟

صمت، فأكملت عنه:

- هل تحاول القول إنه لو حدث هذا فأنت تريد الموت هنا مثل أخيك؟

قدت السيارة.

-

ماذا حدث بعدما تحدثت إليك؟

-

واصلوا القدوم طوال المساء مرارًا وتكرارًا. ظلوا يتصلون ويرنون الجرس...

-

هل تعني "أكنار" ورفاقه المجرمين من "ريتارجيرتي"؟

-

نعم، لم أدعهم يدخلون. هددتهم بالاتصال بالشرطة.

-

ثم؟

-

قالوا أن أحاول إن كانت لديَّ الجرأة.

-

لماذا لم تفعل؟

قال بترددٍ:

-

لديَّ أسبابي.

-

ألن تخبرني؟

صمت.

-

حسنًا. ثم ماذا حدث؟

-

علمت أنهم سينتظرون خارجًا حتى أخرج. بالتأكيد سأضطر للخروج في أي وقت.. لذلك اتصلت بـ"أوسب" بالأسفل على تليفونها المحمول وأيقظتها. نزلت إليها وأدخلتني الشقة، ثم تسلقت نزولاً إلى الحديقة الخلفية من نافذة غرفة نومها.

قلتُ:

-

لم أجد أحدًا هناك عندما وصلت في الواحدة بعد منتصف الليل.

-

نعم، طلبت من "أوسب" أن تنتظر خمس عشرة دقيقة بعد مغادرتي ثم توقظ والدها وتخبره بوجود أناسٍ مشبوهين بالخارج.

لاح شبح ابتسامةٍ على وجهه الوسيم وهو يواصل:

-

اتصلت بها بعد ذلك وقالت إن والدها استيقظ مصدومًا واتصل بالشرطة. ركض إلى الأسفل وصاح بهم. قالت إنهم رحلوا بعد ذلك.

-

إذًا، هل سرت كل هذه المسافة حتى مقلب القمامة؟

-

ركبت تاكسي حتى جسر "جليرا"، ثم سرت من هناك إلى هنا.

-

لماذا لم تذهب إلى منزل والديك؟

نظر إليَّ بجديةٍ شديدة، وقال:

-

مستحيل.

-

لا تريد زيادة متاعبهم؟

أبعد نظره.

- "رونار"، ماذا يريد هؤلاء الفتيان؟

لا إجابة.

- لماذا يطاردونك؟

ما زال لا يجيب.

- أخبروني أنهم سيجعلونك تدفع ثمن وشايتك بهم للشرطة.

هزَّ "رونار" كتفيه.

- هذا ليس السبب، صحيح؟

ما من إجابة.

- لأنك لم تشِ بهم. شخصٌ آخر فعل. أنت لم تكن في الحفل. بشكلٍ رسمي على أي حال. ألم ترغبَ في أن يتم استجوابك كالآخرين؟

هزَّ كتفيه مجددًا.

ركنت السيارة خارج منزلي ومنزل "بولي"، ثم استدرت لأواجهه قائلاً:

- إنهم يطاردونك لأنهم يريدون موبايل "سكارفيدين".

لم أكن أسأل، لكنه أجاب:

-

نعم.

-

لماذا لم تعطه لهم؟

صمت قليلاً، ثم قال:

-

إنه ليس لهم، بل لي.

-

إذًا، هل كان تليفونك منذ البداية؟ أم أصبح لك الآن بعد موت "سكارفيدين"؟

-

كلاهما.

-

كيف؟

نظر حوله، وسأل:

-

أين نحن؟

-

حيث أعيش أنا ورفيقة حياتي.

بدا مصدومًا، فأكدت له:

- لا تقلق، لن يأتوا إلى هنا. ليس الآن بأي حال.

مع طلوع النهار استطعت أخيرًا إقناع "رونار فالياردسون" بالاستلقاء على السرير في غرفة النوم الوسطى وينام قليلاً. طلبت بيتزا، وحاولت التَّحدُّث معه. حاولت معرفة المزيد منه. لكنه في كل مرَّةٍ يقفز ويثور فورًا مثل حيوانٍ أسير. حاولت إقناعه بالاتصال بوالدته لتطمئن بأنه بخير، لكنه قال إنه لا يريد إزعاجها لأنها بحاجةٍ للنوم. بالأخذ ما حدث في الاعتبار، أشك أنها نائمة. لو أنني مكانها لما أغمِض لي جفن إذا ظننت أن "جونسا" في مشكلة. لكن ما أدراني أنا بالآباء الآخرين؟!

حانت الساعة التاسعة صباحًا. يجتاحني التوتر والإرهاق مثل ضيفي الذي قضى ليلته معي. لكنني أجبرت نفسي على البقاء مستيقظًا لساعةٍ إلا ربعًا حتى تيقنت تمامًا من أنه نائم. تسللت إلى باب غرفته واسترقت السمع. أنفاسه بطيئة ومنتظمة. فتحت الباب بحذر. ها هو "رونار" نائمٌ بعمق وهو يكور نفسه تحت الغطاء.

ذراعه اليسرى العارية فوق الغطاء. كانت مشوهة بالجروح والندب الحديثة. قرأت أن تشويه الذات أصبح ظاهرة متزايدة بين الشباب، لا أفهم أبدًا مدى الألم الذي يدفعهم لفعل ذلك.

جينز "رونار" موضوعٌ على الكرسي، أمَّا الجاكيت الجلد فمعلق على ظهره. فتشت في الجيوب بيديَّ الاثنتين باحثًا عن التليفون. وجدت واحدًا في كل جيب. تسللت خارجًا من الغرفة بهدوء وأغلقت الباب خلفي.

جلست على الكنبة في غرفة المعيشة أتفحص التليفونين. أحدهما في جرابٍ جلديٍّ مطرز، وهو الذي رأيت "سكارفيدين" يستخدمه ذلك اليوم في "هولار". أمَّا الآخر فله غطاء أسود

بسيط. وضعت التليفون البسيط على المائدة وتفحصت جهات الاتصال في التليفون الآخر. هنـاك أسماء مثل "أمي"، و"سكاربي"، و"إينار" الصحفي. هذا غريب، لماذا يسجل "سكارفيدين" رقمه فائق السرية على تليفونه الشخصي؟ كما أنني لم أعطه رقم تليفوني أصلاً.

أمسكت التليفون الآخر، ثم أدركت أن "رونار" أكثر خبثًا مما يبدو عليه. لقد أبدل غطاءي التليفونين.

لو حصل أحدهم على الجراب الجلدي المطرز سيحصل على التليفون الخاطئ.

أخذت التليفون الآخر ذا الغطاء البسيط. ليس به أي رقم تليفون، كما تم مسح سجل المكالمات. تفقدت الرسائل فوجدت الأمر نفسه. كل شيءٍ تم مسحه.

ما المشكلة إذًا؟ ما السر المخفي في هذا التليفون؟ ما الشيء المهم الذي تسعى خلفه عصابة من المجانين الحمقى المجرمين ويهددون الجميع لأجله؟

عقلي يشتعل من التفكير بلا فائدة. هناك حاجزٌ من الإرهاق يحول بيني وبين هدفي. نهضت وذهبت إلى المطبخ لأصنع بعض القهوة. ثم أشعلت سيجارة وعدت إلى الكنبة. لستُ خبيرًا في الموبايلات. إنه خطئي الغبي. إنني كرجل كهفٍ لعين. حاولت تصفية ذهني لكنه يرفض طاعتي.

بدأت أعبث بالأزرار. حسنًا. لنجرب الرسائل. لا شيء. ربما سجل المكالمات. لا شيء. نظام التليفون. ما هذا بحق الجحيم؟ ضغطت بعض الأزرار فظهرت أيقونة "مكالمة جماعية"، وبعض الخيارات منها "في الخارج" و"عام" و"صامت". لا فائدة من ذلك. دخلت في الإعدادات فقادتني إلى "المنبه" و"إعدادات الوقت" و"إعدادات الاتصال" و"قفل الشاشة" وإعدادات نغمة الرنين" و"الحماية". جربتها جميعًا بلا فائدة. هناك "الألعاب". يمكنني اختيار لعبة أو الدخول في "خدمات الألعاب" و"إعدادات الألعاب". كل هذه الإعدادات اللعينة لا تفيدني بشيء، بل هي تربكني أكثر.

وجدت "الآلة الحاسبة". يمكنها الجمع، والطرح، والضرب، والقسمة، وتحويل العملة، ويعلم الله ماذا أيضًا. شكرًا جزيلاً. بعد ذلك حالفني الحظ ووجدت "التقويم".

ثم ماذا؟

هناك بياناتٌ عند كل يومٍ وشهر، أحدثها كانت يوم وفاة "سكارفيدين". لكن بيانات كل يومٍ عبارة عن مجموعةٍ من الحروف والأرقام غير المفهومة.

استسلمت. ما باليد حيلة.

عليَّ النوم لاستعادة طاقتي.

قبل الذهاب إلى سريري اتصلتُ بالمكتب وطلبت إجازة مرضية، ثم تسللت عائدًا إلى غرفة "رونار" وأعدت التليفونين إلى جيوبه. لكن ليس قبل أن أنزع شريحة الاتصال من تليفون "سكارفيدين"وأضعها تحت وسادتي. بعد ذلك نمت فورًا.

استيقظت على الزقزقة الغاضبة لرفيقة غرفتي المنزعجة تمامًا من تأخر خدمة الغرف عليها على ما يبدو. تعدت الساعة الرابعة عصرًا. نهضت مسرعًا من السرير لأتفقد "بولي". في هذا المنزل لم تتخط حملة المساواة بين الجنسين المقولة القديمة "السيدات أولاً". أشعر بالراحة والنشاط على الرغم من أنني لم أنم سوى ست ساعاتٍ فقط.

غادر "رونار". هناك ملاحظة على مائدة الطعام تقول: "شكرًا للمساعدة".

شربت قهوة قوية وتناولت حلوى قديمة مغطاة بكثير من السكر وصعبة المضغ. وجدتها في آخر الثلاجة، لكنني كنت مستعدٌ لأي شيء.

أو هكذا ظننت.

أحضرت موبايلي وأزلت الشريحة وبدلتها بشريحة "سكارفيدين".

لم أفهم بعد ماذا تعني الحروف والأرقام المدونة في التقويم. لا يمكنني تفسيرها أبدًا. شعرت بالإحباط فوضعت الموبايل على المائدة وفتحت باب الحديقة ثم دخنت سيجارة. بعد ذلك أغلقت الباب وعدت إلى غرفتي وفتحت قفص "بولي". حلقت حول الغرفة مستمتعة بحريتها، ووقفت على عمود الستارة. وقفت في منتصف الغرفة ونظرت حولي إلى المكتبة وكومة الاسطوانات والتليفزيون. استغرقت في أفكاري تمامًا حتى لم أشعر بما حولي. تداخلت ذاكرتي قصيرة الأمد مع ذاكرتي طويلة الأمد. وبدأت تظهر فكرةٌ ضبابية عندما تقاطعتا.

ارتميت بجسدي على الكنبة، وأشعلت سيجارةً أخرى. التقطتُ الريموت وشغلت التليفزيون فلم أجد ما يستحق المشاهدة.

وفجأة، ظهر الجواب أمام وجهي مباشرةً. إنه غلاف فيلم "ستريت رايدر" يستقر فوق التليفزيون.

ضغطت على زر التشغيل وجريت المشاهد حتى وصلت إلى المشهد الذي يعرفنا بالشفرة السرية لعصابة المراهقين بقيادة الشرير وراكب الموتوسيكلات السريعة "سكارفيدين فالياردسون". بالطبع كان هذا قبل انتشار الموبايلات. في ذلك الوقت كانت كلماتٍ مثل "شفرة" و"تشفير" مرتبطة فقط بالتجسس الدولي. كان الفتية في الفيلم يتبادلون ملاحظاتٍ مكتوبة تحتوي على رسائل مشفرة. تذكرت وجود رسائل سرية كهذه في كتب الأطفال التي قرأتها في صغري. في فيلم "ستريت رايدر" استخدم الفتية شفرة تبديلٍ بسيطة، وهي استبدال الحروف بالأرقام والأرقام بالحروف. فمثلاً حرف الألف يعني "واحد"، والباء تعني اثنين، والتاء تعني ثلاثة، والثاء تعني أربعة. بمعنى أن الحروف والأرقام معكوسة.

حسنًا، حسنًا. أنا راضٍ عن نفسي على الرغم من أن الشفرات ليست بسيطة.

أمسكت التليفون وقلمًا وورقةً. تفحصت كل يومٍ في التقويم وظللت أفك الشفرات حرفًا بحرف، ورقمًا رقمًا. عدت للخلف شهورًا وأسابيع من حياة "سكارفيدين فاليادسون" المسجلة في الموبايل.

توقفت قبل منتصف الليل بالضبط.

قررت عمل فحصٍ فوري لطريقتي في فك الشفرة. أخذت مجموعة أرقامٍ تشبه أرقام الموبايلات. ثم اتصلت بالرقم على التليفون الأرضي.

- ماذا؟

أجابني صوتٌ غاضبٌ وفظ، ويبدو أن اتصالي أيقظه من النوم. إنه "أوسجير إفينتارسون"

صاحب مصنع "يام".

أغلقت الاتصال فورًا.

26 الأربعاء

"الضحية تحل لغز الجريمة".

"فتاة بلغارية في الثامنة من عمرها ترسل رسالةً نصية قبل مقتلها مباشرةً تقود إلى هوية قاتلها. كان والد الفتاة مسافرًا يوم مقتلها، فلم يرَ الرسالة حتى اليوم التالي. كتبت الفتاة أن حبيبة والدها حاولت قتلها. اتصل والدها بالشرطة فورًا وألقي القبض على الفاعل".

عجبًا، إنها قضيةٌ سهلة للشرطة. هذا ما فكرت به، بينما أقرأ هذا المقال في الجريدة. يبدو أن الأسرار أصبحت تكمن في الموبايلات هذه الأيام. لكن الأمور ليست بهذه البساطة في قضيتي أنا. هناك كثير من الاحتمالات، خاصةً في ضوء الحب والاحترام اللذين تمتع بهما "سكارفيدين" كما هو واضح. ربما كان القاتل زوجًا غيورًا في الطابق السفلي؟ أو مُراهقة عشقته ورفضها بازدراء فسعت للانتقام؟ ربما كان رجل أعمالٍ محترمًا أراد الهروب من أعباء حياته الشخصية ثم إخفاء الدليل؟ أو مجموعة من جامعيّ الديون الحمقى؟ وربما مدمنون يائسون؟

هناك كثير من الخيارات.

في محاولةٍ مِنّي لفهم الأمور أكثر اتصلت بمذيع في إذاعة "أكوريري" المحلية. أخبرته أنني سمعت برنامجه يوم الأحد الذي يسبق أحد السعف بالضبط. وقتها أذاع أغنية "موسم الساحرة" بناءً على طلب أحد المستمعين وأهداها إلى "سكارفيدين" وباقي الطلبة من جماعة المسرح في مدرسة "أكوريري" الثانوية.

سألني:

-

وماذا في ذلك؟

-

كنت أتساءل لو يمكنك إخباري باسم من طلب الأغنية؟ هل لديك سجل في الكمبيوتر أو شيءٌ من هذا القبيل؟

ردَّ قائلًا:

-

لا حاجة لكمبيوتر. لو لم يختفِ الصبي ثم يظهر ميتًا بعد بضعة أيام لكنت نسيت حتمًا. لكنني أتذكر.

-

ثم؟

-

إنه فتى اتصل بنا وقال إن اسمه "موردور".

نعم، بالطبع.

أخرجني من أفكاري طرق "أوسبيورن" على باب مكتبي. أصبح مرحًا في الأيام الماضية. وظهر هذا بوضوح في عمل القصص المصورة الشنيعة وإلقاء الدعابات المريعة. لا يوجد ما أفعله سوى الابتسام. أجبرت طرفي فمي على الابتسام وشاركته سعادته.

سألني بلهفة:

- "إينار"، هل سمعت نكتة القس الذي يعمّد الطفل؟

الرحمة، هذا يكفي. قلتُ له:

-

لا يا "أوسبيورن" أنا واثقٌ من أنني لم أسمعها. لماذا برأيك؟

-

لأنني لم أخبرك بها بالطبع!

-

وهل ستفعل الآن؟

ردَّ بسعادةٍ مشرقة:

- بالطبع! وفورًا. ذات مرّةٍ طلب أحدهم من القس أن يعمّد صبيًّا صغيرًا في الثالثة، وهذا أكبر قليلاً من العمر المعتاد. ظل الصبي هادئًا طوال المراسم. لم يصرخ ولم يبكِ مثلما تفعل الأطفال عادةً عند التعميد. لهذا فرح القس واقترح أن يتم تعميد الأطفال عندما يكبرون قليلاً ليتفهموا الموقف. ثم صبَّ القس ماء التعميد على الطفل. نظر الصبي بغضبٍ إلى القس، وقال: "لماذا ترشّني بالماء أيها الحقير؟.. هاهاهاها!".

راقب "أوسبيورن" ردَّ فعلي.

- "هاها".. هذا غريب. لم أسمع هذه النكتة من قبل. إنها مضحكة جدًّا.

هذا كل ما تمكنت من فعله.

- سمعتها من "أولافيور جيسلي". إنه يعرف المئات من هذه النِّكات المهلكة من الضحك.

قلت بمبالغة:

- إنها مهلكة من الضحك حقًّا. من الرائع أن كلاكما متمسك بأسلوب إلقاء الدعابات القديم.

تحوَّل تعبير "أوسبيورن" من الفرح إلى القلق، وهو يقول:

-

لكن هناك مشكلة واحدة علينا حلها يا "إينار".

-

واحدة فقط؟

-

لقد قلَّت الأخبار والمقالات التي نرسلها من "أكوريري" إلى الجريدة مؤخرًا.

واجهته قائلاً:

- أنا أقوم بفقرة "سؤال اليوم" كل أسبوع.

لم يسمح لي بتشتيت انتباهه، وقال:

-

الأمر ليس بيدي، لكنه يؤثر على المبيعات التي بدأت تنخفض تدريجيًّا.

-

تعرف أنني أركِّز حاليًا على القضايا الكبيرة التي ستجعلنا نبيع أطنانًا من النسخ عندما يحين الوقت.

-

عندما يحين الوقت. هذه هي المشكلة. عرفت من "أولافيور جيسلي" أنه لا جديد في القضية حاليًا.

-

تعرف أنني أخالفه الرأي. أظن أن القضية ستحل قريبًا.

-

هل عرفت أخبارًا جديدة؟

-

ليس تمامًا. لكن سأعرف قريبًا. أتمنى ذلك.

نظر إليَّ، وقال:

- يجب أن تخبر "أولافيور جيسلي" بكل ما هو مهم. هذا ما اتفقنا عليه، صحيح؟

أومأت برأسي موافقًا.

- لكن بما أنك تعمل على هذه القضية و"يوا" تساعد في أعمال المكتب، كتبت أنا بضع فقراتٍ إخبارية.

ناولني ثلاث صفحات مطبوعة احتوت على أخبارٍ عن بناء طرق وحدثٍ في المدينة التوأم، وتوقُّعٍ بأن أعداد السياح في شمال أيسلندا سيرتفع هذا الصيف.

قلتُ:

-

عظيم. هذا سيحل مشكلة المبيعات في الوقت الحالي.

-

لكن عليك وضع اسمك على الأخبار، لأن "تراوستي" لن يسمح لي بإرسال أي أخبارٍ من هنا.

حسنًا، هذه نهاية سمعتي المهنية وطموحاتي إذًا.

حان وقت العمل.

بعكس الفتاة البلجيكية، لم يسجِّل "سكارفيدين" اسم قاتله في موبايله. ولم يترك سجلاً مفصلاً عن الدقائق الأخيرة في حياته. لكنه ترك كثيرًا من الخيوط. كل ما أحتاج إليه هو مزيد من المعلومات كي تتحول الخيوط إلى دلائل. ومصدر هذه المعلومات هو شابٌ يترنَّح على حافة اليأس.

* * *

- أنت سرقت شريحة الاتصال الخاصة بي!

جلس "رونار" أمامي في غرفة المعيشة الأنيقة في الشقة التي يملكها "موردور نيالسون" في الأساس. كنتُ مبتلاً تمامًا بسبب عاصفة ممطرة اعتيادية في الشمال. انهمرت الأمطار على النوافذ وطرقت على السقف بإيقاعٍ ثقيل صاحب تلك المحادثة المتعبة. الأمطار مفيدة لنمو النباتات على الأقل.

قلتُ له:

- إنها ليست شريحتك، بل شريحة "سكارفيدين".

خفض نظره إلى يديه. سألته:

- لماذا جعلك تشتري موبايل وشريحة اتصال من أجله؟

لم يرد.

أجبت عن سؤالي بنفسي:

- لأنه كان يغطي آثاره. استخدم الموبايل لتدوين مذكراته. أراد التأكد من عدم وجود أي صلة بينه وبين التليفون. لذلك وضعك في الواجهة.

رفع "رونار" نظره. أكملتُ:

- هذا التليفون لم يكن فقط سجلاً لأسراره الخاصة بنزواته الجنسية وما إلى ذلك. بل يحتوي كذلك على مجموعةٍ من المعلومات الخطيرة جدًّا، أو بالنسبة لبعض الناس على الأقل.

اختفى تعبيره المتمرد وحل محله الدهشة، وهو يسألني:

-

كيف عرفت؟

-

تمكنت من فك الشفرة.

-

كيف؟ أنا لم أستوعبها أبدًا. إنها مجموعة من الحروف والأرقام.

-

يكمن حلها في فيلمٍ قديمٍ للمُراهقين.

نظر إليَّ بتمعن فواصلت:

-

فيلم المُراهقين الذي أعرته لي.

-

"ستريت رادير"؟ كيف؟ لم أره منذ طفولتي.

شرحت له كيف قام أخوه بتشفير المعلومات الخاصة بصفقاته العديدة الخاصة بتجارة المخدرات، سواء كانت صفقاتٍ قانونيةً أو غير قانونية.

كان يرتجف بالكامل، لذلك تحدثت إليه بأكبر قدرٍ ممكن من الود واللطف:

- "رونار"، لقد انتهى الأمر.

هزَّ رأسه نفيًا، فتابعت:

- هذا لصالحك. يمكنك الراحة الآن. فوحوش الديون الذين يطاردونك من أجل الموبايل سينشغلون بأمورٍ أخرى. كما أنهم مجرد تابعين. أما زعيم الوحوش فهو شخصٌ آخر تمامًا.

اجتاح التوتر وجهه الطفولي الشاب فيما أكمل كلامي:

- الوحش الحقيقي هو مالك هذه الشقة التي تعيش بها.

أومأ ببطءٍ موافقًا فسألته:

- لماذا أرشدتني إلى "موردور"؟

نقر "رونار" بأصابعه على مائدة القهوة الصغيرة.

واصلت كلامي:

- لماذا أردت أن يتم الإمساك به؟

نظر إليَّ بعينين زائغتين، وقال:

-

هذا ما شعرت به يوم تقابلنا أثناء ذهابي إلى جنازة "سولرون". لقد كرهته وكرهت "سكاربي".

-

بسبب ما فعلوه لـ"سولرون"؟ بسبب المخدرات؟

-

لم أكن أفكر بوضوح. ما كان عليَّ أن...

-

بلى، توجب عليك ذلك. كان الصواب ولهذا فعلته.

انهمرت دموعه على وجهه مثل الأمطار المنهمرة على النافذة.

سألته:

- كيف بدأ الأمر؟

تنشق.

سألته:

- بدأ في الجنوب، صحيح؟ عندما ذهب "سكاربي" لتصوير فيلم "ستريت رايدر"؟

تمالك "رونار" نفسه، وقال:

-

نعم. بدأ هناك. كنت في التاسعة، لكنني أتذكر كل شيء وكأنه حدث بالأمس. عندما عاد "سكاربي" إلى المنزل كان مختلفًا تمامًا. وكأنه قرر أن يصبح شخصًا آخر.

-

أي نوعٍ من الأشخاص؟

-

شخصٌ يفعل ما يريده فقط. شخصٌ يجبر الآخرين على تنفيذ أوامره.

-

هل أدمن المخدرات؟

هزَّ رأسه نفيًا، وقال:

-

لم يتعاطَ "سكاربي" المخدرات قط. لم يشرب الخمر في حياته. لم يدخن سجائر.

-

إذًا، كان مثالاً يُحتذى به؟ قائد بالفطرة ويحترمه الجميع؟

-

لم يرغب بفعل أي شيءٍ يضعفه. لم يسمح لأي شيءٍ بإعاقته.

تذكرت حديث الطبيب "كارل هيارتارسون" عن اضطراب الشخصية النرجسية. لم أنتبه للأمر وقتها، لكنني لاحظته الآن. أخبرني أن اضطراب الشخصية النرجسية يظهر في شكل غياب الأخلاق أو الضمير، مع أوهام عن طبيعة النجاح والقوة والموهبة. قال وقتها: "هناك حالةٌ حديثة عن مُراهق بريطاني، إنه طالبٌ فذ تمت إدانته بقتل والديه اللذين تفانيا لتحقيق كل ما يتمنى". تجرأ الوالدان المحبان على توبيخ ابنهما لكونه مسرفًا، ولأنهما لم يحبا حبيبته. لهذا السبب ضربهما بمطرقة حتى الموت، ثم طعنهما عشرين أو ثلاثين مرَّة بسكين المطبخ. وهكذا أصبح من العسير التعرف على جثتيهما عند اكتشافهما بعد ستة أسابيع. أما الابن فذهب في عطلةٍ طويلة خارج البلاد بأموال والديه. كان يخطط لدخول كلية الطب عند عودته. عوضًا عن ذلك وجد نفسه مسجونًا مدى الحياة مع تشخيصٍ بإصابته باضطراب الشخصية النرجسية. الغريب أنه كان يعطي انطباعًا بكونه شابًا طبيعيًّا وواعدًا كما قال "كارل".

قلت لـ"إينار":

- ذهبت إلى منزلك ليلة أول أمس. والدك مدمن مخدرات، صحيح؟

نظر للأسفل، وقال:

- أبي فاشل. فاشل ومدمن.

قلتُ:

- كان يعمل صيدلانيًّا قبل مرضه. أظنه أدمن أدويته.

لم يرد، فواصلت:

-

لم يكن مثلاً أعلى لـ"سكارفيدين"، فهو شابٌ صارم مع ما يجب عدم فعله. هل تظن أن هذا هو ما أثر في شخصية "سكارفيدين"؟

-

لا أعرف. لكن تجربته في الجنوب أقنعته بأنه يستطيع التحكم في الناس من خلال نقاط ضعفهم. وعندها يفعل ما يريد.

-

ثم قابل شخصًا يحمل التفكير نفسه؟ "موردور نيالسون"؟

-

نعم.

-

وقام "سكاربي" بتشجيع "موردور" على الانتقال شمالاً كي يحصلا على الثراء والسلطة معًا؟ قررا السيطرة على شباب "أكوريري" وبالتالي السيطرة على الكبار أيضًا؟

-

نعم.

-

بعد ذلك يوسعان نشاطهما شرقًا أيضًا. أرادا أسواقًا أكبر وصولاً إلى العالمية، وكل ذلك.

لم يرد، ولم أكن أسأل بأي حال.

-

سجّل "سكارفيدين" كل انتصاراته في موبايله. لكن هل أخبرك بكل شيء؟

-

منذ البداية. بدأ يسرق الأدوية من أبي ويبيعها. ثم بدأ يزور أمي في المستشفى ويسرق المزيد من الأدوية. وأمي...

-

وقعت أمك في شباكه. أصبحت عالقة بين والدك مدمن الأدوية وابنها الذي يتاجر بها بصفتها مخدرات غير مشروعة. اضطرت للتغطية على كليهما.

امتلأت عيناه بالدموع، وهو يقول:

-

لم تستطع أمي.. ثم بدأ "سكاربي" بالحصول على هذه المواد من عدة مصادر...

-

لا بد أنه احتاج إلى مزيد من الأنواع. وذهب "موردور" إلى "ريكيافيك" للحصول عليها.

أومأ "رونار".

-

خسر والداك كل شيء منذ عشر أو خمس عشرة سنة. هل كان هذا بسبب إدمان والدك للأدوية؟

-

نعم.

-

هل كان "سكارفيدين" يخطط لدعمهما ماليًا بالمال القذر الذي يحصل عليه من تجارة المخدرات؟ وهذا ليجعل من المخدرات التي دمرت عائلته وسيلة لإنقاذها؟

-

لم تقبل أمي أمواله قط. تشاجرا بعنفٍ ونعتته بالأفعى السامة.

-

هل اعتاد "سكارفيدين" على إخبارك بكل شيء؟

-

نعم. في كثير من الأحيان.

-

هل كنتما مقربين دائمًا؟

-

كنا مقربين مثل أي شخصين. كان عطوفًا معي دومًا وبذل ما في وسعه لأجلي. وهذا لم يتغير.

-

إذًا، كان مثلك الأعلى؟ شقيقك الأكبر؟ حاميك؟

أغرقت الدموع خديه فيما يقول:

- نعم. هذا ما كانه بالضبط.

يمكنني تخيُّل شعور أمهما في هذا الموقف.

سألته:

-

إلى متى استمر هذا؟

-

إلى أن.. "سولرون"...

بدأ يبكي.

وقفت وذهبت إلى "رونار" ثم وضعت ذراعي على كتفيه، وقلتُ:

- تقابلا أثناء تصوير الفيلم. وقعت "سولرون" في غرام "سكارفيدين" بجنون فنام معها. لكنه أيضًا كان ينام مع البطلة. جعل الفتاتين تدمنان المخدرات. عاشت إحداهما أطول من الأخرى، أمَّا الآن فكلتاهما ميتة.

أجهش بالبكاء.

تابعت:

- لم تتخلص "سولرون" من حبه قط. لم تنسَ الطريقة التي هجرها بها. وتعلقت بأمل استعادته. لكنها أصبحت مدمنة على المخدرات. جاءت للشمال وانضمت للمدرسة الثانوية هنا لتكون قرب "سكارفيدين". ثم ماذا حدث؟

عدت لمقعدي المواجه له وتركته ينتحب لفترة. أعلم القصة جيدًا، فنقاطها الأساسية مألوفةٌ لي. بدأت الخيوط المنفصلة تتحد في ذهني تدريجيًا ببطء لكن بثقة. لم يبقَ سوى لحظة الكشف.

قال "رونار" فجأة:

-

كان من المفترض أن تكون "سولرون" حبيبتي. لقد عرَّفنا "سكاربي" على بعضنا. أرادنا أن نكون حبيبين.

-

لكي تتركه وشأنه؟

نظر إليَّ من بين دموعه، وقال:

- ربما.

صمت قليلاً، ثم أضاف:

-

وربما فعل هذا من أجلي أيضًا. أود تصديق هذا.

-

هل تظن أنها كانت معك لتقترب منه وحسب؟

رد بصوتٍ يقطر ألمًا:

-

ربما.

-

لكنها ربما أحبتك أيضًا؟ هذا ممكن. عليك التفكير بذلك أيضًا يا "رونار".

تنشق لكن لم يرد.

قلتُ:

- أظن أن اللحظة الفاصلة كانت وفاة "أوستيس بيورك جوتمونتستوتير". إنها المرأة التي سقطت في نهر "يوكولساو". هل أنا على حق؟

خفض نظره إلى يديه مجددًا، ثم قال:

- لم يفعل "سكاربي" شيئًا مثل هذا من قبل. لقد باع المخدرات إلى الناس لاستخدامهم الشخصي. ادَّعى أنه مجرد وسيطٍ يساعد الناس المصرين على تدمير ذاتهم لدرجة أن يسلموا أنفسهم إليه بإرادتهم.

علَّقتُ قائلاً:

-

هذا شيء قابلٌ للنقاش، قد يكون مجرد تبرير لكنه يحتوي على بعض المنطق. يبدو أن أخاك كان كالحرباء، يغير أفكاره حسب هواه. لقد استمتع بإرباك الناس ومنحهم انطباعًا خاطئًا واختبأ خلف عديد من الأقنعة. هذا ما قصده بمصطلح "خوذة الرعب"، التحكم في الناس. حسنًا، فلتكمل.

-

كان هو و"أوسجير" صاحب مصنع "يام" على معرفةٍ مسبقة بخصوص.. عملٍ منتهي، يمكنك تسميته كذلك. إنه يتعلق بزوجته و... لا، لا يمكنني القول... هذا رهيبٌ جدًّا...

إنه على وشك البكاء مجددًا.

قلتُ له مؤكدًا:

-

لا داعي لقول المزيد يا "رونار"، فكل شيءٍ مدون في الموبايل. تواصل "أوسجير" مع "سكارفيدين". كان قد سأم من زوجته ومعارضتها لبيع المصنع الذي يواجه مصاعب في العمل. قرر "أوسجير" و"سكارفيدين" التخلص منها دون إثارة الريبة والشكوك. كان الأمر سهلاً بفضل سجل "أوستيس بيورك" الطبي. تولى "سكارفيدين" تجهيز خليط الأدوية

التي وضعها "أوسجير" خفيةً في شرابها. على الأرجح لم يحتج حتى إلى دفعها من القارب. وفي المقابل حصل "سكارفيدين" على مال وفير. أخذ بعضه لنفسه والباقي لإنتاج مسرحية "الساحر لوفتر". عشرة ملايين كروناً أيسلندية وفقًا لحسابات الشركة. لن يستغرق "أوسجير" وقتًا حتى يعيد جمعها عندما يبيع المصنع.

-

المسرحية كانت حلم "سكاربي" الذي على كان وشك أن يتحقق. أراد حقًّا لعب دور "لوفتر". ظل يتحدث عن الأمر لأسابيع.

سألته على الرغم من علمي بالإجابة:

-

لماذا؟

-

لستُ واثقًا. لكنه قال لي ذات مرَّة: "ما فعله "لوفتر" بالسحر القديم أفعله أنا بالسحر الحديث. لو كان "لوفتر" على قيد الحياة لفعل ما أفعله. أنا و"لوفتر" بشريان، لكننا أصبحنا أسياد أنفسنا".

-

وهذا دمَّر كليهما؟

نظر بعيدًا، ثم قال:

-

إنهم يريدونني أن ألعب هذا الدور الآن.

-

دور "لوفتر".

-

هل تظن أنه يجدر بي ذلك؟

أجبته:

- حسنًا، الأمر ساخرٌ قليلاً.

ثم أضفتُ:

- وربما هناك نوعٌ من العدالة الشعرية في الموقف.

صمت "رونار". سألته:

- والآن ماذا؟

ضرب المائدة بقبضته وهو يصيح:

- حدثت جريمة قتل! اشترك أخي في قتل أحدهم بدمٍ بارد!

نعم، جريمة قتل. جريمة قتل ارتُكِبت بدمٍ بارد وقلبٍ متحجر. قلت له:

- يبدو أن كل شيءٍ يمكن بيعه ما دام الثمن مُرضيًا؟

واصل "رونار" بغضبٍ عارم، لكنه في محله:

-

لم يستمع إليَّ. أخبرته أن يمنع ما يحدث لكنه قال: "أنا فوق كل القوانين. أنا أقرر ما أريد فعله. والآخرون يقررون ما يريدون فعله". اشتعل غضبي. ذهبت لأحدثه، لكنه ضحك وربت على رأسي مثل الكلب الصغير.

-

بالاستناد إلى ما سجله في الموبايل يبدو أنه كان يستمتع بالمخاطر، صحيح؟

نظر "رونار" إليَّ بدهشةٍ، وقال:

-

نعم، هذا صحيحٌ تمامًا. كان يعشق المخاطر، ويحب اختبار قدراته. ولا يهم من سيتأذى في طريقه.

-

قرأت كذلك أنك أخبرت والدتك بما فعل.

لم يرد فواصلت:

-

فاجتاحها الغضب واليأس.

-

قالت لـ"سكاربي" إنه تجاوز حدوده، وفقد إدراكه للواقع تمامًا. قالت إنها لم ترب ولديها ليصبحا قاتلين. لكنه سخر منها ضاحكًا أيضًا.

-

في تلك الأمسية.. تلك الليلة السابقة لخميس العهد، أنت كنت في الحفل مع "سكارفيدين".

-

ذهبت مع "سولرون". "سكاربي" كان يتصرف بجنونٍ تام ويرتدي عباءة السحرة الغبية و...

-

هؤلاء الحمقى من "ريتارجيرتي" كانوا يضايقون الجميع، وهو رد عليهم بسبابٍ عنصري.

هزَّ رأسه نفيًا، وقال:

- كانوا يعبثون وحسب. اضطروا للتظاهر بأنهم لا يعرفون بعضهم فقاموا بتمثيلية. استمتع "سكاربي" بهذه الأمور.

صمت "رونار" واستغرق في تفكيرٍ عميقٍ.

- لو قلت إن "سكارفيدين" فقد مكانته في قلبك تلك الليلة، هل ستكون مبالغةً منِّي؟

نظر إليَّ، وتحولت دهشته إلى ذعرٍ، ثم قال:

-

ماذا تعني؟

-

ألقى أخوك تعويذة شهوة. جذب شعرةً من حوضه...

ظهرت الصدمة على وجهه فيما تابعت:

-

أشعل الشعرتين ثم وضع الرماد في كوب إحدى الفتيات في الحفلة. بعد ذلك بقليل كان يضاجع فتاة. لست واثقًا من هي، لكن...

-

لم يحتج "سكارفيدين" إلى أي تعاويذ شهوة. "سولرون" كانت ستفعل كل ما أراد.

-

هل كانت مُنتشية؟

-

كانت تتعاطى المخدرات يوميًّا. وكانت منتشية في الحفلة. ربما لم تكن بحاجةٍ إلى المخدرات وقتها. ربما هذا ما أرادته بالضبط. إنها أشد أمانيها.

دفن وجهه بين يديه، وأضاف:

- لقد حملت منه.

من الصعب حقًّا الاستمرار في هذه المحادثة. لا أذكر أنني شعرت بهذا الألم أو رأيت شخصًا يعانيه من قبل. بعد صمتٍ طويلٍ سألته:

- لماذا ذهبتما أنت و"سكارفيدين" إلى مكب النفايات؟

صمت قليلاً ثم أجاب:

-

سألته لماذا فعل ذلك، لماذا فعله بي ولماذا فعله بـ"سولرون". هل تعلم ماذا قال؟

-

هل قال: "فعلته لأنني أستطيع"؟

ظهرت عليه الدهشة على الرغم من حزنه وألمه، فسألني:

-

كيف عرفت؟ كيف تعلم كل شيء؟

-

عملي هو متابعة الحياة في أيسلندا. وبصراحة.. المدونات في موبايل أخيك أعطتني فكرةً كبيرة عن أسلوب تفكيره.

نظر إليَّ "رونار" لفترةٍ طويلة، ثم اتخذ قراره، وقال:

- تحطمت تمامًا في ذلك الحفل. وضع ذراعه على كتفي وقال: "هيا يا أخي، لنخرج من هنا بحق الجحيم، ولنترك هؤلاء الفاشلين خلفنا". رأيت "سولرون" راقدة على السرير بلا حراك ووجهها شاحبٌ كالأموات. قلتُ له: "ألا يجب أن نعيد "سولرون" إلى المنزل على الأقل؟". قال "سكاربي": "اهدأ يا رجل. أنت سيد مصيرك. على الآخرين تولي أمورهم بأنفسهم. عليك أن تتقبل ما قاله "لوفتر": "أنا مثل سبيكة الفضة، بداخلي مزيجٌ من الخير والشر".

أتذكر ما قاله "سكارفيدين" في الحوار الصحفي. كلامه يكشف عن استمتاعه الخفي بارتكاب الآثام.

"تظهر حقيقة النفس عند ارتكاب الآثام".

بينما يخبرني بذلك كانت هناك امرأة تسقط في نهر "يوكولساو" البارد. لقد دفعها دون أن يكون هناك حتى.

واصل "رونار" باهتمام:

- بعد ذلك قاد كالمجنون إلى المكب. ظننته سيقتل كلانا. أوقف السيارة عند البوابة، فسألته: "ماذا نفعل هنا؟". لم يجبني، بل أشار إليَّ كي أتبعه ثم تسلقنا السور. قال: "سأريك مملكتي". سرنا في ساحة الخردة وأراني حطام سيارةٍ قديمةٍ وصدئةٍ. يخفي فيها مختلف أنواع المخدرات. قال: "هنا تكمن قوتي". تحدث مثل شخصية الساحر "لوفتر".

صمت ثم تابع:

- ظننته أصيب بالجنون. فهو يتحدث مثل شخصية في أحد الكتب القديمة. بعد ذلك قال: "رونار"، أنت الوحيد الذي يمكنني ائتمانه على قوتي ومملكتي. أنت الوحيد الذي يعلم بشأنها. أنت الوحيد الذي يملك القوة".

هزَّ "رونار" رأسه وهو يواصل كلامه:

- قفز على حطام السيارة وفرد ذراعيه ثم صاح: "أنا السيد! أنا الزعيم!".

صمت "رونار" مجددًا، ثم تابع:

- كانت هناك حاوية وسلم بجوار السيارة المحطمة. تسلق السلم وصولاً إلى الحاوية، وظل يصيح بهذا الهراء المجنون فوق أكوام النفايات والخردة المعدنية والقمامة. كنت مرتبكًا وغاضبًا ويائسًا. ربما كنت مجنونًا مثله. لكن كل ما عرفته وقتها أنه لا يجب أن يستمر هذا الجنون.

انتظرته ليقول المحتوم.

- تسلقت السلم ودفعته.

وقفنا صامتين قليلاً.

-

لكن لماذا عدت عشية جمعة الآلام وأشعلت الإطارات؟ هل أردت حرقه مثل السحرة كما كان يزعم على نفسه؟

-

هذا لم يخطر ببالي. لقد ظننت فقط أنه سيصعب إيجاد الجثة وسط النفايات المحترقة.

-

ولن يبقى منها سوى العظام والرماد؟

-

لم أدرك أن الإطارات تظل مشتعلةً لفترة طويلة. لم أعرف ذلك.

-

وماذا حدث لكل المخدرات؟

-

إنها أول ما أحرقته.

نظر إليَّ بترقبٍ وكأنه يقول: "هذه هي القصة، ولقد انتهت الآن".

انتظرت قليلاً ثم أشعلت سيجارةً وقلتُ:

- هذه هي القصة، ولقد انتهت الآن. ما عدا خطأٍ واحدٍ يا "رونار".

ظهر الذهول والذعر على وجهه المتوتر فيما أتابع:

-

دوَّن أخوك أن أمورًا كثيرة حدثت.

-

ماذا تعني؟

-

آخر ما كتبه كان قبل وفاته بنصف ساعة حسب تقدير الشرطة.

تحول القلق البادي على وجهه إلى رعبٍ مطلق. أخرجت الرسائل المشفرة التي فككتها وقرأتُ:

- "أمي غاضبة بشأن اتفاقي مع "أوسجير" بشأن زوجته. "رونار" أخبرها. لذلك ضاجعت "سولرون" لأذكِّره من الزعيم هنا".

توقفت عن القراءة، وقلتُ:

- هذا ليس كل ما كتبه. في الواقع، ما قلته صحيحٌ تمامًا، لكنكما لم تكونا وحدكما في السيارة أو المكب. أخبرت أمك بما يحدث فأصرت على مرافقتكما ووافق أخوك على مضض. كانت هناك.

سحبت نفسًا، وواصلت:

- أنت لم تدفع أخاك من على الحاوية.

بدا "رونار" كالمحكوم عليه بالإعدام ويقف منتظرًا حبل المشنقة.

- مكتوبٌ هنا: "ذهب "رونار" يشكو لأمي. أخبرتها ألا تتدخل في شؤوني. فقالت إنني وحش! وإنني سأحترق في الجحيم! وأنها ستتأكد من هذا الآن!".

عرفتما أنه يجب ردع "سكارفيدين" بطريقةٍ ما. لكنها هي من دفعته، أمَّا أنت فلم تستطع. لذلك تصرفت هي. بعد ذلك تعاونت مع أمك لإخفاء الجريمة.

أضفت:

- هناك المزيد، لكنني لن أقرأه لك.

لحسن الحظ لست مضطرًا لإخبار "رونار" بآخر جملةٍ في مدوناته.

"سأخبرهم بالحقيقة كاملة. هؤلاء الحمقى".

27 بعد عدَّة أسابيع

" أعطيتك الكثير لدرجة أنه لا يمكنني تركك. يجب أن تكون عطوفًا معي يا "لوفتر". عائلتي كريمة لكن كئيبة. لا أعرف كيف سأحتمل الأمر لو خنتني...

... أظنني سأقتل نفسي".

الممثلة الشابة التي تلعب دور "ستينيون" الخادمة الحامل المهجورة مثلت بانفعالٍ وبأداءٍ مؤثر. مثلثات الحب الأبدية تحدث على المسرح وخارجه. أصبحت على درايةٍ واسعة بالمسرحية الآن لدرجة أنني وجدت نفسي أردد الحوار مع الممثلين. سرعان ما صرَّح "لوفتر" بنظرةٍ مميتة:

"أتمنى لكِ الموت".

عندها اتجه تفكيري رغمًا عنِّي إلى الشاب الذي تمنَّى لعب دور "لوفتر" على هذا المسرح وقول هذه الكلمات.

"رغباتي قوية وبلا حدود. وقد بدأت برغبةٍ واحدةٍ. إن الرغبات هي جوهر الرجال".

اقتبس "سكارفيدين" هذه الجملة من المسرحية القديمة.

نظرت خلفي فرأيت المأمور "أولافيور جيسلي" مع زوجته الجميلة. يبدو أنه مندمجٌ تمامًا في المسرحية لدرجة أنه لم يلحظني.

لقد استفاد من شريحة التليفون التي أعطيتها له رسميًّا مع سر فك الشفرة. تم القبض على "موردور نيالسون" والحمقى الثلاثة أيضًا، وستتم محاكمتهم جميعًا.

"أكثر ما يؤلم هو اكتشافك بأن الشخص الذي يحتل قلبك وروحك شرير...".

عندما قالت "ستينيوم" تلك الكلمات لحبيبها، وجدت نفسي أنظر للسيدة التي على يساري، إنها إحدى سيدتين دعوتهما لمشاهدة المسرحية هذا المساء. كانت "جونهيلتور" متأنقة تمامًا وتضع أحمر شفاه احتفالاً بالمناسبة. بدت منغمسة تمامًا في المسرحية، بعكس حالتها حين تشاهد "ذا جايدينج لايت" على التليفزيون في دار الرعاية. ابتسمت لنفسي حين تذكرت اللحظة التي أخبرتها فيها عن اعتقال "أوسجير إفينتارسون" بتهمة الاشتباه في التورط في مقتل زوجته. لم تكن اللحظة سعيدة في حد ذاتها، لكن أمام عينيّ تحولت المرأة المسنة فجأة. لم تعد عجوزًا مخرفة ومرتبكة وعاجزة، بل أصبحت "جونهيلتور بيارجمونتستوتير"، امرأة فعالة في المجتمع وكلمتها لها قيمة. ليست متجاهَلة أو منبوذة. والأهم أنها أم حققت العدالة لمقتل ابنتها.

سألتني:

- كيف حللت اللغز يا بني؟

أجبتها:

- الحل في الموبايلات.

أشرقت "جونهيلتور" وقالت برضا، وهي ترفع إصبعها:

-

ألم أقل لك؟

-

نعم، هذا ما قلته.

-

هكذا تسير الأمور الآن. السر يكمن في الـ... الـ...

-

الخلايا؟

-

نعم. بالطبع.

أومأتُ قائلاً:

- السر يكمن دائمًا في الخلايا.

مالت "جونهيلتور" نحوي ووضعت يدها المتجعدة على يدي، ثم همست إليَّ:

- على الرغم من حماقتك يا بني، أنا واثقة من أن المفتشين الشهيرين "مورس" و"تاجارت" سيفتخران بك.

من اللطيف سماع هذا.

نظرت إلى السيدة المسنة بعينيها الزرقاوين اللامعتين وسط وجهها المجعد والمبتسم بإشراق. ثم قالت:

- سأخبرك أمرًا. أظنني فخورةً بك إلى حدٍّ ما أيضًا.

هذا ألطف من الكلام السابق.

قلتُ وأنا أضع يدي الأخرى على يديها:

- عزيزتي "جونهيلتور"، لا تنسي أن "مورس" و"تاجارت" ما كانا لينجحا دون شركائهما

الموثوق بهم.

يدور في الخلفية حوار المسرحية، تقول "ستينيوم" لـ"لوفتر":

"في يوم الحساب ستواجه وجهًا كوجهك، لكنه مشوهٌ بالخطيئة والرغبة".

نظرت إلى رفيقتي التي على يميني، فرأيت وجه ابنتي "جونسا" يشع بالبراءة. في يوم الحساب، هل سيبدو وجهها مثل وجهي الذي يحمل ندوب الخطايا والرغبات في الحياة؟ في الصف الأول أمامنا، تجلس "كريستين" والدة "سكارفيدين" و"رونار".

بدا رأسها من الخلف مشدودًا وجامدًا.

استمر صوت المسرحية:

"من يتمنى الموت لغيره بشدة سيحني رأسه وينظر للأرض ويقول: "يا من تعيشون في الظلام الأبدي، فلتنفذوا رغباتي! اقتلوا هذا الشخص! وأنا أقسم بالثالوث، وأقسم بالشمس التابعة للرب، وأقسم بالحمم التابعة لكم، وأقسم بجسدي التابع لي. أقسم بكل ذلك أن روحي لكم للأبد".

ألقى "رونار" بالكلمات الأخيرة في الفصل الثاني بانفعالٍ جعل الجمهور ينفجر بالتصفيق. أدارت أمه رأسها فرأيت ابتسامتها الفخورة، لكن حزينة في الوقت ذاته.

ظل مقتل ابنها الأكبر غامضًا، بالنسبة لقوانين البشر على الأقل. لكن هناك قوانين أخرى.

عدت بتفكيري شهرًا إلى الوراء عندما جلست مع ابنها ليروي لي قصة ما حدث.

في نهاية القصة أمسكت الموبايل وجعلت "إينار" يرى آخر تدوين لأخيه لكن دون الجملة الأخيرة.

قلت وأنا أضغط على زر "خيارات":

- أنا لا أفهم الكثير حقًّا في هذه المعدات.

هناك كثير من الخيارات.

أحد الخيارات كان "حذف الملاحظة".

انزلق إصبعي بطريقةٍ ما على الأزرار.

حذفت آخر تعليقٍ لـ"سكارفيدين" فقلتُ:

- عذرًا. خطأ بشري.

هل كان خطأً حقًّا؟ أم كان عليَّ ترك العدالة تأخذ مجراها؟

عندما ذهبت مع "رونار" إلى بيت والديه تلك الليلة، كنت ما زلت مترددًا. لكن عندما شاهدت والدته تعتني بوالده العاجز زالت كل شكوكي.

"أكثر ما يؤلم هو اكتشافك بأن الشخص الذي يحتل قلبك وروحك شرير". تلك الجملة تتحدث عن عاشق. لكن ماذا لو كانت عن ابن؟ لقد قررت إنجاب هذا الصبي. وقررت أيضًا

إنهاء حياته. لقد حل موسم الساحرة ورحل.

احتضنت الأم ابنها الصغير وانتحبت بعينين جافتين.

ثم قالت جملةً واحدة. لم تنظر إليَّ، لكن كلماتها كانت موجهةً إليَّ. قالت:

- كنت مجبرة.

هل نكون مجبرين أحيانًا؟ عدت بتفكيري إلى الحاضر عندما نظرت إليَّ "كريستين" والدة الصبيين. التقت أعيننا لوهلة. ما حدث بيننا لا يمكن وصفه بالكلمات.

ماعدا هذه الكلمات التي قالها القس من قبل:

"يدعونا أسبوع الآلام إلى الانضمام للمسيح في رحلته الأخيرة، ومشاركته آلامه. لأن المعاناة جزءًا من حياة البشر. تؤكد لنا قصة حياته أن المعاناة لها هدف، ليس عذابه أو عذابنا. قال المسيح: "سامحهم يا أبانا، فهم لا يدركون ما يفعلون". هذه الكلمات لجميع الآثمين".

يلعب "فريدريك إينارسون" دور "أولافيور" الصديق الوفي المعذب، وكان يلقي آخر جملةٍ في المسرحية.

الستارة.

دوَّى تصفيقٌ حادٌ في الصالة الرياضية. استمرت التحية طويلاً. خرج الممثلون بقيادة "رونار" في دور البطولة إلى خشبة المسرح لتحية الجمهور. ثم صعد المخرج "أورفار باوتل" لينحني للجمهور في كل الاتجاهات وكأنه سيد الكون.

دارت كاميرات التليفزيون، وسجلت ميكروفونات الإذاعة كل الأحاديث، والتقط المصورون الكثير من الصور. وقفت "يوا" وسط الحشد الإعلامي. بجانبها تقف "هايتا"، محررة جريدة "أكوريري بوست"، وتقوم بعملها.

عليَّ القول إن صاحبكم الصحفي بجريدة "أفتر نون نيوز" فرع "أكوريري" قد لعب دورًا في كل هذه الضجة الإعلامية. كتبت مقالاتٍ عن الأحداث العديدة والمتنوعة التي وقعت في عيد الفصح الماضي، وعن الشبكة الخفية لتجار الموت. ارتفعت مبيعات الجريدة كالصاروخ، وغمرت السعادة "أوسبيورن". استعرت عنوان سلسلة المقالات من الأغنية التي أذيعت في الراديو بناءً على طلب المستمعين؛ "موسم الساحرة".

بعد العرض الأول لمسرحية "الساحر لوفتر" من إنتاج جماعة المسرح بمدرسة "أكوريري" الثانوية، قامت المدرسة بعمل تجديداتٍ في قاعة الاجتماعات العامة. اقترب مِنِّي "أوسبيورن" بوجهٍ أحمر من الشرب ويمسك كأسًا من النبيذ الأحمر. لم تكن المدرسة من تستضيف الاحتفال ماليًّا، معاذ الله. وهذا بسبب تقديم الكحول، مما يتعارض مع كل قوانين المدرسة الثانوية. لذلك كانت تكلفة المشروبات على حساب الرعاة؛ وهم: أسواق "بونَس"، وفندق "KEA". ولم يكن مصنع "يام" من ضمنها بسبب الأحداث الأخيرة.

قال "أوسبيورن":

- نخبك يا عزيزي "إينار". وشكرًا على كل ما فعلته.

انضمت إليه "كارولينا" و"بيورج" وهو يقول النخب لي.

رفعت كأس الصودا الخاصة بي لأشاركهم النخب، كما فعلت "جونسا" و"جونهيلتور" وهما تشربان نبيذًا أبيض. أمسكت لساني عن الاعتراض عندما لمحت "بيورج" تعطي النبيذ سرًّا لابنتي القاصر. إنها ليست مشكلة كبيرة إذا أخذنا في اعتبارنا كل ما يحدث حولنا.

الشمس مشرقة وسط السماء الصافية. تحولت حقول العشب من الأصفر الذابل إلى الأخضر الغني. لم تعد الخيول واقفة بجمودٍ كالتماثيل وسط الرياح الباردة، بل تركض بمرحٍ وسط المراعي الخضراء.

سألت "جونسا" بابتسامةٍ خبيثة:

- هل سمعتم عن حبيبة أبي؟

نظروا جميعًا إليَّ بترقب.

لم أقل شيئًا، بل نظرت إلى ابنتي بغيظ.

تابعت "جونسا":

- كنا نستعد لحضور المسرحية. ارتدى أبي قميصًا أبيضَ أنيقًا، وبحث عن ربطة عنقه التي لم يجدها بطبيعة الحال لأنه لا يملك واحدة ولم يملك قط. ثم جاءت "بولي" ونزلت من عمود الستارة في غرفة المعيشة إلى ياقة قميصه. كان أبي يحاول تمشيط شعره أمام المرآة، لكن فجأة بدأت "بولي" تحك ردفها في ياقته للخلف والأمام بسرعة كبيرة. فردت جناحيها وأخذت تزقزق وتصيح. ثم أصبحت أكثر حماسًا وإثارة...

توقفت ونظرت إليَّ. نظرت إلى الناس المجتمعين حولي بكل أناقة. هناك كثير من الوجوه المألوفة. مدير المدرسة الثانوية "ستيفان ماور"، ومدرس علم الاجتماع "كيارتان أرنارسون"، وأعضاء المجلس المحلي، وبعض أعضاء البرلمان، ومعظمهم من حزب الأغلبية وهم سعداء لأن الشعب اختارهم لفترةٍ انتخابية أخرى للعمل على رخاء البلاد.

نظرت إلى "جونسا" بتحذيرٍ خطير. لن أتفاجأ إن ظهرت بعض آثار المعاناة على وجهي. القليل منها فقط.

واصلت "جونسا":

- ثم فجأة تجمدت "بولي"، وظهر قضيبٌ صغيرٌ من تحت ريشها، و... و...

صمتت قليلاً لتعطي تأثيرًا دراميًّا لكلامها ولتستمتع برؤية الصدمة على وجوههم. ثم قالت:

- أتمنى أني لا أهين شعوركم، لكن... لكنها أطلقت سائلها المنوي!

كان صمتهم المصدوم وأفواههم المفتوحة من المفاجأة لا تقدر بثمن، لدرجة أنني عجزت عن الحفاظ على تعبيري الجاد. أمسكت ياقة قميصي وجذبتها لأريهم إياها بفخرٍ مبالغ فيه. كانت هناك بقعة صغيرة جدًّا على النسيج الأبيض.

قلتُ:

- نعم أيها السيدات والسادة، يبدو أن جاذبيتي لا تقاوم.

انفجر الجميع بالضحك والقهقهة فيما توقفت عن الكلام وأخذت كأسًا من النبيذ الأبيض، ثم سرت خارجًا تحت شمس الصيف.

خرجتُ من البراري مُنطلقًا إلى مُغامرتي المقبلة.